الدكتور عبد العزيز شرف

الجغرافيا الصحفية

وتاريخ الصحافة العربية



عالم الكتب

الجغرافيا الصحفية

وتاريخ الصحافة العربية

الدكتور عبد العزيز شرف

عالم الكتب

عالم الكتب
نشر . توزيع . طباعة

❖ الإدارة :
16 شارع جواد حسنى - القاهرة
تليفون : 3924626
فاكس : 002023939027

❖ المكتبة :
38 شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
تليفون : 3926401 - 3959534
ص . ب 66 محمد فريد
الرمز البريدى : 11518

❖ الطبعة الأولى
1425 هـ -- 2004 م

❖ رقم الإيداع 4450 / 2004
❖ الترقيم الدولى I.S.B.N
977 - 232 – 397-4

❖ الموقع على الإنترنت : WWW.alamalkotob.com
❖ البريد الإلكترونى : info@alamalkotob.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة: الجغرافيا الصحفية.	٥
القسم الأول: الوحدة والتنوع فى التاريخ الصحفى العربى.	١٩
الفصل الأول: الوحدة والتنوع التصور والمفهوم.	٢١ ـ ٣٥
الفصل الثانى: الوحدة والتنوع فى الصحافة الشعبية.	٣٧ ـ ٥٣
الفصل الثالث: المقاومة الصحافية ومفهوم الوحدة.	٥٥ ـ ٦٨
الفصل الرابع: الصحافة المصرية ومقاومة الاحتلال.	٧٩ ـ ٩٦
الفصل الخامس: الصحف الوطنية ونشأة الأحزاب السياسية.	٩٧ ـ ١٠٥
الفصل السادس: الصحافة المصرية والاتجاهات الجديدة	١٠٧ ـ ١٣١
القسم الثانى: الملاحق. التاريخ الصحفى العربى.	١٣٥
[١] الصحافة العربية فى السودان.	١٣٥
[٢] الصحافة فى سوريا.	١٣٨
[٣] الصحافة فى لبنان.	١٤٧
[٤] الصحافة فى الأردن.	١٥١
[٥] الصحافة فى فلسطين.	١٥٥
[٦] الصحافة فى العراق.	١٦٦
[٧] الصحافة فى المملكة العربية السعودية.	١٧١
[٨] الصحافة فى اليمن.	١٧٥
[٩] الصحافة فى الكويت.	١٧٨
[١٠] الصحافة فى دولة البحرين.	١٧٩
[١١] الصحافة فى دولة قطر.	١٨٠
[١٢] الصحافة فى دولة الإمارات العربية المتحدة.	١٨١
[١٣] الصحافة فى سلطنة عمان.	١٨٢
[١٤] الصحافة فى ليبيا	١٨٤
[١٥] الصحافة فى تونس.	١٩٥
[١٦] الصحافة فى الجزائر.	١٩٩
[١٧] الصحافة فى المغرب.	٢٠٩
[١٨] الصحافة فى موريتانيا.	٢١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تتفرّع من العلوم العصرية مباحث مستقلة، يطلق عليها بعضهم اسم «العلوم» لاستقلالها بموضوعاتها الخاصة، ولكنها أحرى أن تسمى بالمباحث ـ كما يقول أستاذنا العقاد ـ رحمه الله، أو تسمى الدراسات العلمية، لأنها أقرب إلى التطبيقات التى تبنى على العلوم المتفرقة منها إلى العلم المنفرد بقواعده وتجاربه وأصوله[١].

وعلى سبيل المثال يذكر العقاد فى هذه الدراسات ما يسمونه بعلم السياسة الجغرافية، وهو غير الجغرافية السياسية وقد شاع شيوعا كبيرا بعد الحرب العالمية الأولى، لأن هذه الحرب قد أظهرت بالأمثلة الجلية فعل الموقع الجغرافى فى توجيه السياسة الدولية وتوحيد خططها ؛وإن تبدلت حكوماتها بين امبراطورية وجمهورية أو بين حكومة مطلقة وحكومة دستورية[٢].

ولا يلتبس موضوع الجغرافية السياسية، وموضوع الجغرافيا الصحفية فى سياق كتابنا هذا، فإن الجغرافيا السياسية مبحث قديم يُعلّم الناس موضوعه المقّل منذ زمن بعيد، أما الجغرافيا الصحفية، فالذين يدرسونها يهتمون قبل كل شيء بموقع البلد وصحافته، وأحوال الدولة، ونظم الحكم، وعلاقات التأثير والتأثُّر بالصحافة فى البلدان الأخرى.

وتأسيسا على هذ الفهم، فإننا نطرح فى هذا الكتاب مبحثا طريفا نسميه بالجغرافيا الصحفية أو بجغرافية الإعلام Geography of media، ويدلُّ هذا الاسم المقترح على موضوعه، بغير حاجة إلى التفصيل فى شرحه. فإن هذا

(١) فن المقال الصحفى فى أدب عباس محمود العقاد: القاهرة؛ هيئة الكتابص١٧٥

(٢) نفسه ص ١٧٥ ـ مجلة الأزهر/ سبتمبر ١٩٥٩.

الاسم يوحي بالعلاقة بين وسائل الإعلام ومواقع البلدان، ويدل على اعتقاد الباحثين في هذ الموضوع أن للموقع شأنا في انتشار وسيلة من وسائل الإعلام، وإن للموقع شأنا في تقديم بعض هذه الوسائل على بعضها البعض وتغليب الإقناع أحيانا على الإكراه.

ويرتبط بهذا البحث النظر إلى مدرسة المناطق أو الأقاليم في الأدب وتطورس فنون القول، من حيث انقسام هذه الفنون في تاريخ الأماكن والأزمنة على أساس: العودة إلى الأرض، تميزا لها من ضروب الكتابة التي تصطبغ بالصبغة الصناعية، وتمييزا لها في الوقت نفسه من أدب الطبيعيين الذين يتحللون من قواعد الفن ومن الغايات المثالية(١).

ويرى العقاد أن مدرسة الإقليمية بهذا المعنى فيها جانب معقول «يقوم على رغبة حسنة في التخلص من عيوب الصناعة وعيوب الحيوانية، ولكنه منتقد في الوسيلة، وإن لم يكن منتقدا في الرغبة والغاية، لأن الصناعة مكسب للإنسانية لا يجوز إهماله. وجذور «الوحدة» في الصحافة العربية، ترتبط بالبيئة المعنوية، التي نجدها أوضح ما تكون في «عقيدة التوحيد» التي تلفّ هذه الأقاليم، وفي الثقافة المشتركة، وفي الحياة الاجتماعية المتقاربة، فإذا لمح الدارسون «في هذه الوحدة عناصر افتراق بين الأقاليم فإن هذه العناصر لاتستطيع أن تتحكم فيها وأن تسودها، وهي ليست من العمق ومن الأصالة حتى تغيب وراءها عناصرالوحدة. . »(٢).

وأول عناصر الوحدة في الصحافة العربية: العروبة، التي انطبع بها الفن الصحفي، ووسمت «الشخصية القومية» بسماتها الخَلْقية والخُلُقية، فأظهر الفن الصحفي العربي من سماتها تلك: سمة الانفعال والسرعة، علي نحو ما نجد عند الشاعر القديم:

---

(١) العقاد/ السابق ص ١٥

(٢) شكرى فيصل المرجع السابق، ص١٩٧.

قوم إذا الشرُّ أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... فى النائبات على ما قال برهانا

وإيثار العرب لبلادهم أبلغ وأصدق، فليس «بغريب على من أنبته الله على أرض اجتمع له على سطحها ماء جارٍ وظلٌّ وارف، ألا يؤثر عليها، وإنما الغريب على من ينبته الله على أرض ترابها رمال، وماؤها سراب، وطيرها جراد، ثم لا يؤثر عليها ويؤثرها على جنات وعيون.

وهكذا خلق الله العرب أقنع بأوطانهم منهم بأرزاقهم، وعن ابن عباس أنه قال لو قنع الناس بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى عبدٌ الرزق[1].

اتسمت «الوحدة» فى الأدب العربى، بسمة أخرى على صعيد ما يسميه «إليوت»: «الفرقة والنحلة»[2] فوجدنا أن العرب المسيحيين قد تفانوا فى الدعوة إلى «الوحدة العربية» وأشادوا بدور العرب والإسلام فى الحضارة، ومن ذلك أن «إيليا أبو ماضى» أشاد بالعروبة التى تُظلّ برايتها المسلمين والمسيحيين جميعا وتؤلف بينهم فى إخاء تام ومحبة وعمل مشترك فى سبيل مجدها. فنراه يخاطب إخوانه فى قصيدة يدعوهم إلى نبذ الخلاف الدينى وإلى التآلف فى الحياة فالأصل واحد وهو العروبة والانتماء إلى شجرتها العتيدة:

أتباع أحمد والمسيح هوادة ... ما العهد أن يتنكر الإخوان
الله رب الشرعتين وربكم ... فإلى متى فى الدين تختصمان
مهما يكن من فارق فكلاكما ... ينمى إلى قحطان أو غسان

وهكذا لم تقف الطائفية حاجزا فى سبيل «الوحدة» فى الأدب العربى، بل سرعان ما أدرك مفكرو الإسلام والمسيحيين خطورة النعرة الطائفية على الدعوة

(١) ابراهيم الابيارى، المرجع السابق ص٤٢.
(٢) ت. س. إليوت المرجع السابق، ص٨١.

القوميــة فأصبحنا نجـد الدعوة عامة إلى اعـتبار التاريخ الـعربى تاريخا مـشتركة للأمة العربية، واعتبر الرسول محمد بن عبدالله صلوات الله عليه نبى الإسلام زعيما لـلعرب، وصار المسيـحيون متحمـسين للعروبة تحـمس المسلمين أنـفسهم وأشدّ، وظهـر من بينـهم شعراء كبـار وكتاب أعلام وعـلماء أفذاذ دافـعوا عن العـروبة عنـصرا ولغـة وقوميـة، وظهـرت فى الصـحف العـربية أسـماء إيليا أبوماضى، ونجيـب الحداد، والأب انستاس الكرملى، وجورجى زيدان، والأب لويس شيخو، ونظراؤهم(١) فى الصحـافة المصرية والشـامية والبلاد العـربية.
ولازلنا نذكر قول أمير الشعراء أحمد شوقى:

الـدّيـن لـلـديّـان جـلّ جـلالُـه   لـو شـاء ربُّـك وحـد الأقـوامـا

يقول شوقى (المصرى) فى الثورة السورية:

سـلامٌ مـن صـبـا بـردى أرقُّ   ودمـعٌ لا يُـكـفـكـف يـا دمـشـقُ
ومـعـذرة الـيـراعـة والـقـوافـى   جـلال الـرزء عـن وصـف يـدقُّ

وفيها يقول بيته الشهير:

ولـلـحـريـة الحـمـراء بـاب   بـكـل يـدٍ مُـضـرَّجـة يُـدقُّ

وكان لمأساة فلسطين أثرها الـكبير فى النـزوع نحو «الوحدة» فى الصحافة العربية فشارك الصحفيون من جميع الأقـاليم العربية فى إثراء صحافة المقاومة، فى فلـسطين والجزائر، والحـركات التحررية، عـلى النحو الـذى جعل «الوطن» كمصطلح لا يـرتبط بمفهوم «التنّوع»، وإنما أصبح يرتبط بمـفهوم «الوحدة» فلم يصبح «الوطن» مصـرا أو عراقا أو شـآما، وإنما أصـبح «الوطن الـعربى» شارة على الصحافة العربية مضمونا وشكلا.

وهن ذلك ما قاله الشاعر السعودى محمد حسن عواد فى معركة القناة:

---

(١)د. محمد زغلول سلام المرجع السابق، ص١٧.

والـوعـــى عـــنـــد بـــنـــى الـــعـــرو بـــة شـــارة الـــرجـــل الـــلـــبـــيـــب
هـــو فـــيـــهـــمـــو روح الجـــمـــا عـــة ظـــل يـــنـــضـــح بـــالـــطـــيـــوب
مـــن عـــهـــد إســـمـــاعـــيـــل أو مـــن عـــهـــد يـــعـــرب فـــى الحـــقـــوب
هـــمـــت بـــه الأحـــســـاب قـــبـــل الجـــاهـــلـــيـــة لـــلـــحـــســـيـــب
ودعـــايـــة الإســـلام بـــالـــصـــو ت الجـهـيـر بلا لـغـــــــــــــوب
وإثـــارة الـــكـــتـــاب والـــشـــعـــراء بـــــالأدب المـــــهـــــيـــــب
حـــتـــى تـــبـــلـــور فـــكـــرة وثـــابـــة الـــعـــمـــل الـــنـــجـــيـــب
تمـــشـــى بـــه الأفـــراد فـــى المـــعـــمـــور يـــنـــتـــشـــر فـــى الـــشـــعـــوب
وصـــفـــا لـــه الـــقـــوم الـــذيـــن دعـــوا إلـــى الحـــق الحـــبـــيـــب

ومن حيث الشكل فى الصحافة العربية، فقد وجدنا أن التجديد يمكن أن يُعدّ كذلك. . «معُاملا» للوحدة فى العصر الحديث فقد تبادل الصحفيون فى الأقاليم العربية علاقات التأثير والتأثر. ومن ذلك أن فنون الإخراج والتحرير الصحفى وسمت التجديد فى الصحافة العربية فى جميع الأقاليم بسماتها المشتركة، وكان التأثير والتأثر متبادلا بين الشام والعراق ومصر والسعودية والخليج والمغرب وغيرها من الأقاليم العربية.

ومن ذلك يتضح أن «التنوّع» في الصحافة هو فى إطار «الوحدة» وليس هناك مجال لإحياء النزعات الإقليمية المفتعلة لأن «التنوّع» يؤدى فى نهاية الأمر إلى تحقيق المفهوم العلمى «للوحدة» كما يكسبها دعما وإثراء فى إطار وحدة الثقافة العربية التى تفاعلت فيها مصادرها وتعاونت عواملها وتكاملت أركانها.

بهذا نستطيع أن نعلل تلك الظواهر التى اكتنفت «حب الوطن» فى الأدب العربى الذى أصبح قضية ذهنية وعلمية، يؤلف فيه، وتختطر به كتب وتستفتح به كتب وتنفرد به أبواب من كتب. «فابن عساكر» مثلا حين يؤلف عن دمشق تاريخه الكبير يفرد جزءا عن فضائلها ثم يمضى يجمع من نشأ فيها ومن دخل إليها ومن وصل حبله بحبلها، وكذلك فعل «الخطيب» فى تاريخه لبغداد، وفعل كثير غيرهما.

ولعل في ذلك ما يفسر، ما ذهب إليه «إليوت» من أننا لا نعنى عناية كافية «بايكولوچيات الثقافات»، ذلك أن «البيئة» تستطيع أن تقدم للصحفى معطيات متنوعة تسم الصحافة بسماتها الجغرافية، أو بالحوادث الاجتماعية التى تكون مادة استمداد الصحفى أو تصبغه بصبغ من الأصباغ المحلية المختلفة، وقد يكون فى معطيات تلك البيئة مادة خصبة للصور والأخيلة وضروب التصوير المختلفة (١).

ولذلك تذهب الجغرافيا الصحفية فى سياقنا هذا إلى أن «لكل بيئة منفردة مزاياها وخصائصها التى تنفرد بها، وتلك المزايا والخصائص هى التى توجّ الحياة الصحفية فيها وتؤثر فى سيرها، وباختلاف هذه المميزات المادية والمعنوية تختلف حياة الأقاليم الصحفية.

ويذكر المؤلف أن الأستاذ العقاد، قد وُجّه إليه سؤال، كذلك الذى تطرحه دراسة تاريخ الصحافة العربية، وفحواه:

- كيف تريد الصحافة فى البلاد العربية؟

فقال رحمه الله:

- كما أريد البلاد العربية.. واختصر بذلك مراحل الطريق.

ذلك أن الصحافة المثلى كما يقول هى صحافة مستقلة فى آرائها، مخلصة فى نصائحها أمينة فى أداء رسالتها، خادمة للثقافة والأخلاق فيما تنشره من موضوعاتها وأخبارها.

وفى مقدورك أن تؤدى هذه الشروط بعبارة أخرى مرادفة لها كل المرادفة، وهى أن الصحالة المثلى هى صحافة الأمة المميزة الرشيدة.. والتمييز فى الأمم ثمرة من ثمرات التعليم والفطرة المستقيمة.. فإذا كانت الأمة متعلمة قويمة الفطرة فلا تشترط فيها شروطا للصحافة لأنها لن تروج فيها إذا هى خالفت

(١) أمين الخولى الأدب المصرى (القاهرة، دار المعرفة)، ص٢.

شروط الاستقلال والأمـانة، والخدمة القومية الـتى تقدم مصلحة الـوطن على مصالح الأحزاب والأفراد.

فى الأمم التـى يعوزها الـعلم والدرايـة السياسـية يصدقـون الرأى الأعوج ويكذبون الرأى المستـقيم ويقبلون الباطل السخيف ويـعرضون عن الحق المبين، لأن تمييز الحق يحتاج إلى كفاءة ذهنية وفضيلة خلقية ولا يصل إليه المرء إلا بعد الموازنة بين الأسـباب والمقابلة بين الأسانـيد والبراهين والرجوع إلى المـعلومات والسوابـق المأثورة. أما قبـول الباطل فلا يحـتاج إلى شىء من ذلـك. . كل ما يحتاج إليه جهل وكفى. . والجهل لا يتعلمه الجهلاء بعناء.

فى الأمم التى يعـوزها العلم والدراية الفـطرية، تستعر الخصـومات الحزبية وتتجاوز الحدود، لأن الـرأى العام لا يحسن الحكم الفـاصل بين الخصوم ولا يدرك حقيقة الدعاوى والأقاويل، فلاتزال الخصومات قائمة، ولاتزال الأباطيل شائعة والحقائق مجهولة. ولو عرضت هـذه الخصومات على جمهور يفطن إلى صوابها وخـطئها لقضـى على الخطأ وأخذ بـناصر الصواب فى سـاعة ظهوره، فأراح نفسه وأراح المختلفين من لجاجة الخلاف.

ونحـن نلمـح أثر التـقدم فـي صحافـتنا كـلما لمحـنا أثر الـتقـدم فى أقوامـنا وجماهيرنا فنحن اليوم خير مما كنا بـالأمس، ونحن غدا ـ فيما نرجوه ـ خير مما نرانا اليوم.

ولا يخطىء المتعجلون فيقولون ـ إن صحافة الأمس لم تكن تعرف كل هذا التنابذ بالتهم والأكاذيب بين الأحزاب، إذ الواقع أنها كانت خلواً من ذلك لأن البلاد كانت خلوا من الأحزاب وكانت سياستـها فى أيد غير أيدى أبنائها، فلما أخذت فى الاستقـلال بشئونها والتنافـس على زعامتها كانت الـعوارض الحزبية فيها علامة من عـلامات التقدم واليقظة، ولم تكن علامـة من علامات النقص والرجوع إلى الوراء.

إلى أن يقول أستاذنا العقاد رحمه الله: «إننى صحفى، ولكننى لا أبالغ في رسالة الصحافة ولا أؤمن بأن الصحافة وحدها كافية للقيام بأمانة التثقيف والهداية، ولو ارتفعت الأمة إلى أرفع مراتب الأدب والتعليم».

ففى الأمم التى بلغت غايتها من العلم والتربية، تؤتى الصحافة من آفة التقدم لا من آفة الجمود، وتصاب من ذيوعها بعد أن كان الخطر كل الخطر أن تصاب من ضيق النطاق.

لأن الصحافة إذا انتشرت تعددت وتفرعت وظهرت لكل حزب صحيفة ولكل جماعة من الأمة لسان ينطق بما تريد، ويتفق كثيرا فى هذه الحالة أن تقرأ الجماعة صحيفتها ولا يتسع لها الوقت لقراءة الصحف الأخرى، فيفوتها أن تحيط بوجهات النظر كلها وتسمع أبداً من جانب واحد.. ولا تسمع من الجانب الذى يعارضه ويصحح أخطاءه.

وهذه آفة الارتقاء والانتشار.

وإلى جانب هذه الآفة آفة تظهر لنا قصور الصحافة عن الاستقلال بأمانة التثقيف والهداية، فهى على أحسنها وأفضلها لا تغنى عن ثقافة الكتاب لأن الطبيب مثلا يقرأ كتاباً ليستوفى البحث فى مسألة من مسائل علمه، ولكنه لا يعتمد على الصحيفة لأنها تنشر من حين إلى آخر فصلا فى الطب من هنا وفصلا فى الطب من هناك.. ويقال فى الأديب والفنان والمهندس والفقيه ما يقال فى الطبيب.

فمهما يبلغ من ارتقاء الصحافة غدا فى بلادنا العربية، فلنحسب حسابا لهذا القصور الذى يلازم الصحافة فى أرقى البلاد، ولنعلم أنها لن تنفرد وحدها بتكوين الآراء الصحيحة، ولابد لنا من وسيلة غير الصحافة لدراسة المسائل العامة من جوانبها المتعددة أو لاستيفاء البحث فى شئون الثقافة وقضايا الاجتماع، وقد تتيسر لنا هذه الوسيلة من طريق الكتاب، وطريق المذياع، وطريق الصور المتحركة فى بعض المناظر والروايات.

إذا كانت الصحافة لا تسبق الأمة دائما فـهى قادرة على أن تسبقها فى بعض الأوقات.

وإذا كانت لا تعدو أمامها بخطوات فساح، فعليها أن تمشى معها وفى مقدمة صفوفها، ولا تمشى وراءها أو تقعد مع الخوالف فى آخر الصفوف.

وإذا كانت الصحافة تروج بمخاطبة العدد الأكبر من الغوغاء ـــ فهى لا تخسر إذا خاطبــت النخبة القـليلة من الــممتازين. بل تجـمع بذلك زينة الاحـترام إلى منفعة الرواج.

ولهذا يقع اللوم كثيرا على الصحفى الـعربى الذى يتوانى عما يستطيعه وهو غير عسير.

إنه لا يستطيــع أن يسبق أمته فى كل نسخــة من الصحيفة ولكنه يــستطيع أن يسبقها فى بعض الأيام.

وهو لا يستطيع أن يهمل حساب الدهماء، ولكنه يستطيع أن يحسب حساب النخبة الفضلاء.

وهو لا يستطيع أن يثابر على المسير أمام الـصفوف ولكنه يستطيع أن يتجنب المسير فى الصف الأخير.

والعامـلون بالواجب الـصحفى فـى هذا الصدد ثلاث طـبقات: طبقة تحمد وطبقة تعذر وطبقة تلام.

فالطبقة التى تحمد ـــ وياللأسف قليلة

والطبقة التى تُلام ـــ وياللأسف ـــ كثيرة.

والطبقة التى تُعذر وسط فى القلة أو الكثرة بين الطبقتين.

ولا نطيل فـي التمثيل والاستـشهاد، فيكفى أن نـشير إلى معارض الآداب والعلـوم والفنون فى الـصحافة الغـربية ونشـير إلى أمثـال هذه المعـارض في

صحافتنا الكبرى أوالصغرى على السواء. فهنا فى الشرق تحيا الآداب والعلوم حياتها بمعزل عن الصحافة كلها، حتى لو اعتمد المؤرخ على الصحافة وحدها في تسجيل حركتنا الثقافية لخرج من صفحاتها جميعا صفر الوطاب، على خلاف صحافة الغرب التى تتابع كل حركة أدبية أو فنية، وتعنى بتخصيص الملاحق القيمة للنقد والدراسة والتلخيص، فلا يعنى المؤرخ أن يرجع إليها ويعتمد عليها فى الإلمام بالنهضة الثقافية على أى عهد من العهود.

إن الإصلاح فى الشرق عسير أو لايزال حتى اليوم أعسر مما ينبغى أن يكون.. وإذا كان بعض الصحف عونا علي الإصلاح فبعضها عقبة فى طريق كل إصلاح.. بل هى نفسها آفة من الآفات التى تحتاج من أجلها إلي جهود المصلحين.

والشرق كما نعلم موطن الأنبياء والهداة ودعاة الإصلاح، ونحن بهذا نفخر ومنه نستمد الثقة والعزاء.. ولكننا كلما فخرنا بأنبياء الشرق وجب أن يكون الجهر بالصدق من مفاخرنا الأولى، وعظمة لنا ولا ريب أن يكثر بيننا الصالحون للنبوة، ولكن لولا صعوبة الإصلاح لما كثر الأنبياء، ولولا المحتاجون إلى العلاج لما كثر الأنبياء، ولولا المحتاجون إلى العلاج لما كثر الأطباء، ولولا سهولة الضلال فى الطريق لما تتابع الإدلاًء.

هذا الإصلاح العسير هو الحقيقة التى نذكرها كلما ذكرنا عيوب الصحافة وما وراءها من عيوب الرأى العام، فنحن نطلب من جمهرة الأمة أن تصلح الصحافة ونطلب من الصحافة أن تصلح جمهرة الأمة، ونبحث عن الذين يصلحون الفريقين معا فنراهم أقل الدعاة أعوانا فى بلادنا.. لأنهم لا يرتفعون إلي مراتب الأنبياء ولا ينطقون بلسان السماء ومن كذب على السماء بدعواه فهو محتال يبتلينا ببلاء جديد ولا يعصمنا من البلاء المقيم.

على أن الزمن ماض فى طريقه والإصلاح يمضى مع الزمن على هينة ورفق تارة، وتارة على سرعة وشدة، وبمشيئتنا ف حين وعلى غير مشيئتنا فى أحيان.

وسنبغل ما نرضاه من العلم والهداية فتبلغ الصحافة ما يرضينا من الأمانة والسداد.

أما اليوم فحسبنا أن نريد منها ما يكون وأن نريد منها ما تستطيعه حيث تشاء... فإن عز عليها أن تسبق هوادى الأمة فلا ترجع إلى أذنابها، ولتتجاوز خطاها كلما تأتى لها أن تتجاوزها، ولتنظر إلى علتها كما تنظر إلى سوادها.. وإذا كانت مرآة تعكس ما يقابلها فلا تكن من تلك المرايا التى تطيل القصير وتقصر الطويل أو تسمِّن الأعجف وتعجف السمين، أو تشوه كل ما تراه من جميل ودميم فتلك هى مرايا الملاهى والمهازل التى يتسلى بها الفارغون. أما المرايا التى تلزمنا للجدّ والزينة، فهى التى تصف للعين كل ما تراه على سوائه، فنهتدى بها إلى العيوب كما نهتدى بها إلى الحسنات[1].»

وهكذا تظهرنا صورة التاريخ الصحفى فى الوطن العربى على مفهوم «الوحدة» فى أنقى صوره، وهو المفهوم الذى لخصه الزعيم جمال عبدالناصر رحمه الله فى مقال نشرته مجلة الهلال ـ عدد يناير١٩٥٧، حين يقول:

العرب أمة واحدة(*)

هذه حقيقة مؤكدة، لا تنقُضُها دعوى مدَّع فى الشرق ولا فى الغرب، فالعربى فى مصر أخو العربى فى نجد، وفى صنعاء، وفى بغداد، وفى دمشق، وبيروت، والدار البيضاء من أقصى المغرب.

أبونا واحد «وإن زعم من زعم أننا لآباء، ووطننا واحد، وإن حاول الاستعمار بوسائله أن يجعله أوطانا، وهدفنا فى الحياة واحد، وإن جهل باحث فى الشرق أو فى الغرب، وعمى أو تعامى عن الحقيقة الواضحة.

على أن وحدتنا لو لم تكن وحدة جنس ولا وطن ولا هدف لكانت وحدة آلام.. فإنَّ أخُوَّةَ الشُّعورِ بالألم لَتربطنا قلباً إلى قلب من شاطىء الخليج العربى

(١) فن المقال الصحفى فى أدب العقاد ص١٤٤.

(*) منشورة فى الهلال الصادر فى يناير ١٩٥٧.

إلى شاطىء الأطلسىّ، فما يكادُ عربىٌّ يشكو ألما حتى يتداعى له سائرُ العربِ من قريبٍ ومن بعيدٍ بالسّهر والحمى.

وإنى لأعجبُ كيف عشنَا، نحنُ العربَ، قُروناً غافلين عن هذه الحقيقة الصريحة، فأتحنا للأجنبى الدخيل بيننا أن يغلب، ويتسلط، ويتوزع بلادنا فى مناطق نفوذ، ويجعلنا فى سوق السياسة تجارة، وفى أتون الحرب وقوداً

أكان ذلك لأن طائفة من سادتنا وكبرائنا فى عهد مضى أغواهم الترف، وخدرتهم النعمة، ففسقوا، وضلوا، وركبوا إلى الباطل كل مركب، فحقت عليهم كلمة الله، وحقت علينا، وأظلتنا فتنة لا تصيب الذين ظلموا خاصة.

ولكننى لا أريد أن أعود إلى الماضى، فقد ذهب ذلك الماضى بما فيه، فلاعودة له، وإنما نحن أبناء الساعة، والحقيقة واضحة صريحة أمام أعيننا، فماذا فعلنا، وما نريد أن نفعل لنؤكد هذه الحقيقة الصريحة الواضحة، ونحوّلها من شعور وعاطفة، إلى جهد وعمل.

إننا نستطيع بوسائل كثيرة أن يحقق وجودنا الإنسانى فى الجماعة البشرية العامة، وأن نحدّد مكاننا، بإرادتنا لا بإرادة غيرنا.

إننا نملك من أسباب القوة ما تحقق لنا السيادة الكاملة، وقوة التوجيه للسياسة العالمية العامة.

إن بلادنا فى مكانها المتوسط بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، لتقع بين دول العالم فى مثل مكان العاصمة من الدولة، فلماذا لا يكون لنا مثل مكانة العاصمة من قوة التوجيه لسائر بلاد الدولة الإنسانية العامة؟

وإن فى أرضنا وسمائنا وبحرنا وبرّنا قوى ضخمة، لم تزل أمم كثيرة فى الشرق والغرب تلتمس الأسباب للظفر ببعضها فلا تتهيأ لها، فلماذا لا نحاول بما نملك من هذه القوى أن يكون لنا الرأى والتوجيه فى العالم، ليتحقق بنا الخير وللإنسانية؟

وإننا لنملك من قوة الروح، ومن الإيمان بالله، ومن الشعور بمعاني الإخوة الإنسانية بين البشر، ما يمكن أن يصنع بنا في العالم تاريخا إنسانياً جديدا مثل التاريخ الذى صنعه أسلافنا منذ ألف وثلاثمائة سنة، فلماذا لا نشرق على العالم مرة أخرى برسالة السلام والرحمة، وناموس الأخوة والمساواة، لنمحو ما ران من ظلمات الباطل على عقول وقلوب لا تؤمن إلا بالمادة؟

وإنَّ لنا قِبلة نحجُّ لها، ونتوجهُ إليها فى صلواتنا. . . يريد به الله سبحانه وتعالى أن يعلمنا، نحن العرب، أن الإنسانية لا تبلغ كمالها إلا حين تجتمع القلوب على هدف، وتتوحد جماعتها إلى قِبلة، فلماذا لا تكون قبلتنا أن نجعل للإنسانية الضالة كعبة؟

لقد نزل علينا الوحىُ ذاتَ يومٍ. لنقودَ الإنسانيةَ إلى مراشِدها، فكانت حضارة الإسلام التى أنقذت العالم من ظُلُمات الضَّلال والجهلِ والفتنة، وإن وحياً جديداً لينبثق اليوم فى قلوبنا لنقودَ الإنسانيةَ مرَّةً أخرى إلى مراشدها، فما أحرى دعوتنا أن تَبْلُغَ اليومَ مبلَغَها من القُلوبِ والعقولِ، وقد أشرفَ العالمُ على الانحلالِ، لِنُنقذَهُ من ظلماتِ الضلال والجهلِ والفتنة.

وإننا لنرى كلَّ يوم بُرهاناً جديداً على إمكاننا وقدرتنا وطاقتنا المادية والمعنوية، وهذا السائلُ الأسودُ الذى ينبثقُ اليومَ فى أرضنا، فيشتعلُ ناراً ونوراً، وإنتاجاً وحركة، ويجعل أفئدة من الناس تهوى إلينا وتسعى فى مرضاتنا، وتلتمسُ أسباب الرِّزق بيننا ليُقدِّمُ لنا برهاناً جديداً على ما نستطيع أن نفعله لو أننا استكملنا أسباب الإيمان بأنفسنا.

ولن نستكمل أسبابَ هذا الإيمانِ حتى نؤمنَ ابتداءً بأننا أمة . . أمة واحدة».

وعوامل «الوحدة» فى الصحافة العربية يمكن أن تتلخص فيما يلى:

- **الأمة العربية أمة واحدة** فى الجنس والهدف والوطن، على الرغم من دعاة التفرقة، وهم المستعمرون.

- على أننا لو لم تجمعنا وسائل هذه الوحدة، لكفانا ما يجمعنا من آلام قد

قضى الله أن يؤلفنا الجرحُ وأن نلتقى علـى أشجانه كلما أنّ بالعراق جريح لمس الشرق جنبه فى عُمانِهْ.

واجهـت الصحافـة في تاريـخها سيـطرة الأجانـب على بـلادنا، وسعيـهم جاهديـن لتمزيـق وحدتنا، واسـتغلال خيـراتنا، وبذر بـذور الشقاق بـين أبناء الوطن الـواحد، كما اتـخذوا بلادنا مـيدانا لحروبـهم، نصطـلى نارها بـسبب أطماعهم.

تمتاز البلاد العربية بأسباب تكفل لها القوة والسعادة:

أ ــ توسط موقـعها بين الشرق والغرب فهـى بحق ملتقى طرق العـالم، ومعبر تجارته، وممر جيوشه.

ب ــ قوانـا الضخمة فى الـسماء والبر والـبحر، أما سمـاؤنا فصالحة للـطيران لصفـائها، وأما أرضـنا فممـهدة للسيـر عليهـا، غنية بـكنوزها مـن بترول ومعادن. . وأما البحر فـفى حوزتنا منه ما ربط العالم بـعضه ببعض، فوق محتوياته.

ج ــ تمتعنا بقـوة الروح المستمدة من الإيمان بالله، ومن الـشعور بمعانى الأخوة الإنسانية.

د ــ وحدتنا في الـقبلة التى نحج إليهـا، وإليها نتجه فى صلواتنـا، تدفعنا إلى اتحاد الهدف.

هـ ــ فى الوحى القديم ما يوقظ فينا وحياً جديداً لقيادة الإنسانية إلى الهدى.

و ــ تفجر البترول فى أرضنا أكبر دليل على قوتنا، لو آمنا بأنفسنا.

هكذا نريد لصحافتنا أن تصور هذه الحقيقة.

ونسأل الله تـعالى التوفيق، فجـلّ من لا يخطىء تحيزا أو قصـورا فى عالم البشر.

عبدالعزيز شرف

الفصل الأول

الوحدة والتنوُّع في التاريخ الصحفى العربى

الفصل الأول

الوحدة والتنوع.. التصور والمفهوم

فرضت الثقافة العربى فى عصورها السابقة ألوانا من التنّوع، ترجع فى المقام الأول إلى عامليْن[١]: **أولهما** أن الثقافة العربية امتّدت فشملت رقعة واسعة جدا من الأرض، تنوعت فيها أنماط المعيشة وتفاوتت فيها درجات التحضّر، **وثانيهما**، أن الثقافة العربية كانت منفتحة على الثقافات السابقة عليها والمعاصرة لها، فاستقبلت تيارات فكرية متعددة جاءت إليها من المشرق والمغرب، فضلا عن حصيلة ضخمة من التراث السابق كانت تعيش فى البيئات العربية نفسها وتتفاعل مع ثقافتها الجديدة.

ويظهرنا تاريخ الصحافة العربية على طابع ثقافى مميز، جعل لها شخصية مستقلة حين تقارن بثقافات الأمم الأخرى فى العصور القديمة والوسيطة، والدارسون المحدثون مهما اختلفت أحكامهم علي الحضارة العربية، يعترفون بهذا التنوع من التميز والاستقلال ويجد فيه ورثة الثقافة العربية مصدرا من مصادر الخصب ووفرة العطاء[٢].

والصحافة العربية فى العصر الحديث، امتداد لوسائل الثقافة فى الحضارات الاتصالية السابقة، ولاتزال الأمة العربية تشغل الرقعة الواسعة من الأرض، ولاتزال تتلقى فيضا حضاريا وافدا من كل جانب، ويتضح الخلاف بين الحضارات الاتصالية السابقة، والحضارة الصحفية المعاصرة فى أن العصر الحاضر قد استحدث فى مجال الثقافة مفاهيم جديدة أهمها **الربط بين الثقافة والمجتمع** وتأكيدها **للدور الإيجابى أو القيادى للثقافة فى حياة الجماهير** وكذلك مكن العصر الحاضر لأنواع من الوسائل الإعلامية لم تكن موجودة من قبل كالراديو والتليفزيون، وهى بطبيعتها تخاطب جمهورا أكثر عددا وأكثر تنوعا من جمهور حضارة التدوين قديما، حيث وسائل الاتصال السمعى والمرئى بالجماهير العريضة بالإضافة إلى المطبعة وما أنجزته وتنجزه فى ميدان الصحيفة

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مؤتمر الوحدة والتنوع ١٩٧٣ ص٢٠

(٢) نفسه ص٥ـ٣١ .

والمجلة والكتاب على اختلاف أشكالها وتعدد موضوعاتها، وفوق ذلك كله فإن فكرة القومية قد اتخذت لها فى الوطن العربى أبعادا جديدة، وأصبحت محورا يدور حوله نشاط أبناء الأمة العربية على جميع مستوياتهم، ومنفذا لتعبئة طاقات الأمة العربية كلها فى مختلف ميادين الحياة العامة.

ومن هنا انتقلت فكرة التنوع والوحدة[1] إلى وضع جديد يختلف عن وضعها فى الماضى، وأثارت قضايا ومسائل لم تكن تثار من قبل، فاختلطت أحيانا، فى نطاق التنوع والوحدة، فكرة المحلّية بفكرة الإقليمية، وتداخلت أحيانا أخرى فكرة القومية مع فكرة الإقليمية، وظهرت العناية الأدبية بالفنون التحريرية فى الصحافة والإذاعة والتليفزيون والسينما وقامت الحاجة إلى مخاطبة الجماهير بما يفهمونه، فوجد مجال للقول فى مسألة الفصحى والعامية، لاسيما مع انتشار ا لأمية انتشارا واسعا فى مناطق كثيرة من الوطن العربى، وكذلك أثارت قضية الاصالة من بعض جوانبها فكرة الطابع المحلى والطابع القومى فيما يتصل بالشكل والمضمون معا، ودار حوارحول منهج الدراسة للتراث العربى على ضوء هذه المفاهيم كلها.

ونخلص مما تقدم إلى أن الأسس النظرية والعوامل المختلفة لفكرة الوحدة والتنوع فى الصحافة العربية تتمثل فيما انتهى إليه مؤتمر «الوحدة والتنوع في الثقافة العربية»؛ على النحو التالى:

- إذا كان لصحافة كل أمة طابع حضارى مميز، فإن عددا من القضايا يحتاج إلى تأمل ودراسة، مثل: مواضع هذا التمايز بين الحضارات والأمم ومجالات ظهور الخصائص الفارقة بين الثقافات المختلفة وأثرها فى صحافتها، وأسباب هذه الخصائص والمميزات ومدى شمولها بحيث يستمد إلى الحاضر والمستقبل فى إطار التواصل العالمى والتمايز الأممى.

- وإذا انطبق هذا على الصحافة العربية.. فلابد أيضا من تبين مواضع

(١) المرجع السابق ص٧.

التميّز فيها عن صحافة الأمم وخصائصها الفارقة لها عنهم، بحيث يتوافر للمتأمل إطار عام لها يوجد صورتها من جانب ويكون مجالا لحدوث التنوع والاختلاف من جانب آخر.

- ويجب أيضا تبين مواضع التمايز والتنوع فى داخل الصحافة العربية، وما هى أسباب الخصائص المميزة، وما هى أسباب ظهور هذه الخصائص، وأيضا مدى شمولها بحيث تمتد إلى الحاضر والمستقبل.

والقول بنشأة المنهج الإقليمى فى دراسة تاريخ الصحافة العربية فى العصر الحديث يحتاج إلى مزيد من الدراسة والمناقشة، فإن للتراث العربى مؤلفات عديدة تناولت شعراء وأدباء أقاليم بعينها من الوطن العربى، فهل تعتبر هذه الكتب إيحاء مستترا لهذا المنهج؟ وهل تقوم دراسة الصحف على أساس من هذا المنهج؟

- وإذا كان هذه المنهج قد استطاع توضيح جوانب من خصائص بعض آداب الأقاليم والبلاد العربية القديمة، فهل امتدت هذه الخصائص نفسها إلى المعاصر من الأدب العربى، وفنون القول في الصحافة ووسائل الإعلام العربية، أم ظلت جميعها معا ملامح تراث مشترك للعقل العربى المعاصر؟

والإعلام الصحفى يمثل جانبا هاما من جوانب تراث الأمة: يدل على كثير من مسالك حضارتها ويعبر عن رقيها وتقدمها، ويسم شخصيتها بسمات بارزة مميزة، والإعلام صورة هامة من صور متعددة، إذا اجتمع بعضها إلى بعض، رسمت للأمة معلما من معالمها ووجها من وجوهها، و«لكى تحافظ الأمة على ملامح شخصيتها، وتدافع عن موروثها وتصل ما غبر من معطياتها بما حضر، وبما تأمل أن يكون في غد مقبل، فإنها تدون ذلك التراث، وتجمع بعضه إلى بعض فى جمع كيفى، أو فى إطار تقويمى، أو على شكل آخر من الأشكال التأليفية»[1].

---

(١) الدكتور محمد رضوان الداية فى «مؤتمر الوحدة والتنوع» السابق ص٥.

«والتأريخ للصحافة عند أمة من الأمم واحد من سبل حفظ التراث وتقويمه، وعرضه على الجيل المعاصر، وتقديمه للأجيال المقبلة، وتاريخ الصحافة وسيلة أساسية من الوسائل التى تكشف عن روح الأمة، واهتماماتها ومنازعها، فإن الاختلاف والتميز بين أمة وأخرى إنما يقوم على ما يتصل بمجموع ثقافاتها، ومعارفها العامة، ومواصفاتها الأخلاقية والاجتماعية. والإعلام عنصر من «عناصر تكوين (الثقافة) له أثر هام فى تلوين خصائص الأمة وفى طبعها بطابع خاص. وما من شك فى أن العلوم المختلفة من رياضية وطبيعية لا تميز أمة بمياسم خاصة، لأنها من الأمور التى تشيع بين الأمم وتتبادل وتتناقل بسرعة دون أن تطغى على شخصية أمة أخرى، ولأنها تتصل بأمور معاشية أو تتصل بتقدم الإنسان المادى الخالص، ولكن الثقافة ــ والإعلام من فروعها الرئيسية ــ تسم الأمة بمياسمها، وإذا ما نقلت أمة (ثقافة) أمة أخرى تأثرت بها، على درجات مختلفة من التأثر بمقدار ما تأخذ وتتمثل، وبمقدار ما يتفاعل الوافد مع «الأصيل»[1].

والصحافة نتاج فكرى، إعلامى ثقافى، يصدر عن عقل إعلامى جمعى يصور نفسه ومجتمعه ويحكى ما يدور فى داخل هذا المجتمع محليا وعالميا وما يتأثر به من مؤثرات خارجية. فالصحافة إذن صورة للمجتمع أو لوجه من وجوهه، ومظهر من مظاهره، وكما أن الإعلامى يتأثر بالمجتمع ويكون إعلامه صورة من صوره فإنه أيضا يمثل نفسه باعتباره فردا «متميزا»، أو نموذجا من النماذج فى ذلك المجتمع[2]، وتجتمع للاتصال الصحفى أهميتان: تصويره لنماذج بشرية خاصة، وتعبيره عن قطاعات مختلفة في حياة مجتمع ما.

وعلى هذا فإن الدارس، ومؤرخ الصحافة، لا يستطيع أن يغفل هذه الأمور ولا أن يتجاهلها. ومؤرخ الصحافة إنما يؤرّخ لصحافة أمة (مجموعة من الناس) فى لغة معينة (وعاء فكرى) فى إطار زمنى معين (تاريخ عصر أو فترة) محصورا

(١) نفسه ص ٥ (٢) نفسه ص ٥ .

بظروفه وملابساته المختلفة. ولابد لنا هنا من أن نتساءل ــ مع د. الداية ــ إلى أى مدى يتدخل (المكان)؟ وبمعنى آخر ــ يمكن أن يكون أكثر اتساعا ــ إلى أى مدى تتدخل البيئة فى التأثير على صورة الصحافة، فى نفس الإعلامى والصحفى خاصة.

إن الصحافة هى قبل كل شىء وليدة الإعلام، فى ظلال تفكير موضوعى، ولكنها ــ كعمل إعلامى ــ يظل عملية فكرية قبل كل شىء فى قالب لغوى، وهذه العمليّة الفكرية تظهر على شكل (تعبير) إعلامى موضوعى، يمكن أن ينقل به الصحفى إلي الأشخاص الآخرين: أحداثًا وأفكارًا، ومشاعر. وعلى هذا فإن (البيئة) لا تأخذ حيزا فكريا فى التأثير على الصحفى، وإذا كان لها من تأثير فينبغى أن يتلمس بصورة واقعية لا بآراء مسبقة فرضية لا تثبت عند العرض والمناقشة ووقوف الأدلة.

إن «البيئة» ــ أو «الإقليم»[1] ــ تستطيع أن تقدم للإعلام معطيات متنوعة تلون فنون التحرير بسماتها الجغرافية، أو بالحوادث الاجتماعية التى تكون بطبيعتها مادة استمداد للصحفى أو تصبغه بصبغ من الأصباغ المحلية المختلفة (وكل هذا لا يؤثّر على «الأدب باعتباره فكرا، ولكنه يؤثر فيه باعتباره صورا، وحوادث يتركب عليها ذلك الفكر وتلك الآراء»[2] ويتضح هذا العامل البيئى حين ننظر إلى ما يسمى بالقرب المكانى فى عناصر التقويم الصحفى إذ يعنى هذا العنصر بتصوير تيارات خاصة نابعة من البيئة باعتبارها (مكانا) يعكس بشكل ما أثرا بيئيا مهما اختلفت المعطيات الأخرى: الفكر، والتراث اللغوى، والتراث الحضارى.

وما من شك فى أن الصحافة تحمل قدرا كبيرا من «أثر البيئة» وتتميز بأمور

(١) نفسه ص٦.
(٢) نفسه ص ٦.

منـها، حتـى تعدو صـدى من أصـدائها، فـقد تظـهر البيئة (الجـغرافية) على الصحافة فيما تسجل من أحداثها التاريخـية والاجتماعية باعتبارها حوادث معينة تنُشر فى حينها ويُستفاد منها.

وأضرب مثلا من أمثلة استفادة مؤرخ الصـحافة من عوامل البيئة فى الإطار الذى يصوره د. محمد رمـضان الداية[1]، ذلك المثل مـن كتب « تاريخ الأدب عنـد الأدباء الأندلسـيين. لقـد اهتـم أهل الأندلـس بـبـلدهم، بـعد مـدة من استقرارهم فيه وعيشهم فى ظلاله، وبعد أن أحـسوا أن غيرهم ليس أولى منهم بذلك من اهتمام وتدوين وتأريـخ. وأبرز الأمثلة ما صنعه أبو الحسن بـن بسام فى كتابه : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة. وذكر المؤلف فى مقدمة كتابه أنه ألف الكتـاب لكى يظهر مـحاسن أهل بلده ـ ممـا أغفله المشارقـة أو لم يولوه الأهميـة الكافية ـ وقـسم كتابه إلى أقـسام بحسب البـيئة الجغرافيـة من شرق وغرب وموسطـة، وقد ساير ابن بسام فيما صنع عدد مـن المؤلفين، منهم ابن سعيد الذى أكمل تصنيف كتاب «المغرب فى حـلى المغرب» وهو كتاب تعاقب على تألـيفه عدد من المؤلفين الأدبـاء، وأكمله ابن سعيد. وقد نشره الـدكتور شوقى ضيف فى جزأين، وقد قسم الكتاب إلى أقسام بحـسب البيئة الجغرافية، ثم فرع كـل قسم كبيـر أقساما صغيـرة، وأضاف اعتبارات أخـرى. وقد تحدث المؤلف عن خصائص الأندلس وطبيعتها، ثم انتقل إلى الأقسام: غرب الأندلس والموسطة والشرق، وأفـرد لكل قسم كتابا، وقسم كل كـتاب إلى ممالك، وكل هذا متصل بتفريـعات جغرافية بيئية، ثم إنه وزع فى كل ممـلكة خمس طبقات، ومعـظم أهلهـا ممن لهـم يد فى الأدب مـن شعر ونثـر وغيره، وهـم: الأمراء والرؤساء، والعلماء، والشعراء، واللفيف[2].

ونحسب أن هذا الاتجاه ينبـىء عن فهم مبكر للوظيفة الإعلامية، وما يعنيه عنصر القرب المكانى فى التقويم الإعلامى، وما له من أثر فى فنون القول.

(١، ٢) نفس المرجع ص ٧.

لقد ازدهرت الصحافة العربية، وما تقدمه من فنون؛ فى إطار واحد ولغة واحدة، ولا يعدو الأثر المحلى فى هذه الصحافة ما يجعل طابعها إقليميا بمعنى الكلمة، وكما أنه لا يوجد فإن الصحافة التى ترتبط بالأقاليم العربية جميعا تقوم «أدب أندلسى خالص وأدب شامى، وآخر عراقى.. إلخ[1]، على اللغة العربية وعلى معطيات هذه اللغة ومواصفاتها، ويبقى الاختلاف بين بيئة وأخرى كالاختلاف بين «أديب وآخر[2] وصحيفة وأخرى فى الأغراض، والأساليب، وطرائق التصوير والأداء.. إلخ، ولعل أكثر العبارات شيوعا مما يوحى بالإقليمية عبارة «الأدب الأندلسى»[3] قديما أو الصحافة المصرية حديثا[4] وإنما هو التسامح فى الاصطلاح أولا، والركون إلى ايحاءات كثيرة يوحى بها ذلك الأدب وذلك الصحافة فى موضوعاتها الجديدة.

وينبغى ألا نغفل بعض الدعوات المعاصرة إلى (الإقليمية) فى تاريخ الصحافة العربية ، ومحاولة إعطاء بعض الأقطار العربية مميزات وسمات خاصة فى الأدب تسم ـ برأى أصحابها ــ أدب بلادهم وتلونه بلون خاص، ولكن دعوتهم تلك ــ كما يقول د. الداية ــ تكشف عن هويتها الحقيقية حين تطرح اللغة العربية وعاء يستوعب الفكر وتخرج إلى العامية، وفى هذا ما فيه من خطر[5].

إنه لا يسوغ بشكل علمى مقبول أن يدرس تاريخ الصحافة العربية فى بعض الأقاليم باعتبارات إقليمية خاصة، «ولا ننسى أيضا ما يكون وراء ذلك المنهج حين يدعى إليه من أخطار قومية بعيدة الأثر، من تفتيت المشاعر، ومن ترسيخ الإقليمية» [6].

---

(١) نفس المرجع ص ١٠٢.　　(٢) نفسه ص ١٠٢ .

(٣) نفسه ص ١٠٣ .

(٤) د. إبراهيم عبده: تاريخ الصحافة المصرية؛ للقاهرة ١٩٥١ .

(٥) د. رمضان الداية: السابق ص ١٠٣ .

(٦) نفسه ص ١٠٣ .

ذلك أن «جوهر الصحافة العربية» قد جسد عناصر «الوحدة» كما جسدها «شكل الأدب» كذلك، ولم يعد «حب الوطن» دليلا على «التنوع» فحسب، وإنما أصبح «تنوعا» فى إطار «الوحدة» يقول شوقى بعد إيابه من منفاه فى الأندلس:

ويا وطنى لقيتُك بعد يأس كأنى قد لقيتُ بك الشبابا
وكل مسافرٍ سيؤوب يوما إذا رزق السلامة والإيابا

ويقول أيضا:

ويا وطناً بأنفسنا نقيه وبالدنيا العريضة نفتديه

ويقول حافظ إبراهيم:

إنى لأحمل فى هواك صبابة يا مصر قد خرجت عن الأطواق
لهفى عليك متى أراك طليقة يحمى كريم حماك شعبٌ راقِ

ويقول خليل مطران:

يا مصر أنت الأهلُ والسكنُ وحمًى على الأرواح مؤتمنُ
حبى كعهدك فى نزاهته والحب حيث القلب مرتهن

ويقول جميل صدقى الزهاوى:

إن العراق لأمٌ لنا ونحن بنوها
إذا ألم مُلمٌ فإننا منجدوها
أوطاننا هى عز ومصدر للحياةِ
إنّ الجزيرة رمزٌ لدجلةِ والفراتِ

على أن هذا التغنى بالوطن الصغير، قد ارتبط بالوطن الكبير، وأصبح شعراء مصر وصحفيُّوها يشاركون شعراء بقية الأقاليم العربية وصحفيّيها،

والعكس صحيح أيضا، على النحو الـذى نراه تفصيلا فى صفـحات الصحف العربية طوال تاريخها فى جميع أقطارها.

ونذكر هنا قـول الزعيم جمال عبدالناصر: «يكفـى أن الأمة العربيـة تملك وحدة التاريخ التى تصنـع وحدة الضمير والوجدان». ويظهرنا مفهوم «الوحدة والتنوع» على مـا تتسم بـه الأمة العربيـة من وحدة تاريخية تلى وحدة اللغة أهمية فى ترتيب مقومات «الوحدة»، فإذا كانت اللغة تمـثل روح الأمة وحياتها فإن التاريخ يصنع ذكرياتها ومشاعـرها. ولعل الأمة العربية من أكثر الأمم فى العالـم التى عاشـت تاريخا واحـدا. فوحدة الكـفاح ضد الصـليبيـين والمغول والإنجليز والفرنـسيين والصهيونيين، والاشتراك فى الحـوادث، وانتقال المعارك والأبطال عـبر الحدود المصطـنعة التـى تفرق أقاليـم العالم العـربى بعضـها عن بعض، كـل ذلك يخلـق نوعا من الإرث الـتاريخى الـذى يقرب شعـوب هذه الوحدات السياسية المختلفة بعضها إلى البـعض ويخلق بينها تضامنا فى الشعور وتكاتفا فى الشدائد(١).

ويظهرنا تاريخ الأمـة العربية على أن العالم العربى قـد عاش جُلَّ حياته فى «وحدة تاريخية شـاملة بفضل النظرية السيـاسية الإسلامية»، وقد انهـارت هذه الوحدة منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى ودخول الدول الغربية المـستعمرة إلى الشرق والغرب العربيين تحت صور الـغزو والانتداب والحماية حتى كان دخول الصهيونية إلى أرض فسلطين العربية، وإقـامة إسرائيل كقاعدة غربية استعمارية فى قلب العالم العربى لتكون كالشوكة فى رقبته من الحركة والتقدم(٢).

وقد رأينا موقف الصحافة العربيـة فى مصر منذ وقعت تحت براثن الاحتلال البريطـانى منذ سنة ١٨٨٢ عقب الـثورة العرابية، ورغم أن أرض النـيل كانت

---

(١) د. صلاح الدين عبدالوهاب: أضواء على المجتمع العربى ص١٩.
(٢) نفسه ص٣.

جزءا من الدولة العثمانية قانوناً، إلا أن ظروفها الخاصة وأهمها: التقدم الحضارى وقوتها العسكرية اللذان اجتمعا لها على يد محمد على جعل هذه التبعية اسمية أكثر منها فعلية، فوضعها كان مختلفا عن وضع جميع الأقاليم العربية الخاضعة للحكم العثمانى، ولذلك فقد كان لها جهادها الخاص الذى قصدت منه إلى مقاومة الحكم التركى ثم الحكم الانجليزى من بعد.

يقول د. صلاح الدين عبدالوهاب:(١) وانشغال الزعماء المصريين بقضية مصر خاصة دون قضية العروبة بوجه عام، لا ينهض دليلا على إنكارهم للعرب والعروبة، ولا يعنى فى جميع الأحوال وجود نزعة إقليمية أو عصبية لديهم، وإنما كانت نتيجة منطقية لما يقضى به الواقع العملى. فقد كان احتلال بريطانيا لمصر نكسة للنهضة التى كانت تحمل مصر مشعلها، وكان لابد لها من أن تتحرر من هذا الاستعمار حتى تعاود النهوض بنفسها، فإذا ما تمّ لها ذلك، أمكن أن تأخذ بيد غيرها من الأقاليم العربية التى تقع تحت سلطان الدولة العثمانية، فالاستعمار البريطانى كان أمرا دخيلا وجهت كل العناصر الوطنية هجومها عليه لتتخلص بالوطن لأبنائه، فما كان لديها وقت لتنشغل فيه بغير هذه القضية الوطنية، وبريطانيا فى مصر لم تكن تتصور أن تسمح باتصال العناصرالوطنية فيها بالعناصر الوطنية فى الأجزاء الأخرى من العالم العربى. فمنطق الاستعمار «فرّق تسد» وهذا المنطق يحول بين إمكان التعاون بين العناصر الوطنية عبر الحدود السياسية المصطنعة.

وكانت العلاقات العربية العثمانية، تسير من سيء إلى أسوأ وخاصة بعد أن تنكرت الدولة العثمانى (تركيا) لمطالب العرب التى أعربوا عنها فى مؤتمر باريس. وما إن اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى حتى زادت من اقتناع العرب بأنه لا محيص عن الانفصال الكلى عن تركيا وتأسيس دولة عربية مستقلة..

---

(١) نفس المرجع ص ٨٠.

وقد بدأت الثورة العربية من الحجاز تحت زعامة الشريف حسين أمير الحجاز، ولكنها لم تكن ثورة حجازية. كانت عربية ترمى إلى استقلال الولايات العربية بأكملها وتكوين دولة عربية موحدة تنهض بالأمة نهضة تعيد إليها مجدها السالف. ولذلك فقد اشترك فى هذه الثورة رجال من معظم الأقطار العربية، فكان فيها السورى والعراقى والحجازى واللبنانى والفلسطينى كما كان بينهم المسلم والمسيحى. وقد ساعد على قيام هذه الثورة في الحجاز موقعها الجغرافى. فالحجاز بعيد عن عاصمة الدولة العثمانية ولا توجد بها قوات تركية كبيرة، كما أنها بعيدة عن طرق المواصلات، ولذا فإن من الصعب على الحكومة المركزية أن تسارع إلى إرسال النجدات لقمع الثورة هناك. هذا فضلا عن أن الحجاز كانت بها عشائر مسلحة كبيرة[1].

ولم تقف جيوش الثورة عند حد إعلان العصيان على تركيا فى الحجاز نفسها، إذ ما جاء شهر يونية ١٩١٦ حتى بدأت الثورة تتجه إلى الشمال معلنة انحيازها إلى الانجليز (الحلفاء) كانت تركيا قد دخلت الحرب ضدهم مع ألمانيا. ولم يكن ذلك إلا بعد جملة مراسلات بين **الشريف حسين ومكماهون** الذى كان مندوبا ساميا لبريطانيا فى مصر سميت بمراسلات حسين ـ مكماهون التى استثنت من الحدود المرسومة فى «**برتوكول دمشق**» وهو الذى وضع الزعماء العرب فى دمشق ومعهم فيصلابن الحسين ليكون أساسا للتحالف مع بريطانيا، مقاطعتى **مرسين والإسكندرية** وأقساما من **سوريا** تقع إلى الغرب مما سماه **متصرفيات دمشق وحمص وحماة وحلب**، فهذا التعديل بدون الإضرار بمعاهدات بريطانيا مع الشيوخ العرب، وبدون الإضرار بمصالح فرنسا حليفة بريطانيا، تعهدت الحكومة البريطانية بأن «تعترف باستقلال العرب وتؤيده فى جميع المناطق الواقعة ضمن الحدود التى طالب بها شريف مكة..».

على أن الشريف حسين وافق على استثناء مرسين فقط، ورفض الموافقة

(١) نفس المرجع ص ٨٢.

على استثناء شبر واحد من أراضى سوريا التى يقطنها العرب، ولو لم يكن جميع هؤلاء العرب من المسلمين إذ قال إنه «لا فرق بين عربى مسلم وعربى مسيحى فكلاهما أحفاد جد واحد»(١).

وقد خلد لورانس هذه الثورة العربية فى كتابه «أعمدة الحكمة السبعة» وكأنه يعبر عن رأى الانجليز: «أن هذه الثورة من صنعهم، ورغم أن معاهدة الانجليز الأدبية والعسكرية شجعت العرب على محاربة العثمانيين إلا أن هذه الثورة كانت عربية لحما ودما.

وقد توجت الثورة بنجاحها فى دخول دمشق فى أكتوبر ١٩١٨ فاهتزت أرجاء العالم العربى لهذا النصر لما لدمشق من أهمية خاصة فى نفوس العرب.

وقوبل فيصل قائد الجيش العربى بالهتاف والأعلام، وأعنت المدن السورية كلها انضمامها للثورة وإذعانها لأوامر القيادة العربية، واشتركت المدن اللبنانية أيضا فى هذه الحركة حتى قامت الحكومة العربية فى سوريا فى جو حماسى أكد لفكرة الوطنية العربية بالرسوخ(٢).

أثناء كل ذلك لم تكن بريطانيا مخلصة للعرب حين ساندتهم ضد تركيا، وإنما كانت تعمل لصالحها هى ولصالح الدول الاستعمارية الأخرى. فقد وضعت مؤامرتين لتقسيم البلاد العربية التى انفصلت عن تركيا بغير علمهم.

فعقدت بمدينة بطرسبورج الاتفاقية الأولى فى سرية تامة بين بريطانيا وفرنسا وروسيا فى مارس سنة ١٩١٦ وهى تعرف باسم اتفاقية «سايكس بيكو» والتى نصت على تقسيم غنائم الحرب من الدولة العثمانية بين الدول الثلاث.

أما روسيا فقد اختصت فى شوق الأناضول بالولايات الأربع المجاورة

---

(١) نفسه ص ٨٣.
(٢) نفسه ص ٨٤.

للحدود الـروسية التركية التـى تشكل أرمينيـة التركية، وكذلك بعـض الأقاليم الواقعة بين البـحر الأسود وإقليم الموصل ــ أراميا ــ ويـبين من ذلـك أن ما استولت عليه روسيا كان خارج العالم العربى.

واختصت فرنسا بالجزء الغربى مـن سوريا إلى جانب ولاية الموصل بما فى ذلك لبنان، ثم ولاية أطنة ومرسين، وكذلك منحت فرنسا منطقة نفوذ أخرى بداخل سوريا تشمل الموصل ودمشق وحمص وحماة وحلب[1].

أما انجلترا فقد اجـتزأت منطقـة ما بين النهرين بما فـى ذلك البصرة على الخليج العربى، ثم بغداد ثم داخلية العراق.

أما فلسطين فرغم مـطالبة فرنسا بها على أساس أنها الجـزء الجنوبى لسوريا، فقد قامت انجلترا بتدويلها مع الاحتفاظ لنفسها بحق الإشراف على مينائى حيفا وعكا على البحر الأبيض المـتوسط.. وكذلك تضمن اتفاق سايكس ــ بيكو النص علـى إقامة دولة عربيـة مستقلة أو حـلف دول عربية تحت رئـاسة رئيس عربى تعترف به بريطانيا وفرنسا وتتعهد بحمايتها.

وهكذا يـبين أن بريطـانيا لم تراع فـى هذه الاتفاقيـة الوعودة التـى سبق أن قطعتها علـى نفسـها فى مراسلات الحسين ــ مكماهون ولـم تعـرف أسرار هذا الاتفاق السرى حتى أذاعته الحكومة الروسية البـلشفية بعد قيام الثورة الماركسية فى نوفمبر ١٩١٧، وعندئذ فقط عرف العرب بالمؤامرة التى حاكها الانجليز.

أما المؤامرة الأخرى فقد ظهرت فى تصريح بلفور فى ٣نوفمبر ١٩١٧ وفيه وعدت بريـطانيا اليهـود بإنشاء وطن قومـى لهم فى فلـسطين العربـية. وهذا التصريح جاء فى صورة خطاب مرسل من وزير الخارجية البريطانية لورد بلفور إلى لورد روتشيلد الصهيونى احتوى ما يلى من عبارات:

---

(١) نفس المرجع ص ٨٥.

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية. على أنه يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير من الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى»(١).

وعرف العرب أنهم ضحية تغرير بريطانيا فاحتجوا على هذا التصريح أشد الاحتجاج، وطلب الحسين تفسيرا من بريطانيا، فأرسلت إليه رسالة مطمئنة تقول فيها: إنها تضمن حرية السكان العرب السياسية والاقتصادية، وذلك خلافا لوعد بلفور الذى لم يضمن لهم سوى الحرية المدنية والدينية.

وصدرت من أمريكا تأكيدات فى هذا المعنى: إذ جاء فى النقطة الثانية عشرة من النقاط الأربع عشرة التى أعلنها الرئيس الأمريكى ويلسون أمام الكونجرس الأمريكى فى ٨يناير ١٩١٨ «أن القوميات الأخرى التى تخضع الآن للحكم التركى يجب أن تطمئن إلى حياة آمنة لاشك فيها وإلى الفرصة المطلقة فى أن تنمو نمواً ذاتياً من غير إكراه» ثم أعلن فى خطابه الذى ألقاه فى ٤يوليو من السنة نفسها «أن أساس أية تسوية تلى الحرب يجب أن تكون بموافقة الشعوب التى يعنيها الأمر».. ثم عقد مؤتمر الصلح فى باريس ١٩١٩ وشهده ممثلا عن العرب الأمير فيصل بن الحسين رئيسا للوفد الحجازى.

وهناك طالب باستقلال البلاد العربية، إلا أنه تكشفت له نوايا بريطانيا السياسية وعرف أنها وفرنسا قد اتفقتا على تقسيم البلاد العربية إلى مناطق نفوذ بينهما (٢).

وفى أبريل سنة ١٩٢٠ قرر مجلس الحلفاء الأعلى الذى انعقد فى سان ريمو إعطاء بريطانيا الانتداب على العراق وفلسطين وشرق الأردن، وأعطيت فرنسا

---

(١) نفسه ص ٨٦. (٢) نفس المرجع ص ٨٧.

الانتداب على سـوريا ولبنان، فكان هذا الانـتداب قناعا قانونيـا وراءه استعمار رهيب، لذلك تعرف سنة ١٩٢٠ بأنها النكبة على العالم العربى.

ويكفى تدليلا علـى ما ارتكبه الانجليز من تغرير العرب مـا كتبه لورانس فى مؤلفه أعـمدة الحكمة السـبعة: «إذا ربحنا الحـرب، فإن عهدتنا لـلعرب أوراق ميتة، غير أن الاندفاع الـعربى كان وسيلتنا الرئيسية فـى كسب الحرب الشرقية، وعلى ذلك أكدت لهم أن بريطانيا تحافظ علـى كلمتها نصا وروحا فاطمأنوا إلى هذا القول وقـاموا بالكثير مـن الأعمال العظيمـة، ولكننى بالطـبع بدلا من أن أكون فخورا بهذا الذى لعلناه مـعاً، كنت أشعر دائما بمرارة الخجل..»[١]. ثم جرت بعد ذلك أحداث كـثيرة فى العالم العربى إلى أن أراد اللـه للنور أن يبزغ فقامت ثورة ٢٣يوليو ١٩٥٢ التى أحدثت تغييرا جذريا فى الأوضاع التى يقوم عليها مجتمعنا العربى.

---

(١) نفس المرجع ص٨٨.

الفصـل الثانـى

الوحدة والتنوع فى الصحافة الشعبية

وفى تقـديرنا أن «أخبار الجبـرتى» فى حضارة الـتدوين أقرب إلى الصـحافة الشعبية؛ من «**الوقائع المصرية**» الصحيفـة الرسمية التى أصدرها مـحمد على؛ كصحيفة رسـمية؛ صدر أول عدد منها فى ١٥ رجب سـنة ١٢٤٤هـ الموافق ٢ ديسمـبر ١٨٢٨، وبقيت الـصحافة رسميـة على هذا النـحو طول عهد مـحمد على، فـعباس، فسـعيد، فإسـماعيل ـ كـما تقدم ـ وفـى عهد الأخيـر ظهرت **الصحافة الشعبية**، حين أصدر **عبدالله أفندى أبو السعود** صحيفة «**وادى النيل**» ١٨٦٦م، مرتين فـى كل أسبوع، و«**نزهة الأفكار**» ١٨٦٩م لصاحبـيها **إبراهيم المويلحى وعثمان جلال**، وكانت جريدة سياسية أسـبوعية. وصحيفة «**الأهرام** لصاحبهـا سليم تقلا؛ وقد حصـل على تصريح بها فـى عام ١٨٧٥م. وجريدة «**روضة الأخبار**» ١٨٧٥، وجريدة «**الوطن**» ١٨٧٦م. وكانت كل صحيفة من هذه الصحف الشعبية تعنى عناية خاصـة بالأخبار الاجتماعية. وتتفق كلها على نقد السياسة الإنجليزية.

إلـى جانـب هذه الـصـحف وجـدت: **جريدة مصر** ١٨٧٦م، وجـريـدة **المحروسة** ١٨٨١، وجريدة **العصر الجديد** ١٨٨م.

وقد توالـت الأحداث المصريـة والعالميـة، واصطلحـت جميعـاً على تقـوية الصـحافة الـشعبـية، رغم مـنعهـا، أول الأمر، من الخـوض فى الموضـوعات السياسية، إلى أن قامت الحرب الروسية التركية.

ثم ظهر السيد **جمال الدين الأفغانى** فجأة فى مصر، وقضى بها ست سنوات من مـارس ١٨٧١م ـ إلى أغسـطس ١٨٧٦م، كانـت من خيـر أعوام حيـاته.

فعندما جاء إلى مصر كانت صحافتها ذات تاريخ ممتد إلى أوائل القرن التاسع عشر عندما صدر جرنال الخديو» ١٨٢٧م ثم صحيفة (الوقائع المصرية) فى ديسمبر ١٨٢٨م، وهما صحيفتان رسميتان. كما تقدم. ولم يكن إسماعيل ليطيق صحافة شعبية؛ فعندما حاول إبراهيم المويلحى وعثمان جلال إصدار مجلة (نزهة الأفكار) سنة ١٨٦٩م، لم يكن لها مجال يسمح باستمرارها، فقد اعتبرت «مهيجة للخواطر، ومثيرة للفتن» وألغيت بعد صدور العدد الثانى.

وقد شجع الأفغانى تلاميذه على إصدار الصحف وأخذ يغذيهم بروحه ويشجعهم بأفكاره، ومن هؤلاء: محمد عبده، أديب إسحق، المويلحى، سليم النقاش، إبراهيم اللقانى، سعد زغلول، وغيرهم.

وتظهرنا صورة الشيخ «محمد عبده» (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م) على الأثر الإيجابى للصحافة فى الفكر المصرى الحديث، وهو الذى خطا بالمقال الصحفى خطوة كبيرة مبنى ومعنى، ويقف موقف الريادة من الجيل الجديد الذى ينهض بالصحافة المصرية فى الطور الثالث من تاريخها، ويتبنون اتجاهاته الإسلامية والوطنية. «المتأصلة الجذور فى تارخ بلاده» واعتقاده أن الوحدة ضرورية فى الحياة السياسية، حتى لنذهب إلى أن الدور الذى قام به محمد عبده فى الصحافة المصرية يرتبط بنواح ثلاث هى: الإصلاح الدينى، وإصلاح اللغة العربية، والإصلاح السياسى.

ونعتقد أن هذه النواحى الثلاث، هى مرتكزات الصورة الإيجابية للصحافة الوطنية العربية منذ جهادها ونشأتها فى العالم العربى، إلى اليوم.

إثر عودة محمد عبده من منفاه؛ قال عن أصول منهجه للإصلاح: «إن السيد جمال الدين كان صاحب اقتدار. وقد عرضت عليه حين كنا فى باريس أن نترك السياسة، وأن نذهب إلى مكان بعيد عن مراقبة الحكومات، فنعلم ونربى من نختار من التلاميذ على مشربنا، فلا تمضى عشر سنين إلا ويكون

عندنا التلاميذ الذين يتبعوننا فى ترك أوطانهم والسير فى الأرض لنشر الإصلاح المطلوب فينتشر أحسن الانتشار؛ فقال: أنت مثبّط!).

وستراه رجل قول وعمل بلغ فى كل منهما الذروة: يلى الوظائف الكبرى ويخوض فيها المعارك الضخمة، ويتعلم الفرنسية. ويفحم بكتاباته أحبار أوربا وفلاسفتها أمثال هـ نوتو، ويكتب فى الصحف. ويفسر القرآن، ويصب اللعنة على السياسة الإنجليزية وهو فى العاصمة الإنجليزية. وستراه الشيخ الكبير لمدارس المصلحين والسياسيين المصريين كافة، وفى طليعتهم سعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩م، وأحمد لطفى السيد «أستاذ الجيل»، والشيوخ والعلماء الأحرار فى الأزهر، محمد مصطفى المراغى، ومصطفى عبدالرازق، وعلى سرور الزنكلونى، وعبدالمجيد سليم، ومحمود شلتوت، كما رأس وهو فى (الوقائع الرسمية)، سعد زغلول، وإبراهيم الهلباوى، ووفا زغلول، وعبدالكريم سليمان، وتتلمذ فى رياسته رؤساء الوزارات، سعد، وعدلى ورشدى، وثروت، ومحمد محمود، والزعيمان محمد فريد، وطلعت حرب والشيخان المراغى ومصطفى عبدالرازق.

وظل على ما بدأ به حياته فى عهد الطلب متقشفا زاهدا يقاوم الخرافات والجهالات فى كل موقع شغله أو اطلع على عيوبه أو استعان به أصحابه لإصلاحه»(١).

يقول الأستاذ عبدالحليم الجندى:

ولما أصيبت مصر بكارثة الاحتلال البريطانى فى سنة ١٨٨٢م واجتمع عليها الحكم التركى يمثله الولاة من أبناء محمد على والاستعمار البريطانى، كتب عن محمد على ـ وحفيده الخديو عباس حلمى الثانى على عرش مصر يحتفل بمرور مائة عام على تأسيس دولته ـ فقال: (ماذا صنع محمد على؟.. لم يستطع أن

(١) عبدالحليم الجندى: الإمام محمد بن عبدالوهاب أو انتصار المنهج السلفى، القاهرة، ص١٩٧.

يحيى ولكن استطاع أن يميت!. . اشرأبت نفسه لأن يكون ملكاً غير خاضع للسلطان العثمانى، فجعل من العدة لذلك أن يستعين بالأجانب الأوربيين فأوسع لهم فى المجاملة!.

وانقلب الوطنى غريبا فى داره غير مطمئن فى قراره. فاجتمع على سكان البلد ذلآن: ذل ضربته الحكومة الاستبدادية، ومن رأيه أن الإصلاح عن طريق الدين أيسر من الإصلاح عن طريق مقياس المنفعة الذى اصطنعه الأوربيون.

وقد آثر الشيخ محمد عبده بعد عودته إلى مصر من بيروت ـ حيث قضى ست سنوات فى المنفى ـ أن يبتعد عن العمل السياسى المباشر، مفضلا العمل فى مجال التربية والتوجيه الدينى، فقد كان من حيث مزاجه الشخصى وعقليته وثقافته مربياً وموجهًا أكثر منه سياسيًا، فهو يحتضن الجانب الإسلامى تفكيراً وتعليمًا وإحياء «وليس معنى ذلك بحال من الأحوال أن محمد عبده كان يرى قصر الإسلام على ضمير الفرد على نحو ما أراد الصحفيون والكتاب الضالعون مع الاستعمار كما فعل السيد أحمد خان والقاديانى فى الهند، وكما حاولت البابية والبهائية أن تفعل فى إيران»(١)

ولم يبتعد محمد عبده عن السياسة، إلا بعد تأكده من أن الزعيم مصطفى كامل كان يقود الحركة الوطنية بنجاح لمقاومة الاستعمار البريطانى، ومعتمداً على الله ثم خلق الوعى الإسلامى والوطنى، وكان مصطفى كامل يؤمن بأهمية التوجيه الدينى والتعليم الجامعى، ودور الإعلام والصحافة فى تهيئة الرأى العام لتقبل اليقظة الإسلامية، وربط مصر بالعالم الإسلامى، وقد قامت كل من (المؤيّد) التى أسسها الشيخ على يوسف فى أول ديسمبر سنة ١٨٨٩م، و(اللواء) التى أنشأها مصطفى كامل فى أكتوبر سنة ١٩٠٠م بحمل راية اليقظة الإسلامية.

---

(١) د. إبراهيم إمام: أصول الإعلام الإسلامى ص١٦٩.

وقد أثمرت الحركة الإسلامية ثمارا طيبة ناجحة، ذلك أن الحركة القومية المصرية برئاسة سعد زغلول قد نشأت فى أحضان الأزهر، واعتمد خطباؤها على منابر المساجد، كما اعتمد كتابها على الصحافة الإسلامية، وتآخت فى سبيلها كافة الطوائف على نحو ما تؤكده الحضارة الإسلامية التى تظل كافة الطوائف تحت لوائها وتحميهم فى كنفها[1].

وكذلك كانت حركات الاستقلال فى الشام والعراق وفلسطين منبثقة من منطلقات إسلامية، حتى أن رمز الاستقلال والزعامة السياسية فى فلسطين كان شخص المفتى أمين الحسينى، كما صدرت المقاومة العربية ضد النفوذ الفرنسى فى سورية من الجامع الأموى فى دمشق، وكان زعماء الثورة الذين عرضوا صدورهم لنيران العدو الفرنسى الغاشم هم كتاب الصحافة الإسلامية.

ويؤكد الشيخ محمد عبده أهمية التوجيه التربوى الإسلامي بقوله (ليست القوانين التى تفرض العقوبات على الجرائم، وتقدر المغارم على المخالفات، هى التى تربى الأمم وتصلح شأنها، فإن القوانين لم توضع فى جميع أنحاء العالم إلا للجرائم والسقطات. وأما القوانين المصلحة فهى نواميس التربية المثالية).

كما يقول أيضا: (والسبب فى فقر البلاد عدم سريان روح التربية الشرعية العقلية، التى تجعل إحساس الإنسان بمنافع بلاده كإحساسه بمنافع نفسه وشعوره بأضرار وطنه كشعوره بأضرار ذاته، إن لم تقل: تجعل الإحساس الأول أقوى من الثانى وتزيد إحساس الإنسان بمنافعه ومضاره).

ثم يتساءل الشيخ محمد عبده: (ألم يأن لنا أن نرجع إلى المعروف مما كان عليه سلفنا، فنحيا بما كان قد أحياهم، ونترك ما ابتدعه أخلافهم مما أماتهم وأماتنا معهم؟)[2].

---

(١) نفس المرجع ص١٦٩.

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام، ج٢، ص٤٩٦. د. إبراهيم إمام: المرجع السابق ص١٧٠.

وقد تـرك كل مـن جمال الديـن الأفغانى ـ بعـد وفاتـه سنـة ١٨٩٧م فى الأستانة، والشيخ محمد عبده ـ بعد وفاتـه بالقاهرة سنـة ١٩٠٥م ـ ، أجيالا تتلمذت عـلى مبادئهما ومقـاومة التقليد ومكـافحة الاستعمار الأجنـبى، وبناء العالم العربى والإسلامى من خلال التعليم والتوجيه والإعلام والصحافة.

وقد اشتـهر تلاميـذ من هذه الحركة ـ فـى الصحف العـربية ـ علـماء أفذاذ وزعـماء شـرعوا الـقلـم فى وجـوه الأعداء نـذكر مـنهـم: طاهر الجزائرى، والقاسمى، والبيـطار، وعبدالقادر المغربى، وكرد على، ورفيـق العظم، وشكيب أرسلان، وطـنطاوى جوهـرى، وفريد وجدى، وإبـراهيم الـلقانى، والـبارودى، وعبدالـعزيز الثـعالبى، والطـاهر بن عاشـور، وعبدالحميـد بن باديس، ومـحمد رشيد رضا.

صحيفة: (المنار):

وقد استطاع الشيخ محمد رشيد رضا أن يمضـى قدما علـى الدرب الذى اختطه لـه أستاذه الإمام الشيخ مـحمد عبده، وكانـت مجلة (المنار) من أقوى الصحف الإســلامية التى دوى صيتهـا فى جميع أركان العـام الإسلامى. وقد صدرت (المنار) على هـيئة جريدة فـى ١٥ مارس سنة ١٨٩٨م ثم تحـولت إلى مجلـة شهرية ذات شأن عـظيم. وعندمـا توفى صاحبـها فى ٢ أغسطـس سنة ١٩٣٥م كانت (المنار) قد دخـلت فى عامها الخامس والثلاثين، وخـير ما يمثل غاية هذه المجلة ويبين منهجهـا ورسالتها ما كتبه الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر بمناسبة عودة المجلة إلى الظهور، فقد قال[1]:

(كانت مجلة المنار مرجعاً من المراجع الإسلامية الـغالية، تحل فيه مشكلات العـقائد والـفقه، وتحـيط بالمـسائل الاجـتمـاعية والإسـلامية وأخـبار العـالم الإسلامى، وما فـيه من أحداث وأمراض وعلل، وكان صـاحبها السيد رشيد

(١) د. إبراهيم إمام: نفس المرجع ص١٧١

رضا، رحمه الله، عالما غيوراً مخلصًا للإسـلام، محبا لكتاب الله وسنة رسوله وآثار السلف الصالح، وقف حياته لخدمة دينه والأمم الإسلامية، وكان شجاعًا في الحق لا يهاب أحدًا، ولا يجامل ولا يحابـي. ونشأ على هذا واستمر فيه، إلى أن لقى ربه).

وقد اتخـذت المنار قول الـرسول ﷺ: (**إن للإسـلام صوى ومنـاراً كمـنار للطريق**) شعـاراً لها، أما غـرض المنار فـهو (إعداد الأمـة لهذا التـجدد، وأول رسائله بيان أمراض الأمة وأسبابها ووصف عـلاجها وتأليف الجماعات للتعاون على المعالجة المطلوبة).

ويكتب الإمام محمد عبده عن المنار والاشـتراك فيها فيقـول: (الناس فى عماية عن النافـع، وانكباب على الضار، فلا تعجب إذا لـم يسرعوا بالاشتراك فى المنار، فإن الرغبة فى المنار تقوى بقوة الميل إلى تغيير الحاضر، بما هو أصلح للآجل، وأعون على الخلاص من شر الغـابر، ولا يزال ذلك الميل فى الأغنياء قليلا، والفقراء لا يـستطيعون إلى البذل سبيلا، ولـكن ذلك لا يضعف الأمل فى نجاح العمل والسلام).

صحيفة (المؤيد):

(والمؤيد) من أهـم الصحـف المصريـة التى ظهـرت فى أول ديسـمبر سـنة ١٨٨٩م، وكان يحررها الشيخ **علي يوسف**، ونالت صيتًا واسعًا وشهرة ذائعة، وكان صدورهـا لمواجهة صحـيفة (المقطم) الضالعـة مع الاحتلال البريـطانى، والتى كان يصدرها ثـلاثة من خريجى معاهد التبشـير فى الشام وهم: **يعقوب صروف، وشاهين مكاريوس، وفارس نمر**.

ومن الكتاب الذين اشتركوا فى تحرير (المؤيد) الشيخ **عبدالحميد الزهراوى**، والشيخ حامد إبراهيـم، ومحب الدين الخطيب الذى أصدر صحـيفتى (الفتح)

و(الزهراء)، وعمر متصور، ومصطفى لطفى المنفلوطى، ومحمد مسعود، والشيخ عبدالقادر المغربى، وحافظ عوض، ومحمد كرد على، ومحمد أبو شادى، وغيرهم.

عبدالرحمن الكواكبى:

بيد أن من أشهر الكتاب فى (المؤيد) عبدالرحمن الكواكبى، وهو سورى من حلب، وفد إلى مصر سنة ١٨٩٩م، وكان قد مارس الصحافة فى حلب فى صحيفة (فرات) الرسمية ثم فى صحيفة (الشهباء)، وصحيفة (الاعتدال)، ولقى فى مصر لفيفاً من أصدقائهم، منهم طاهر الجزائرى، وعبدالحميد الزهراوى، وكرد على، وفى مقدمتهم محمد رشيد رضا الذى قدم له مساعدات كثيرة، وعرفه بالشيخ على يوسف، وأفسحت له (المؤيد) و(المنار) صفحاتها لنشر مقالاته.

ومن أشهر ما أصدره الكواكبى كتاب (طبائع الاستبداد) الذى صدر على شكل مقالات متابعة فى جريدة (المؤيد)، وقد استهدف الكواكبى من هذا الكتاب أن يكون صيحة مدوية توقظ النفوس وتحيى موات الهمم وتدفع الزعماء والمصلحين إلى الأخذ بيد الأمة الإسلامية والنهوض بها.

والكواكبى يكنى نفسه بالفراتى، ويقول: إن بعض أفاضل العلماء والسراة والكتاب السياسيين بحثوا الوسائل للنهضة الإسلامية، فأخذوا ينشرون آراءهم فى ذلك فى الجرائد الهندية والمصرية والسورية والتتارية، ويقول: إنه اطلع على كثير من مقالاتهم فى هذا الموضوع، وقلدهم فى نشر ما عنّ له، ثم بدا له أن يعمل على توسيع هذا السعى بعقد جمعية من سراة الإسلام فى مكة مهد الهداية فعقد العزم على إجراء سياحة بزيارة أمهات البلاد العربية لاستطلاع الأفكار، وتهيئة الاجتماع فى موسم فريضة الحج.

فخرج من بـلدته إحدى مدن الفرات فى أوائـل المحرم سنة ١٣١٦هـ ثم سلك الـطريق البـحرى من إسكـندرونة إلى بـيروت فدمـشق ويافا والـقدس والإسكـندرية، فمصر والسـويس والحديدة فصـنعاء وعدن والكويـت، وحائل فالمدينةومكة، ووصل إليها فى أوائل ذى القعدة، فوجد الأفاضل الذين اجتمع بهم فى البلاد قد أجـابوا الدعوة عدا الأديب البيروتى، ثم سعـى لاختيار اثنى عشر عـضوا أضافهم إلى الأعـضاء من مراكش وتونس والقسطنـطينية وبغجة سرايى وتفليس وتـبريز وكابل وكشفر وقازان وبكين ودلهى وكـلكتا ولفربول، ثم تخيّر داراً فى حى متطرف بمكة يعقد فيها الاجتماعات بصورة خفية.

وبلغ عدد المجتـمعين ـ كما تخيلّـهم الكواكبى ـ ثلاثة وعشـرين عضوا، بما فيهم الـسيد الفراتى الذى عـهدت إليه كتابـة محاضر الجلسات، وتـولى رئاسة الاجتماعات العضو المكى على أساس أن المؤتمر عقد فى بلده واتخذه المجتمعون شعارا: (لا نعبد إلا الله).

وتعاهدوا على الجهاد والأمانة.

ومع أن هذه القصـة يخيل للقارىء أنها مـن نسج الخيال؛ إلا أن الكواكبى يقول إن لها أصلا فى الحقيقة، وقوله هذا يزيد القصة إمتاعا، ويدعم خيالها ما يدير فيها من حوار، وما يجعل بين يديها من مقدمة.

(وكل سبب من أسباب الأعضاء المتفرقين يعـللون به ضعف المسلمين ينتهى إلى أن يكون سببًا من ناحية ونتـيجة من ناحية أخرى، وكل عرض من أعراض الجمود يجـرى به الدور والتسلـسل على هذه الوتيـرة، إلى أن تنتهى كـلّها إلى سبب الأسباب فى عقيدة الكواكبى كما نفهمها فى ديدنه فى التفكير وليس هناك سبب لجميع الأسباب غير الحكومة السيئة أو الاستبداد)(١).

(١) المرجع السابق نفسه ص١٠٤.

وعندما دعا الرئيس، السيد الفراتى (الكواكبى) وهو سكرتير المؤتمر لتلخيص المحاضر قال: إن فتور المسلمين يرجع إلى أسباب دينية أهمها: عقيدة الجبر، ونشر ما يدعو إلى التزهيد فى الدنيا، وترك السعى والعمل، وأسباب سياسية أهمها السياسة الخالية من المسئولية، وحرمان الأمة حرية القول والعمل وأسباب خلقية مثل الاستغراق فى الجهل، والارتياح إليه، واستيلاء اليأس على النفوس.

ووصل المؤتمر إلى أن المسلمين فى حالة فتور عام ويجب تدارك هذا الفتور. وأن جرثومة الداء الجهل، والدواء تنوير الأفكار بالتعليم، وإيقاظ الشرق للترقى وخصوصا فى الناشئة، وتأسيس الجمعيات التى تقوم بهذا العلاج[1].

عبدالله النديم:

وحين نعود إلى صحافة مصر فى القرن التاسع عشر الميلادى، نتوقف عند السيد عبدالله النديم، خطيب الثورة العرابية. وقد تولى النديم مهمة الإعلام للحركة الوطنية والدعاية لها، وإرشاد «الشعب إلى الطريق الصحيح إليها. وكانت خطبه وصحيفته وسيلته فى كشف الحجب التى أسدلت على عيون المصريين من مئات السنين، فلم يعودوا يعرفون من أمور أنفسهم ووطنهم شيئا؛ وأخذ يوجه الشعب الوجهة الوطنية الصحيحة فى عهده الجديد».

وكان النديم ملازماً لعرابى، يخطب فى الوفود التى تأتى إليه؛ ويناقش الأعيان والوجهاء الذين يجتمعون كل مساء فى منزل الزعيم؛ ويكتب مقالاً عنوانه: «وصية وطنية» يذكر المصريين بما لا قوه فى الماضى من قتل وصلب، وجلد ونفى وسجن، ويحذرهم من الدول الطامعة فيهم، التى لا تحب لهم التقدم ولا العلم أو العدل، ويشجعهم ويثبت قلوبهم؛ ويدعوهم إلى عدم

---

(١) د. إبراهيم إمام: المرجع السابق ص١٧٦.

الخوف من المدرعات التى وصلت إلى الإسكندرية لتهديد مصر، ويحدثهم عن الاستبداد الذى أفسد الأخلاق، وعن الممالك التى نالت حريتها بالجهاد والدماء، وعن الصلة بين مصر والخلافة العثمانية، وانتظام مصر فى الهيئة الإسلامية الجامعة لكلمة الدين.

ولقد أصبح معروفاً فى البلاد أن النديم هو «المتحدث بلسان ثورة الجيش»، وأن جريدته تعبر عن سياسة الحركة العرابية؛ ولذلك طلب إليه الزعيم أحمد عرابى أن يطلق على جريدته اسماً جديدا هو (**لسان الأمة**)؛ بدلاً من (**التنكيت والتبكيت**)؛ لينطبق مفهومه على الوظيفة الجديدة، وأن يعلن رسميا أنها جريدة الحركة العرابية، وجرت بينهما مفاوضات فى هذا الشأن انتهت بأن أرسل عرابى إلى إدارة المطبوعات المصرية فى ١٧ أكتوبر ١٨٨١م الخطاب التالى:

«لدخولنا فى عصر جديد وفوت زمن (**التنكيت**) اقتضى تبديل جريدة (**التنكيت والتبكيت**) الأدبية التهذيبية، كما استقر عليه الرأى بالممارسة مع حضرة الفاضل **عبدالله أفندى نديم** محررها ومدير إدارتها باسم (**لسان الأمة**)، وأن يكون موضوعها سياسياً تهذيبياً للدفاع عن حقوق الأمة والمدافعة عن حقوق حكومتها.

«فلذا اقتضى ترقيمه لسعادتكم الأمل اعتبارها ومعرفتها بهذا العنوان الشريف والمشرب المنيف اعتبارا من عددها التاسع عشر». وكتب النديم معلقا على كتاب عرابى يقول:

«بحمد الله تعالى تخلصنا من زمن «**التنكيت والتبكيت**» وأصبحنا فى زمن الحرية ومعرفة الحقوق، وهذا الذى قضى علينا بتغيير اسم الجريدة ومشربها، فقد صيرناها سياسية سياسة ظاهرة، بعد أن كنا ندمجها فى محاورات ودروس تهذيبية وجعلنا تطالب بحقوق الأمة وتدفع ألسنة الأعداء عنها».

ويرجح أستاذنا د. الحديدى؛ أن الاسم الجديد الذى اقترحه أحمد عرابى

للصحيفة لم يرق للنديم، والنديم ـ كما لقبه الأستاذ عباس العقاد: ـ ملك العنوانات. فأصدرها باسم (الطائف)، ونحن نذهب مع أحمد تيمور باشا فى تعليله لتسمية النديم للصحيفةباسم (الطائف) تيمناً بالطائف (فى الحجاز) وتفاؤلاً بأنها تطوف البلاد كما جابتها (الجوائب) لأحمد فارس الشدياق(١).

على أن اختيار النديم: (الطائف) اسما لصحيفة الثورة العرابية، يشير أيضا إلى الدلالة التواصلية مع الجهاد فى العالم العربى والإسلامى.

وسرعان ما احتلت جريدة (الطائف) المكانة الأولى من الصحف المصرية فى ذلك الوقت الذى شهد صدور صحف: الأهرام، المفيد، الفسطاط، السفير، النجاح، المحروسة، العصر الجديد، الوقائع المصرية، البرهان. وقد نالت صحيفة (الطائف) من الرواج والشهرة ما لم تنله صحيفة قبلها من التأثير على الأفكار، وبلغت منزلة فاقت فيها الصحف المعاصرة لها. وبدأت الصحف الوطنية والأجنبية تعتبرها مصدراً موثوقاً به، وأخذت «تنقل عنها الأخبار وتعيد طبع كثير من تصريحات النديم ومقالاته»(٢).

وكانت جريدة (الطائف) ـ كما يقول مستر بلنت ـ التى يحررها رجل حاد نابغ هو عبدالله النديم تحمل حملة شديدة على الحانات والمراقص والمغانى التى هجمت على القاهرة تحت حماية الامتيازات الأجنبية فاستاء منها كل عربى.

هذا جانب من جوانب صورة الجهاد من أجل التوحيد فى مصر يتكامل مع ملحمة الجهاد فى تاريخ الصحافة العربية فى الوطن العربى.

صحيفة الأستاذ:

وحين نصل إلى العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادى، نلتقى

(١) أحمد تيمور: تراجم الأعيان ص١٧.

(٢) د. على الحديدى: عبدالله النديم، ص١٦٤.

بصحيفة (الأستاذ) التى أصدرها السيد عبدالله النديم، ليصور صوت الضمير الوطنى فى مواجهة الاحتلال، وصحفه، ومؤيديه.

وصدرت صحيفة (الأستاذ) سنة ١٨٩٢، وقد سبقتها إلى الصدور صحيفة الأهرام ١٨٧٥م، التى اعتمد عليها الوطنيون المصريون فى جهادهم ضد الاحتلال، وصحيفة (المقطم) التى اعتمد عليها الاحتلال البريطانى، فأمدها اللورد كرومر بالمال والأخبار والإعلان، عام ١٨٨٩م، وهى الصحيفة التى أوعز الإنجليز إلى أصحاب (المقتطف) أن ينشئوها صحيفة يومية لتنافس (الأهرام) وتعارضها وتحمى المصالح البريطانية. وفكر الوطنيون فى إنشاء صحيفة وطنية يكون فى مقدورها مقاومة (المقطم) ومحاربة الاحتلال، فاجتمع لطيف باشا سليم الحجازى، وحسن باشا عاصم، وإبراهيم الهلباوى وغيرهم، واستقر رأيهم على أن يتولى حجازى باشا عرض فكرة إنشاء صحيفة على رياض باشا، تحارب الاحتلال وتعلن أخطاءه وتنشئ الأجيال على كراهيته. ولم ير رئيس الحكومة مانعا يحول دون إنشاء (المؤيد) فصدرت فى أول ديسمبر ١٨٨٩م لصاحبها (الشيخ على يوسف) وما لبث أن أصبحت مجالا للأقلام الوطنية الناشئة، فكان مصطفى كامل أحد كتابها المعروفين. وقد ذاع أمرها واشتد ساعدها، وعالجت الموضوعات المصرية والإسلامية فى مقالات طويلة قد تبلغ الصفحة الأولى جميعا[1].

وبجانب (المؤيد) صدرت صحيفة (الأستاذ) فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢م للسيد عبدالله النديم، كما تقدم، وما لبث أن احتجبت لأن الجرائد الإفرنجية فى مصر وإنجلترا - كما يقول النديم - حملت عليه وادعت أنه متعصب للدين، عدوّ للأجانب. وقد برم بها اللورد كرومر فأمر بإغلاقها كما فرض على صاحبها مغادرة مصر.

---

(١) جريدة المؤيد فى ٨ مارس ١٨٩٢م.

فى العام نفسه صدرت مجلة (الهلال) ١٨٩٢م، لصاحبها (جرجى زيدان) الذى اكتسب خبرته الأولى فى العمل (بالمقتطف) سنة ١٨٨٥م، وهاجر إلى القاهرة شأن أقرانه، ليؤسس مجلة ثقافية، تحمل اسم (الهلال) علمًا عليها، ولكنه فى سبيل ممالأة الأسرة (العلوية) فى مصر، تجنى على حقائق التاريخ، فنراه فى الجزء الثامن من السنة الأولى (أول إبريل ١٨٩٣م)، يصدر المجلة بصورة لمحمد على باشا (مؤسس العائلة الخديوية) فى باب (أشهر الحوادث وأعظم الرجال)، ونقرأ له هجوماً صريحًا على أنصار الشيخ محمد بن عبدالوهاب، (ص٢٧٩ ـ ٢٨٨)، ليبرر حملات (مؤسس الأسرة الخدوية) تبريراً يثير مشاعر المسلمين، على النحو الذى جعل السيد رشيد رضا تلميذ الأستاذ الإمام محمد عبده، فى مجلة (المنار) ج٢، يقول عنه فى سياق تعليقه على كتاب جرجى زيدان: (تاريخ التمدن الإسلامى).. «ولكن ظهر لنا مما كتبه بعد ذلك، ومن بعض حديثه معنا ومع غيرنا من أصحابه، أنه يكاد يكون من الشعوبية الذين يتحاملون على العرب ويفضلون العجم عليهم».

وكان «رشيد رضا» من أشد معارضى زيدان، وهو مثله مهاجر من لبنان إلى مصر، وقد نشرت مجلة (المنار) هجوماً حادا على زيدان كتبه الشيخ الهند شبلى النعمانى، اتهم فيه زيدان بالعداء للعرب والإسلام»(١).

وترتفع نغمة الخصومة والمعركة بين النديم وبين الصحف غير الوطنية وعلى رأسها (المقطم)، فيكتب النديم تحت عنوان: «إنما يقبل النصيحة من وقف(٢) فيحذر المواطنين من الصحف التى تدعو إلى بذر بذور الفتن بين الأجناس الشرقية وتصلى وتعبد الأمم الأوروبية» وإذا كنت فى مصر ورأيت من يميل لمس حق من حقوق أميرك المؤيد الخديو، ويوهمك أن صالحه موقوف على ذلك فارفض قوله وحذِّر قومك منه، فإنما هو خادع بل عدوّ مبين.. وما ضر الشرق وفرق جمعه إلا أمثال هؤلاء، فإنه تاجر يتجر ببيع الأوطان فى سبيل قمة أو ثوب أو مال»(٣).

(١) مصطفى نبيل: مقدمة؛ مصر والعالم سنة صدور الهلال.
(٢) الأستاذ ص٢١٤.
(٣) الأستاذ ص٢١٤.

ثم تزداد خطوط المعركة وضوحاً فى مقاله: «لمَ تختلف كلمتنا إذا اتحدت وجهتنا؟»(١) فيكتب عن الصحف التى ادعت الوطنية وهى فى الواقع تخدم الدول الأجنبية، فإذا بحث القراء تلك المواعظ وجدوها دخاناً صاعداً من خلال تراب ينذر باشتعال ما تحته من النيران.. هنالك يتبينون أن أفواه الكتاب ما انضمت إلا على نيوب صلٍ يتحين غفلة النائم ينهشه نهشة يسرى منها سمه فى جميع الأعضاء.. هذه هى حال فريق من الجرائد فى الشرق بين عربية وإفرنجية. ترى كل جريدة أنها إنما أنشئت لخدمة الشرق وأهله.. ثم يتبين من خلال عبارات بعضها ما تخدع به الشرقيين وتدعوهم إلى الاستسلام للدخيل»(٢). ثم يضع الحدود الفاصلة بين الجرائد الوطنية الخالصة والصحف التى تدعو للاستعمار(٣).

وتسوء العلاقات بين الصحفيين المصريين والنازحين من البلاد العربية الذين انضموا إلى الإنجليز يدافعون عن سياستهم، ويسميهم النديم (الأجراء)، وتشتد المعركة بين الصحف الوطنية الخالصة والصحف المناصرة لفرنسا من جهة، والموالية لإنجلترا، وعلى رأسها (المقطم) من جهة أخرى، ثم يعلن الحرب على المأجورين الذين يخدمون الأغراض الأجنبية فى ثوب الوطنية. ويكتب عن النزلاء الذين أتوا مصر لكسب العيش فاستعانوا بالقوة الحاكمة فولوهم المناصب وأقصوا عنها المصريين وأعانوهم على سلب أموال المصريين وتجارتهم(٤).

لو كنتم مثلنا:

ويكتب النديم تحت عنوان: «لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا»(٥): «أنا أخوك فلم أنكرتنى؟: ما الشام ومصر إلا توأمان أبوهما واحد، يسوء الاثنين ما ساء

(١) الأستاذ ص٢٦١. (٢) الأستاذ ص٢١٤.

(٣) د. على الحديدى: المرجع السابق ص٣١٥.

(٤) نفس المرجع ص٣٥٢ ـ الأستاذ ص٣٨٥.

(٥) نفس المرجع ص٣٥٣، الأستاذ ص٥٠٠٧.

أحدهما، فَلِمَ تنافرَ أبناؤهما وانحاز السوريون فى جانب بعيد عن المصريين وإن ساكنوهم فى مصر؟ ألم يكن الأجدر بنا أن نصرف علومنا ومعارفنا وقوانا العقلية فى صلاح بلادنا وبث روح العلم والحياة الوطنية فيها؟ أبراتب قدره عشرون جنيها يبيع المرء منا أخاه ووطنه بل جنسه ودينه؟ أم بكلمة تغرير نصرف حياتنا فى خدمة الأجنبى لنعينه على إخواننا لينتقم منهم بغير ذنب ويجنى على غير جان.. ولو اجتمعت كلمتنا، وتوحدت وجهتنا، وائتلفت نفوسنا، وصفت بواطننا، وصرفنا هذه الهمم فى وحدة الوطنيين، وإعلاء كلمة الجنس العربى، لحسدتنا المعالى ووقفت أوروبا تنظرنا بعين الإعظام والإجلال، ولكن قضت شقوة الشرقيين أن يكونوا كحطب النار يأكل بعضه بعضًا لينتفع الغير بنارهم.. واأسفاه على رجال قضى آباؤهم الدهور الطويلة يتبادلون العمران والاستيطان لا يفرق بينهم دخيل ولا يقطعهم عن بعضهم أجنبى، فجاءوا من بعدهم وخالفوا سيرهم، وحالفوا غيرهم، وخدموا الأجنبى بمساعدته على التداخل فى بلادهم، بل على الأستيلاء عليها، لا لعداوة بين الأمتين ولا لحرب جرت بين الوطنيين بل برغيف يحصله الزبال زخرفةيملكها الشحاذ.

«وإن قيل إن جامعة الدين[1] اضطرتهم، قلنا إن عز الاستقلال بالوطنية خير من الإذلال، فإن الأجنبى يغر الرجل منا حتى يصل به إلى غرضه، ثم يلحقه بغيره عند تمام الاستيلاء، ولا يعرف له حقًا غير خدمته، ولا يفرق بينه وبين من غايره ديناً فى الاستخدام والاستعباد. أنقول هذا وقتاً فنحصل فيه لذاتنا البدنية البهيمية ولا نبالى، جاء المستقبل على أهلناوإخواننا بالعز أو بالهوان؟. بئس ما يختاره الرجل لنفسه من أن يطعم لقمته مغموسة فى دماء جنسه وإخوانه..»[2].

---

(١) يشير إلى أصحاب المقطم والمستعمرين ،د. على الحديدى، المرجع السابق ص٣٥٣.

(٢) نفس المرجع ص٣٥٤.

وتحددت بمقالات النديم فى (الأستاذ) المعارضة الصحفية القوية ضد الاحتلال، وأخذت الصحف الوطنية تحذو حذوه وتسير على نهجه وتتبع خطاه[1].

رأى النديم تفكك الرأى العام وجهله نتيجة سياسة الاحتلال فكتب تحت عنوان: **«طريقة الوصول إلى تكوين الرأى العام»**، يطالب الكبراء والوزراء بأن يستقبلوا الناس ويعقدوا الاجتماعات، ويناقشوا الموضوعات الاجتماعية والسياسية، ومن الحسن أن كلمة التقوى هى الوفاء بالعهد، وقد أضيفت الكلمة إلى التقوى لأنها سبب التقوى وأساسها[2].

وقال تعالى: **﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾**[3].

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (127) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[4].

---

(1) المرجع السابق نفسه ص٣٥٥.

(2) الكشاف ٢/ ٩٨ ـ الحوفى: المرجع السابق. ص٤٩.

(3) الأنفال: ٥٦.

(4) النحل: ١٢٧ ـ ١٢٨.

الفصـل الثالـث

المقاومة الصحفية ومفهوم «الوحدة»

كان للإحســاس بالمقاومة وقر شــديد فى نفوس المصـريين يحرك اتجاهــاتهم الوطنية والسياسية، مما عرفناه جليا فى سيرة الصحافة المصرية.

ذلك أن الثورة العرابية، التى تمثل فـيها الرأى العام المصرى الناشىء، جاءت نتيجة لهذا الـظلم الذى ناء به المصريون وباعد بينهـم وبين الأسرة الحاكمة. أو بعبارة أدق، كان هذا الـظلم أهم عامل حرك الرأى العام فـى ثورة، انتهت إلى المطالـبة بحق الأمة فـى الدستور والحكـم النيابى والمـساواة التامة فـى الحقوق والواجبات، تلك المساواة التى «يكفلها الدستور كما يكفل العدالة للجميع أمام القانون»[(١)].

وتأسيســاً على هذا الفهم، يمـكن القول إن **الدوافـع التى أدت إلى ظـهور الرأى العام فـى مصر**، كانت هـى نفسهـا العوامل الـتى أدت إلى قيـام الثورة العرابية، **وأول هذه العوامل**: «التدخل الأجـنبى فى مصر، الـذى كان من آثاره ظهـور المحاكم المختـلطة والامتـيازات الأجـنبية. وصنـدوق الدين. والمراقـبة الثنـائية. والوزارة الأوربـية، وما إلى ذلـك من الأحداث الهـامة المعروفـة فى تاريـخنـا المصـرى الحديث، وهـى الأحداث الـتى أثارت شـعور المـصريـين، وأحفظتهم إلى حد بعيد **وثانى هـذه الدوافع**: استبداد الحكم المـصرى منذ أيام محمد على استبدادا قويا كان له أثره فى نفوس الشعب فى ذلك الوقت[(٢)].

والثالث: من هذه الـدوافع: تلك الأزمـة التى حدثـت بين الخديـو والباب العالى بسـبب جفوة دبّت بينهمـا، وذلك عندما رغب إسماعيـل فى الإستقلال عن تركيا. ففى أثناء هذه الأزمة طفق الباب العالى يندّد بأعمال إسماعيل ويكيل

(١) نفس المرجع ص٢١، ٢٢، لطفى السيد فيلسوف أيقظ أمة؛ هيئة الكتاب، السابق.

(٢) د. عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكل، القاهرة، هيئة الكتاب.

ضده التهم الخطيرة. وقد استنبطت جريدة البروجريه الفرنسية من ذلك: «أن المصريين بدءوا يهتمون بالسياسة[1]، فإنهم بدءوا يترقبون الأخبار الواردة من الآستانة، ويعلقون عليها، وأن الرأى العام بدأ يتكون فى مصر».

والرابع: من تلك الدوافع: الدستور الذى منحه السلطان عبدالحميد الثانى فى تركيا، فقد شجع ذلك المصريين على المطالبة بمثل هذا الدستور[2] على أن الحركة الدستورية فى مصر لم تكن وليدة الظروف التى ساقت إليها، وأولها الأزمة المالية والتدخل الأجنبى، بل أعمق جذوراً من ذلك، إذ ترجع إلى ظهور طبقة جديدة من الأعيان المصريين أتيح لها أن تشارك مشاركة محدودة فى شئون البلاد عن طريق مجلس شورى النواب الذى كونه إسماعيل ليبدو فى نظر الغرب حاكما دستورياً مستنيرا، كما ترجع إلى حركة فكرية جديدة كان رائدها جمال الدين الأفغانى أسهمت بدورها فى دفع هذا الرأى العام، وغذتها صحافة ناشئة نشطة وشباب مستنير أخذ يلتف حول داعية الشرق العظيم - كما تقدم - وكان لامتداد الموجة الغربية إلى مصر واتصال مصر بأوربا وظهور طائفة من الشباب تعلم فى الأزهر وفى المدارس الحديثة أثرها البعيد فى ذلك، فقد أخذ هذا الشباب يعنى بشئون بلاده ويبرم بالسياسة العشوائية التى يسير عليها إسماعيل، ولا يجد متنفسا لإعلان سخطه على استبداده وجوره إلا فى مجالسه وندواته الخاصة التى وجد الأفغانى فيها أعظم منتدى لأفكاره وتعاليمه.

وعلى ذلك يمكن القول إن التقاء التيار الأوربى بالتيار الشرقى إلى جانب هذه العوامل قد هيأ الجو لظهور الرأى العام المصرى، وتكوين العقل المصرى الحديث. وهى كما يتضح نفس العوامل التى أدت إلى قيام الثورة العرابية لتعبر عن ذلك كله.

وتخلص من ذلك إلى أن هذه البيئة هى البيئة الفكرية والسياسية

(١) د. عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين، القاهرة، هيئة الكتاب.

(٢) د. عبداللطيف حمزة: السابق ٣ ص١٢ - نقلا عن كتاب تاريخ العصر الحديث لمحمد صبرى ص١٤٤ - البروجريه ٢٥/ ١٢/ ١٨٦٩.

والاجتماعيــة الصالحة لظهور الفن الـصحفى بوجه عام، وفن المقـال الصحفى بوجه خاص.

ذلك أن أهـم مظهـر من مظـاهر تلـك البيـئة هو ظـهور الصحافة الـشعبية الحقيقية، كـما تقدم، وقد صدرت جريدة وادى النيل سنة ١٨٦٦ ـ فـى نفس السنة التـى أنشأ فيها إسماعيل مـجلس شورى النواب ـ وكانت هذه الـصحيفة شعبية من حيث الشكل فقط، ولعـل إسماعيل قد أوحى بإصدارها إلى عبدالله أبى السعود لـكى يحارب بها التدخل الأجنـبى والدولة العثمانية، ولـكى يظهر بالمظهر الأوربى الذى كان يرنوا إليه. وأبلـغ دليل على ذلك أنه لم يطق جريدة نزهة الأفكار لعثمان جلال وإبراهيم المويلحى فأغلقها بعد صدورها مباشرة سنة ١٨٦٩. وأمـا جريدة الأهرام الصـادرة سنـة ١٨٧٥، وجريـدة مصـر لأديب إسحق الصادرة بوحى من جمال الدين الأفغانى سنة ١٨٧٧، وجريدة التجارة لأديب إسـحق وسـليـم نقـاش الصـادرة فى سـنة ١٨٧٨، وجـريدة التنكيت والتبكيت الصادرة سنة ١٨٨١ بقلم الـصحفى الثائر عبدالله النديم ـ فهذه هى الصحف الشعبية الحقيقية التى فتحت صدرها لكتاب المقال الصحفى.

ومن ذلك ـ وعـلى سبيل المـثال لا الحصر ـ أن الـدور العظيم الـذى قام به محمد عبده في التمهيد للثورة، كان من خلال مقالاته فى الأهرام. ولعل هذا ما حمل الخديو توفيق، عندما نفى الأفغانى من مصر، عـلى أن يأمر محمد عبده بالإعتزال فى قريتـه التى لم يغادرها إلى القاهرة حتـى ١٨٨٠، حين عينه رئيس الوزراء رياض بـاشا فى بـادىء الأمر محـرراً فى «الوقائع المـصرية» ثم رئيسا لتـحريرها. وخلال سنتى الأزمة الـلاحقتين، لعب دوراً هامـا فى توجيه الرأى العـام بسلسلـة من المقالات عن الـنظام الاجتماعـى وخاصة عن التـربية الوطنية[1] كما تقدم.

على أن ظهور هذه الصحـف الشعبية بلغ بفن التحرير الـصحفى شأوا بعيداً من الرقى والتقدم، فقد كانت تكتب باللغـة العربية الفصحى، وكتب قليل منها

(١) حورانى: المرجع السابق ص١٦٦.

باللغة العامية، التى يفهمها الشعب المصرى، وقد عنيت جميعا بترقية اللغة العربية، كما أدى لجوء بعض الصحفيين الوطنيين المطاردين من قبل السلطة فى مصر إلى فرنسا، إلى الكتابة بحرارة «أكثر، وتدفق أعظم، وحرية أوسع، فجاءت كتاباتهم فى خارج مصر أجل وأوقع وأقرب إلى النضج الصحفى والنضج الأدبى من كتاباتهم». وكان من هؤلاء الأستاذ الإمام محمد عبده، الذى اشترك مع أستاذه جمال الدين فى إصدار وتحرير «العروة الوثقى» من باريس، والتى «أزعجت الإنجليز»، فحاربوها ومنعوها من دخول الهند». كما اتجهت هذه الصحف الشعبية بالمقال الصحفى إلى أن يعبر بصدق عن «الرأى العام الشعبى» فى مواجهة «الرأى العام الرسمى» الذى عبرت عنه المجالس النيابية والحكومات المصرية.

الأستاذ الإمام والعروة الوثقى ١٨٨٤[(١)]:

وكان لهذه الصحيفة أهداف تنحصر فيما يلى:ـ

أولاً: إفهام الشرقيين جميع الواجبات التى كان التفريط فيها موجباً لسقوطهم، وبيان الطرق التى يسلكونها لإدراك ما فات.

ثانياً: إفهام الشرقيين كذلك أن الأمل فى النجاح قريب ولا داعى فى بلوغ ذلك إلى قطع دائرة عظيمة، تصورها يوجب الفتور ويحط من العزائم.

ثالثاً: دعوة المسلمين كافة إلى التمسك بالأصول التى كان عليها الآباء والأسلاف. فلا يصلح آخر هذا الأمر (يريد أمر الدين) إلا بما صلح به أوله.

والمثل الأعلى للمسلمين فى نظر العروة الوثقى هو ما كان عليه الإسلام فى عهد الخلفاء الراشدين.

رابعاً: إبطال الزعم بأن المسلمين لا يتقدمون فى مضمار الحياة ما داموا متمسكين بدينهم لأن دينهم فى نظر من لا يفهمونه من الأوربيين يدعو إلى التواكل.

---

(١) د. عبداللطيف حمزة: قصة الصحافة العربية ص٤٧.

خامساً: تقوية الروابط بين الأمم الشرقية وتأييد المصالح المشتركة بينهم.

سادساً: وصل الشرقـيين بما يهمهـم من الأخبار العامة والأخـبار الخاصة. ووصلهم كذلك بسياسة الدول الأجنبية تجاه الشرق.

صرح الرجلان بأهداف الجريدة بهذه الطريقـة الصريحة الجريئة، فسرت بين الشرقيـين سريان البرق. وتـنافسوا جميـعاص فى اقتنائـها وتسابقوا كـذلك فى اعتناق أفكارها وآرائـها. ونجحت الجريدة بالفعل في شفاء المـسلمين من مرض (الوهم) الذى تسلط على نفوسهم وخيل إليهم أنهم أصبحوا لا يستحقون نعمة الحرية.

وفى مجال هذه الأفكاروالآراء دارت مقالات الشيخ محمد عبده التى نشرها فى **العروة الوثقى**، وحملت هذه المقالات طابع الـدرس والشرح لجميع العلل التى أصابت العـالم الإسلامى فى ذلك الوقت وكان من أخطـر هذه العلل فى نظر الشيخ سوء فـهمهم (لعقيدة القضاء والقـدر) ـ أو على الأصح ـ سوء فهم الأوروبيـين لهذه الـعقيدة الـتى يعتـنقهـا جمهور المـسلميـن، واعتقاد أولـئك الأوروبيين أنها سبـب فى تأخر المسلمين ووقوعهم فريسـة للاستعمار الأوروبى الذى زعم أنه يقودهم إلى العلم والحضارة.

قال الشيخ:

«الاعتـقاد بالقـضاء والقدر إذا تجـرد من شجاعـة الجبر تـتبعه صفـة الجرأة والاقدام، وخلق الشجاعـة والبسالة، ويبعث على اقتحام المـهالك التى ترتجف لها قلوب الأسـود وتنشق منها مرائر الـنمور. هذا الاعتقاد يطبـع الأنفس على الثبات واحتـمال المكاره، ومقارعة الأهوال، ويـحليها بحلى الجـود والسخاء، ويدعوهـا إلى الخروج من كـل ما يعز علـيها. بل يحـملها عـلى بذل الأرواح والتخلى عن نضـرة الحياة، كل هذا فى سبيل الحق الذى دعاهـا للاعتقاد بهذه العقيدة».

يقول الأستاذ عمر الدسوقى إن جريدة (العروة الوثقى): «دليل آخر على أن عزيمة السيد جمال الدين لا تفتر، وعلى أن اليأس لم يبلغ فى نفسه مبلغاً يثنيه عن أداء رسالته، وقد كان من رأى الشيخ محمد عبده أن هذا الجيل من المسلمين، الذن يدعونه للرشاد واليقظة جيل فاسد لا رجاء فيه، وأن الأولى أن تنشأ مدرسة يربى بها عدد محدود من خيار الشباب يقودون الأمة فيما بعد لما فيه خيرها ونفعها، ولكن هذه الفكرة لم ترق للسيد، ورأى فيها تثبيطا للهمم، حتى ليبدو متعجّلاً قطف الثمرة لهذه الغراس التى أودعها المتصلين به، وأصر على أن يوجه الدعوة إلى الجيل الحاضر من الناس فى صورة جريدة العروة الوثقى، يكون له فيها الفكر المدبر والعقل المسيطر، وللشيخ محمد عبده القلم المحرر واللسان المعبر، ولميرزا محمد باقر الترجمة من الصحف الأوربية، ونقل كل ما يهم الشرق والإسلام[1]: وصدر من الجريدة ثمانية عشر عدداً، كانت شعلة ملتهبة متوهجة من الحماسة والآراء الحرة الجريئة، وكانت حربا شنها جمال الدين وزميلاه على الاستعمار الجشع؛ وكان طبيعياً أن يحاربها الاستعمار خشية أن تفسد عليه تفرده بالغنيمة وقتله الشعوب التى وقعت فى قبضته، فمنعها من دخول الهند ومصر[2]. ولما شعر السيد وزميلاه أن الأعداد لا تصل إلى أصحابها إلا فى النادر، وأنه قد حيل بينهم وبين وصول صورتهم إلى آذان الناس فى مصر والشرق عطلوها، وإن لم يمت أثرها حتى اليوم.

سميًا الجريدة: (العروة الوثقى) لتكون لسان حال الجمعية السرية التى أسساها لتكون أداة من الأدوات القوية فى أداء رسالتهما. فكانت الصحيفة الأولى فى مادتها ولغتها ومعانيها ومراميها وقوة انتشارها، على ما كانت تحاط به من الرقابة الإنجليزية الواعية.

يعرف بالبداهة أن هذه الجمعية السرية كانت تمد الجريدة ماديا بما تستطيع،

(١) تاريخ الإمام جـ٢ ص٢٢٩، والمنار جـ٨ ص٢٥٥.

(٢) المنار جـ٢ ص٤٦٢ ومشاهير الشرق جـ٢ ص٥٧. عمر الدسوقى: الأدب الحديث جـ١ ص٢٧٠.

كل علـى قدر طاقته، فـصدر منها ثـمانية عشـر عددا، أولها فى الخـامس من جمادى الأولى عام ١٣٠١ هـ، وآخرها فى الـسادس والعشرين من ذى الحجة من العام نفسه.

وعلـى هذه الأسـس قامـت جريـدة (العروى الـوثقى)، تنـظر إلـى العـالم الإسلامى كله على أنه وحدة.. مع مراعاة جانب الشرقيين عموما. وقد قالت فى ذلك:

«بلغ الأجـحاف بالشـرقيين غايـته، ووصل العدوان فـيهم نهـايته. وأدرك المتغلب علـيهم نكايته، خصوصا فى المـسلمين منهم، فمنهـم ملوك أنزلوا عن عروشهـم جورا، وذوو حقـوق فى الأمرة حرموا حقوقهم ظلـما، وأعزاء باتوا أذلاء، وأجلاء أصبحوا حقراء، وأغنياء أمسـوا فقراء، وأصحاء أضحوا سقاما، وأسود تحولت أنعاما..».

ثم تؤكد فى كل مناسبة أنها للشرقيين عامة. ومن ذلك قولها: «... عملها (الجريدة) سكـب مياه النصح علـى لهيب الضغائن، لـتتلاقى قلوب الشـرقيين عموما علـى الصفاء والوداد. تلتمـس من أبناء الأمم الشرقية أن يـلقوا سلاح التنازع بنهم، ويـأخذوا حذرهم وأسلحتهم لدفع الضوارى الـتى فغرت أفواهها لالتهامهم».

ومن المعروف أن السيد جمال الدين الأفغانى لم يكن يكتب بـيده شيئا، وإنما كان يملى ما يريـد إملاءه على من يكتب له. غير أنه فـى (العروة الوثقى) كان يدرس فكرة كل مقال مع الشيخ محمد عبده إلى أن تستوى الدراسة وتنضج، ثم يترك للشيخ الكتابة وحده.

وصف الجريدة:

وقد كثر الواصـفون للعروة الوثقى فـى أيامها. وممن وصفوها حـق وصفها الأمير شكيب أرسلان. وصفها فى معانيها، ووصفها فى أسلوبها.

قال فى الوصف الأول:

ومعان لو أوحيت لجماد
هزه الشوق نحوها والغرام
حيرت كل ذى حصاة إلى أن
قيل لا شك إنها إلهام

وقال فى وصفها الثانى:

كلام إذا ألقيته فى جماعة غدا
منك مثل اللؤلؤ الرطب ينسق
عليه من النور الإلهى مسحة
تكاد على أرجائه تتألق

١ـ روى السيد رشيد رضا أنه سمع من محمد بك على قوله:

«كنت فى بغداد فى عهد صدور العروة الوثقى، وكانت ترسل إلى الزعيم العربى الأكبر السيد سليمان الكيلانى نقيب السادة الأشراف، وكان يقول كلما جاءه عدد منها: يوشك أن تقع ثورة من تأثير هذه الجريدة، قبل أن يجىء العدد الذى بعد هذا:

٢ـ كما روى السيد رشيد أيضا ـ «سمعت أستاذنا الشيخ (حسن الجسر) ـ عالم سورية الوحيد فى الجمع بين العلوم الإسلامية، ومعرفة حالة العصر السياسة والمدنية ـ يقول:

(ما كان أحد يشك فى أن جريدة العروة الوثقى ستحدث انقلابا عظيما فى العالم الإسلامى لو طال عليها الزمن).

٣ـ ويقول لنا السيد رشيد رضا:

(والذى علمته عن نفسى بالخبرة، ومن غيرى بالخبر، ومن التاريخ، أنه لم

يوجد لكلام عربى فى هذا العصر، ولا فى قرون قبله ما كان لها (الجريدة) من إصابة مواقع الوجدان من القلب، والاقناع من العقل.

٤ـ ويحدثنا السيد عبدالقادر المغربى عضو مجمع اللغة العربية:

«... فالأفغانى وعبده كانا يريدان أن يكون لهؤلاء الضعفاء المسلمين ـ دولة قوية مع مراعاة تعاليم الإسلام، هذه الفكرة التى تلقفتها من العروة الوثقى اختمرت فى نفسى، واستولى سلطانها على شعورى وحسى، فأعطيت العروة كل وقتى، دراسة وتفهما».

هذه بعض أقوال المعاصرين للعروة الوثقى ـ فى تقديرهم لها، وفى أثرها فى نفوسهم، وما تركت فى ذلك أكثر مما ذكرت.

يقول الأستاذ حسن الشيخة:

«وإن تعجب فعجب، أن يثور الإنجليز على جريدة كانت لم تظهر بعد. وكان من أمرهم فى ذلك أن مراسلى صحفهم فى باريس علموا أن جريدة للسيد الأفغانى والشيخ محمد عبده ستظهر فى هذه المدينة، فأخذوا ينقلون هذا الخبر إلى لندن وكأنه من الأخبار الدولية الهامة..! حاثين دولتهم على محاربة هذه النية من الرجلين، ولكن الله قدر للجريدة أن تظهر، وأن تنتشر، فترسل إلى مصر والهند والسودان والعراق وشمال إفريقية وسورية والملايو، وغيرها، ولكن الإنجليز كانوا يتعقبونها خطوة خطوة ـ إلى أن حملوا مجلس وزراء مصر على أن يمنع دخولها. وقد جاء فى عددها التاسع (٢٥ رجب سنة ١٣٠١) الخبر الآتى:

«انعقد مجلس الوزراء بالقاهرة، واهتم بالبحث فى شأن (العروة الوثقى)، ثم أصدر قرار منع الجريدة من دخول الأقطار المصرية.

ثم أخذوا يقفلون الأبواب الأخرى فى وجهها، فمنعوا دخولها الهند والسودان، وكل بلد لهم نفوذ فيه، فلم يجد الرجلان العظيمان بدا من أن

يقفاها عن الصدور، وبذلك انتهت رسالـتهما فى باريس، ثم افترقا إلى الأبد، ولم يلتقيا.

لغة الجرائد واتجاه التجديد:

على أن هذه المرحلـة فى تاريخ الصحافة المصريـة تشهد مولد اتجاه تجديدى قوى فى مواجهة الاتجاه الكلاسى القديم، يخط معالم جـديدة للتطور، ويدفع النهضة إلى استلهام التراث القديم فى عصور الازدهار ويعيد النظر فيه، ويوازن بينه وبين تـراث الأمم الأخرى فى سياق المقاومة الوطنيـة، فحاولت جاهدة أن تتحرر مـن الأساليب التقـليدية الموروثة، وأصـبحت المدرسة التجديدية قادرة على استخدام فنـون التحرير الصحفى بلغة هى مع ذلـك «أصلح لكتابة الأدب أو الكتب مـنها لكتابـة الصحف». وترتبـط هذه المدرسة التجـديدية فى بيئـتها العامة، بدعـوة السيد جمال الديـن الأفغانى، ونشـأة الحزب الوطـنى الأول، وروح الثورة التى سبقت الثورة العرابية؛ وكـان لهذه البيئة أثرها فى بلوغ المقال الصحـفى «رقيا ظاهـرا فى الموضوع، ورقيا أشـد منه ظهوراً فـى الأسلوب».
فاتسعت دوائر الاهتمام فى موضوع المقال لتشمل إلى جانب الاهتمام الأدبى أو الـثقـافـى جوانـب أخـرى تـتـصـل بـالمجتـمـع، وبالأخـلاق، وبـالشـورى وبالسياسة، وبالـفتن الداخلية والخارجية. إلخ. كما ارتفـع الأسلوب كثيرا عن المستوى الذى انتهـت إليه المدرسة التقليدية الأولى، حيـث تحللت هذه المدرسة التجديدية مـن قيود السجع إلى حد بعيـد، وأخذت تقترب شيئا فشيـئاً من لغة الشعب»[1]. وذلك بتأثيـر من الأستاذ محمد عبده وحركته الإصلاحية. الذى استطاع ومعه سعد زغلول وعبدالكريم سلمان «أن يكتبوا فصولا لا تخلو من آثار القديم، فيـها السجع وفيها تكلف الـبديع والبيان، ولكنها بعـيدة كل البعد عما كان يكـتب فى أوائل القرن الماضى وفى منـتصفه أيضا، فيها حريـة لفظية ومعنوية ظـاهرة، وفيها اختيار الحر من الـلفظ واجتناب المبتذل، وفـيها طموح إلى الجديد لم يـكن يألفه الكتاب المصريـون من قبل». بحيث كان التـقليديون

(١) الدكتور طه حسين: حافظ وشوقى ص٧٠.

يقع أسلوبهم تحت وطأة التشبيه القديم والمثل الموروث، ولكنهم فى مواجهة التجديديين اتجهوا اتجاها كلاسيا جديدا يرجعون فيه «باللغة إلى ما قبل العصر العباسى، أو إلى عصور الصحة والسلامة والبراءة من الفساد والعجمة، ولكن هؤلاء الكتاب، ومنهم توفيق البكرى، غلبت على فنهم الأدوات الموروثة من عهد بعيد مما حدا بالأستاذ العقاد إلى أن يقول: «إن الصنعة أفسدت الطبيعة»(١) أما السجع فقد بدا يتراجع تحت وطأة الهجوم المستمر لكتاب العصر. ومن الطريف أن تجد كاتبا كالشدياق يهاجم السجع بقوله «السجع للمؤلف كالرجل من الخشب للماشى، فينبغى لى ألا أتوكأ عليه لئلا تضيق بى مذاهبه»(٢). ولكنه يتمسك به فى كثير من مقالاته التى جمعها فى كتابه: «الساق على الساق». ومن الواضح أن الهجوم على السجع كان من جانب كتاب الصحف الذين اضطروا بحكم وسيلتهم إلى أن يتخلصوا منه، خاصة إذا كانت الكتابة تتعلق بالأخبار والأحداث(٣). وفى مواجهة اتجاه التجديد، شحذ أصحاب المدرسة الكلاسية ثقافتهم اللغوية حرصا على اللغة العربية وحماية لها من الحرية والتساهل والمحافظة على الأصول، والحملة على التجديديين من الكتاب الذين كانوا يضطرون أحيانا إلى استخدام ألفاظ ومصطلحات لم ترد فى متون اللغة. وذلك ما نراه عند إبراهيم اليازجى فى السنة الأولى من مجلته (الضياء) سنة ١٨٩٩، حين ينشر سلسلة مقالات فى لغة الجرائد، ثم فى السنة الثانية منها سلسلة أخرى فى أغلاط المولّدين. وفى كلتا السلسلتين جرى مجرى الحريرى فى كتابه «درة الغوّاص» فكان يشدّد فى نقده حتى ليمنع الصحيح إذا كان أضعف اللغتين. ومن قوله فى لغة الجرائد: «لا نزال نرى فى بعض جرائدنا ألفاظا قد شذت من منقول اللغة فأنزلت فى غير منازلها واستعملت فى غير معناها، فجاءت بها العبارة مشوهة وذهبت بما فيها من الرونق وجودة السبك. والعجب أنك كثيرا ما ترى أناسا من متقدمى الكتاب يعتمدون أحيانا

(١) عباس محمود العقاد: شعراء مصر وبيئاتهم ص٦١.
(٢) الساق على الساق ص٥٢ وما بعدها.
(٣) الدكتور ماهر حسن فهمى: محمد توفيق البكرى ـ أعلام العرب ص ١٣٦.

التقليد وربما قلدوا من هو دونهم من أصاغر أهل الصناعة، حتى فشا النقل بين تلك الطبقات كلها وأصبح كثير من ألفاظ الجرائد لغة خاصة يقتضى معجما بحاله. ولما كان الاستمرار على ذلك مما يخاف منه أن تفسد اللغة على أيدى أنصارها والموكول إليهم أمر إصلاحها، وهو الفساد الذى لا صلاح بعده، رأينا أن نفرد لذلك هذا الفصل نذكر فيه أكثر تلك الألفاظ تداولا وننبه على ما فيها مع بيان وجه صحتها من نصوص اللغة»[١]. ونحن لا ننكر على الكلاسيين غيرتهم على اللغة ولكننا نأخذ عليهم ما أخذه الخفاجى على الحريرى من تقيدهم الحرفى أحيانا بظواهر النصوص أو رفضهم القياس والمجاز أو انحرافهم إلى مذهب دون مذهب، من مقتضيات لغة الاتصال بالجماهير. ولذلك يحرص الأستاذ الإمام على معالجة مشكلة الكتابة؛ التى أخذ عليها أن تكون «مغلقة الألفاظ، غامضة المعانى، مختلة التراكيب، لا يقتدر المطالع على حل رموزها، ولا تمكن من فك طلسماتها إلا بعد أن يجهد نفسه ويمعن الفكر، ويدقق النظر، ومع ذلك لا يخلو الحال من الخطأ فى فهم المقصود مما نواه الكاتب منهم»[٢] واشترط لصحة الكتابة أن تكون سهلة العبارة واضحة المقصود، وإن كانت بالألفاظ الملحونة، وأن يكون موضوعها واحداً، خالية من التقييد والتطويل مما لا يحتاج إليه الكلام»[٣].

ومن ذلك يبين أن بدايات التجديد فى الصحافة العربية، قد انتشلت لغة الكتابة من وهدتها، وبثت روح الحياة فيها، وإن ظلت الصحافة تكتب بطريقة أدبية عالية، مما جعل «الفاصل بين الصحف الأدبية والصحف الخبرية غير واضح تماما فى هذا الجيل، لأن معظم المحررين، كانوا يكتبون بلغة أدبية»[٤]، ولعل صدور الصحف اليومية قد عجل فى وضع هذا الفاصل، ولم يعد هناك متسع للتأنق فى العبارة، وكان أسبق الصحف اليومية إلى الظهور «الوقائع

(١) لغة الجرائد. علم الإعلام اللغوى؛ مؤسسة لونجمان ومكتبة أبو الهول ـ القاهرة.

(٢) الوقائع المصرية: ١٠ ربيع الأول ١٢٩٨هـ.

(٣) نفسه.

(٤) الدكتور محمد فياض: الصحافة الأدبية ص١٠.

المصرية» وقد تولى الأستاذ الإمام تحريره في ١٩ أكتوبر ١٨٨٠ ثم تلاها في الأهرام في ٣ يناير ١٨٨١، وهنا نجد أن الأستاذ الإمام قد خطا بالتحرير الصحفي خطوة كبيرة، تجعلنا نتصور خطا فاصلا بين مدرستين أولاهما تقليدية والأخرى تخطو خطوات سريعة نحو التجديد، الأولى تعيش القرن التاسع عشر، والأخرى تستشرف مطلع القرن العشرين، وليس الأمر بالنسبة إلينا كذلك فقط، لأن الأستاذ الإمام يقف موقف الريادة من الجيل الجديد الذى ينهض بالمدرسة التجديدية في مرحلة الجهاد الوطنى من مراحل الصحافة المصرية، والذى يرتبط بالبيئة الحديثة، التى فى تمثلها التيارين القديم والحديث جميعا، والتى تتمثل كذلك اتجاهات الإمام الوطنية والتطورية والمصرية «المتأصلة الجذور في تقاليد بلاده»[1] منذ بشر بهذا العنصر القومى فى مقاله الأول بجريدة الأهرام عن الماضى العظيم لمصر [2]، والذى تغذيه روابط التاريخ والمصالح المشتركة بين الذين يعيشون فى البلد الواحد رغم اختلاف الأديان، واعتقاده أن الوحدة ضرورية فى الحياة السياسية؛ وأن أقوى نوع من أنواع الوحدة القومية إنما هو وحدة الذين ينتمون إلى البلد الواحد، أى ذلك المكان الذى لا يعيشون فيه فحسب، بل يجدون فيه أيضا مجالاً لممارسة حقوقهم وواجباتهم العامة وموضوعا لمحبتهم وعزتهم[3].

محمد عبده والتحرير الصحفي:

وعلى ذلك فإن الدور الذى قام به الأستاذ الإمام بالنسبة للتحرير الصحفى يرتبط بنواح ثلاث: **الاصلاح الدينى، وإصلاح اللغة العربية، والإصلاح السياسى.** أما **الأمر الأول** فهو أمر عظيم كما يصفه فى حياته: **تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة،** واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى.. وأما **الأمر الثانى فهو إصلاح أسلوب اللغة العربية فى التحرير**: «وهناك أمر كنت من دعاته والناس جميعا فى بعد عن تعقله: ذلك

---

(١) ألبرت حورانى: مرجع سبق ص١٩٢.

(٢، ٣) رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام جـ٢ ص١٥ ـ ج١ ص٨.

هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب. وما للشعب من حق العدالة على الحكومة.

«جهرنا بهذا القول والاستبداد فى عنفوانه، والظلم قابض على صولجانه، ويد الظالم من حديد، والناس كلهم عبيد له أى عبيد».

هذه بعض جوانب الإصلاح التى نهض الأستاذ الإمام للعمل عليها وتحقيقها، من خلال مذهبه الاجتماعى والاصلاحى. إذ النضج السياسى لديه لا يتم إلا بالتعليم وخاصة التعليم الاجتماعى والصحافة النزيهة وتربية القادة فى مجلس الشورى وأمثاله[1]. فمذهبه فى الصحافة الوطنية يعتمد على العقل لا العاطفة ومثله فى هذا لا ينجح «فى الدعاية السياسة التى تعتمد على الشعور وإلهاب العواطف»[2].

(١، ٢) محمد رشيد رضا: مرجع سابق جـ١ ص ١١ ـ ١٢ الدكتور إبراهيم إمام: دراسات فى الفن الصحفى ص ١٩٨.

الفصل الرابع

الصحافة المصرية ومقاومة الاحتلال

١٨٨٩-١٩١٤

الفصل الرابع

الصحافة المصرية ومقاومة الاحتلال (١٨٨٩-١٩١٤)

يرى الدارس لحركة المقاومة فى الصحافة المصرية أن العوامل التى طورت التحرير الصحفى عما كان عليه فى صحافة النشأة، وخلصته من المماحكات اللفظية قد اطّرد نموه، وتضافرت على توجيهه وجهة أخرى غير الوجهة التى رأيناها عند التقليديين فى صحافة النشأة الأولى. وخلاصة ما يقال فيها إن حركة التجديد فى الصحافة قد وليت حركة اليقظة فى أوجها عند الأستاذ الإمام، وسارت فى تواز مع مسار الحركة الوطنية. وقد أدت هذه العوامل إلى ظهور نوع جديد من أدب المقالة، وهو المقال السياسى. وقد برع الكتاب فى المطالبة باستقلال الشعب وإزاحة الاستعمار عن كاهل المصريين واتسعت دائرة المقالة وتعددت ألوانها فظهرت المقالة الأدبية والمقالة الاجتماعية والمقالة النقدية(١). وليس من شك فى أن الصحافة صاحبة الحظ الموفور فى نشر الأدب والعلم وإنشاء النثر الحديث، ونعنى بالصحافة، ما يذهب إليه طه حسين، من أنها الصحافة كلها يومية وأسبوعية وشهرية. وحسبنا أن نلاحظ مع الدكتور طه حسين أن الصحافة المصرية إن كانت قد بلغت من القوة فى هذه الأيام حظا موفوراً، فهى بعد لم تستطع أن تتجاوز السياسة، وهى إن أثرت فى الأدب فمن طريق السياسة ومن السعى إلى السياسة(٢)، فأما الصحافة الأدبية والعلمية الخالصة، فإنها كما يذهب طه حسين، صحافة ترحب بضيوفها من المصريين وغير المصريين «وتجد فى تضييفها إياهم حياة وقوة».

الصحافة الوطنية وسياسة الاحتلال:

ساعد على فعالية المقاومة فى الصحف الوطنية تخطيط سياسة الاحتلال

---

(١) عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكل ص١٢.

(٢) الدكتور طه حسين: حافظ وشوقى ٦٨، ٦٩. عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين، ص٦٥.

الذى وضعه اللورد «دوفرين» وطبقه كرومر والذى تضمن: ترك شيء من الحرية النسبية للصحف تنفيساً عما قد يعنّ لمحرريها من آراء وملاحظات قد تفيد منها سلطات الاحتلال - مع إغفال قانون المطبوعات. ويرى بعض المؤرخين الإنجليز أن التفاتة اللورد وجدت صداها وتحققت معانيها حتى أهمل قانون سنة ١٨٨١ إهمالاً تاما ونالت مصر حرية صحفية لم تعرف فى شمال إفريقيا أو غرب آسيا»(١).

صحيفة المقطم:

وتحقيقا لهذه السياسة ذهب كرومر إلى أن تكون للاحتلال صحف تؤيد بقاءه صراحة لا ضمنا وتدافع عن أعماله وترد على معارضيه؛ وفى مقدوره أن يؤيدها ماديا وأدبيا، فأوعز إلى أصحاب «المقتطف» أن ينشئوا صحيفة يومية سياسية، تعبر عن المصالح البريطانية كما كانت الأهرام تعبر عن المصالح الفرنسية. فتقدم يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس إلى إدارة المطبوعات فى ١٨ إبريل سنة ١٨٨٨ يرجون الترخيص لهم بإنشاء جريدة «المقطم»(٢). كما تقدم.

ومضت صحيفة «المقطم» منذ صدوها تؤيد الاحتلال البريطانى وتشيد بسياسته وتدافع عن صنائعه من المصريين، وتنتهز كل مناسبة للنيل من الباب العالى. وفى ذلك تقول جريدة «الشعب» وهى تؤرخ للمقطم «إنه إنجليزى صرف وكل أعمال الحكومة ممدوحة لديه، وهو يترجم ويطبع تقارير المعتمد»(٣). وأعلن المستر «بلنت» فى أوربا «أن وزارتى الحربية والداخلية دفعتا لصحيفة المقطم مبلغا من المال لتدافع عن تصرفات الإنجليز فيها». ولعل فى ذلك ما يبين موقف هذه الصحيفة من الحركة الوطنية حين عادت إلى الانتعاش بعد سنوات من الاحتلال، وهو موقف يتضح من هجومها على الوطنيين؛ وعلى الخديو عباس الثانى الذى أيد الوطنيين فى بداية حكمه(٤).

(1) Young: Egypt PP. 150 - 151.

(٢) الدكتور إبراهيم إمام. دراسات فى الفن الصحفى ص٢٢.

(٣) الشعب: فى ٨ مايو ١٩١٠ - الدكتور إبراهيم عبده. تطور الصحافة المصرية ص١٩٤.

(٤) الدكتور إبراهيم إمام: دراسات فى الفن الصحفى ص٢٢.

وتتسم هذه المرحلة (١٨٨٩ ـ ١٩١٤) بـ «الصراع» فى كل نواحى الحياة المصرية، وينعكس هذا الصراع بوضوح على مرآة الصحافة، على اعتبار بديهى وهو أن الصحافة مرآة عصرها وزمانها.

فالاحتلال البريطانى يجثم على قلب مصر: ويصدر صحيفة «المقطم» كما تقدم.

وكانت هذه الصحيفة لسانا إنجليزيا صرفا يقف فى وجه كل دعوة وطنية، وما أيسر عندها أن تصف الوطنيين بـ «الخونة» وعلى هذا المقياس يمكن رد جميع مواقف هذه الصحيفة من الحركات الوطنية فى هذه المرحلة، وطوال المدة التى صدرت فيها. فقد بدأت حياتها بمهاجمة العرابيين، وقد مزق موقفها من حادث دنشواى القناع الشفاف عن وجهها، فهى ترى أن فى هذا الحادث التاريخى «عارا ارتكبه رعاع من أسفل طبقة وتأباها نفس كل مصرى وهى ضربهم الضباط بالعصى والطوب حتى جرحوهم وقتلوا واحدا منهم»[1]، ولم تأل المقطم جهدا فى الرد على كل ما يكتب عن بريطانيا والدفاع عن مصالحها فى مصر.

والواقع أن الصلة التى تربط المقطم بسلطات الاحتلال، لم تكن خافية على أحد، ولذلك كانت الجهات الحكومية تؤثرها على غيرها من الصحف، وبلغ الأمر بهذه الصحيفة أنها كانت تنشر أحيانا بعض الأحكام فى القضايا الوطنية قبل النطق بها بعدة أيام.

والصحف التى عاصرت المقطم لم تتجاهل هذه الصلة بين المقطم وسلطات الاحتلال.

جريدة الوطن:

وشارك المقطم فى الدفاع عن الاحتلال جريدة «الوطن» التى استقبلت

(١) المقطم: عدد ١٩ يونيو ١٩٠٦.

الاحتلال بحماس شديد[1]، وحملت على قيادة الثورة العرابية فى شماتة يشوبها شىء غير قليل من التعصب الدينى[2].

وقد وصفتها جريدة «الشعب» الوطنية كذلك، بأنها «سياسية احتلالية أكثر من المقطم، حتى أن محررها كان يدعو الإنجليز إلى ضم مصر إلى المستعمرات الإنجليزية ورفع الراية عليها - ولا يخلو عدد من أعدادها من الطعن فى الوطنيين والمسلمين وإيلام عواطفهم، وهو أول من أحدث الشقاق بين المسلمين والأقباط[3].

وكما رحبت بالاحتلال البريطانى وهزيمة العرابيين، هللت للحماية البريطانية على مصر سنة ١٩١٤، وهى تحمد الله «لأننا خلصنا من تهوسات الفتية الذين كانوا يطلقون على أنفسهم اسم «الحزب الوطنى» والوطن برىء منهم، أولئك الذين كانوا يدعون فى الظاهر بأنهم يريدون استقلال مصر عن كل سيادة. وفى الباطن يعملون لتسليم مصر للأتراك غنيمة باردة. وإذا كان المصريون قد جنوا كل هذه الثمرات الطيبة والإنجليز محتلون احتلالا مهددا بالانقضاء فكم ينتظرون من آيات السعادة والإنجليز باقون هنا إلى الأبد»[3].

صحف التيار الوطنى:

وفى مقاومة تيار الصحف الممالئة للاحتلال الأجنبى ممثلاً فى (المقطم) اتجه الوطنيون، إلى إصدار الصحف المقاومة؛ وقد صادف هذا الاتجاه ترحيبا من الخديو عباس حلمى الذى اتجه إلى كسب تأييد الرأى العام، والوقوف فى وجه المعتمد البريطانى، والرد على مفتريات الصحف الأجنبية.

وصدرت فى هذه الفترة صحف كثيرة منها:

---

(١) الشعب: عدد ٨ مايو ١٩١٢.

(٢) راجع: د. أحمد حسين الصاوى: معالم تاريخ الصحافة المصرية - محاضرات بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٦٣.

(٣) الشعب: عدد ٨ مايو ١٩١٢.

* صحيفة المؤيد: للسيد على يوسف سنة ١٨٨٩.
* صحيفة الأستاذ: للسيد عبدالله النديم سنة ١٨٩٢ .
* صحيفة المنار: للسيد رشيد رضا سنة ١٨٩٨ .
* صحيفة اللواء: لمصطفى كامل سنة ١٩٠٠ .
* صحيفة (الجريدة): لمحررها أحمد لطفى السيد سنة ١٩٠٧ .
* صحيفة العلم: وهى لسان الحزب الوطنى سنة ١٩١٠ .
* صحيفة الشعب: وهى لسان الحزب الوطنى كذلك سنة ١٩١٣ .

صحيفة المؤيد:

وصاحب هذه الصحيفة كما تقدم هو السيد **على يوسف**، كان شابا أزهرى النشأة، ثم بدا له أن ينتقل من الأزهر إلى الحياة العامة. وإذ ذاك اختار لنفسه مهنة الصحافة.

وما لبث الوطنيون إثر صدور **المقطم** أن أحسوا بأن ثمة فراغا فى الحقل الصحفى يجب أن يُملأ، حتى يمكن مواجهة هذا الاستعمار الصحفى للبلاد وقد عبر بوضوح عن مطامع الاحتلال البريطانى، ولذلك اتفقوا على إصدار صحيفة تكون لسانا لهم، ومن ثم ظهرت صحيفة «**المؤيد**» اليومية فى نهاية عام ١٨٨٩ .

ويمكن القول إن **طرفى الصراع** فى هذه الفترة هما **الاحتلال البريطانى**. بصحفه من جهة، ومن جهة أخرى: **الكفاح الوطنى** للشعب المصرى، الذى ما لبث أن تمخض عن **روافد ثلاثة**، تشكل أطراف الحركة الوطنية التى نهضت فى مواجهة الاحتلال البريطانى والنفوذ الأجنبى.

وكانت صحيفة «المؤيد» ممثلة للرافد **الأول** من هذه الروافد الوطنية الثلاثة، وما لبثت معالم هذا التيار أن تحدّدت واتسمت بسمات مميزة له عن غيره.

على يوسف وجريدة المؤيد

يقول أستاذنا د. عبد اللطيف حمزة:[1].

فى الثامن من شهر ربيع الأول عام ١٣٠٧ للهجرة، الموافق لأول ديسمبر عام ١٨٨٩ للميلاد أصدر الشيخ على يوسف جريدته، «المؤيد». من أولى الجرائد اليومية فى الديار المصرية. وهى وإن سبقها إلى الظهور ـ فيما نعلم ـ جريدتان يوميتان، هما جريدة (الأهرام) التى صدرت عام ١٨٧٥ ودامت إلى عهد الثورة العرابية، و(جريدة الطائف) لصاحبها السيد عبد الله النديم، لسان حال الثورة، فمن المحقق أن المؤيد هو أدوم الجرائد اليومية فى مصر فى القرن الماضى، وأطولها عمراً، وأجلها خطراً، وأعظمها أثرا، وأرفعها منزلة.

والحق أن صدور جريدة يومية لها هذا الخطر يعتبر حادثاً هاماً فى تاريخ مصر الحديثة يستحق فى الواقع كل التفات واهتمام، وخاصة إذا كان قد أقدم على مثل هذا العمل الخطير شاب أزهرى فقير كعلى يوسف، كان لا يملك من الوسائل المادية أو المعنوية ما يؤهله لتحمل هذه التبعة التى تثقل كواهل العصبة أولى القوة. وقد مر بنا بعض الصعاب التى اعترضته فى طريقه، ولكنه تغلب عليها بواحدة فقط من صفاته؛ هى **قوة العزيمة**.

ونحن حين نستحضر فى أذهاننا صورة رجل نشيط كان يوماً ما مديراً لسياسة جريدة كبيرة كجريدة المؤيد، وحين نستحضر فى أذهاننا طوائف الرجال العظماء الذين كانوا يختلفون إلى إدارة هذه الجريدة يوماً بعد آخر، وحين نستحضر فى أذهاننا كذلك صورة لشتى الأحاديث القيمة التى كانت تدور فى إدارة الجريدة، وفى حضرة مديرها ـ نقول: حين نستحضر فى أذهاننا كل ذلك نعرف أى رجل ذلك الذى كان يلتقى فى مكتبه بكل هذه العقول على اختلافها، وتنصبُّ فى جريدته كل هذه الأفكار على تباينها. ثم جاءت جريدته صدى لجميع هذه الأفكار والآراء، وكان على مدير سياستها إذ ذاك عمل هام؛ هو إحداث

(١) أدب المقالة الصحفية جـ٤ ص ٧٩ ـ ٩٠.

الإنسجام التام بين جميع هذه المواد، ثم تقديمها إلى جمهور القراء شرابا سائغا، وطعاما شهيا، بل معرضا جميلا لآثار العقل المصرى تارة، والعقل الشرقى تارة، والعقل الأوربى تارة، والعقل الأمريكى فى بعض الأحيان.

ولقد عبر الخديو عباس فى مذكراته عن ذلك فقال:

«كان المؤيد فى الواقع يحفل بالمقالات العظيمة بأسلوبها البارع وأفكارها العميقة. وكان الشيخ بأسلوبه اللاذع، وبلاغته التى لا تغيض، وعاطفته التى كان يطامن من غلوائها - لحسن الحظ - فلسفة إنسانية فائقة قد غدا أستاذاً بفضل اتصاله اليومى بالشخصيات البارزة فى كل علم وفن. وكان يتحدث إلى القراء فى مسائل تستثير مخيلاتهم، لأنها تمس مستقبل البلاد وتاريخها فى الوقت نفسه»[1].

وفى الحديث عن الظروف التى نشأ فيها «المؤيد» يجمل بنا أن نلفت النظر أولا إلى أن الاحتلال البريطانى فى مصر استطاع بنفوذه وجبروته أن ينشىء له جريدة مصرية عربية تتحدث بلسانهي، وتعبر عن آرائه واتجاهاته؛ وهى جريدة المقطم التى تم إنشاؤها عام ١٨٨٨. إذ ذاك عزّ على الوطنيين فى مصر أن يكون للإحتلال البريطانى فيها جريدة، ولا تكون لهم فى بلادهم مثل هذه الجريدة، وانتظر الناس يومئذ فى شوق وتلهف أن تصدر جريدة وطنية تناهض جريدة المقطم وتقف لها بالمرصاد. وحين أبدى الشيخ على يوسف رغبته فى إصدار جريدة «المؤيد» وجد معونة صادقة له من جانب الوطنين جميعا. وفهم الشيخ على يوسف منذ أول الأمر ما على «المؤيد» من واجب نحو هذا الوطن المحتل، وأدرك هذا المعنى إدراكا حسناً وقام على تنفيذه كذلك بضمير يقظ.

وهكذا ظهرت جريدة «المؤيد» فى الوقت الصحيح، واختار لها القدر الرجل الصحيح، واتخذت لنفسها إذ ذاك المنهج الصحيح. وهذه كلها خطوات وفق

(١) راجع جريدة المصرى بتاريخ الأحد ١٣ مايو سنة ١٩٥١.
د. عبد اللطيف حمزة: المرجع نفسه ص ٢٥.

فيها صاحب «المؤيد» توفيقـا عاد بالخير والبركة عـليه، كما عاد بالخيـر والبركة على أمته.

وافتتح الشيخ على يوسف أول عدد من أعداد جريدة المؤيد بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم

أفتتـح المقال بحمد مـن نسأله التأيـيد فى القول والـعمل، وأستهل بـبراعة الشكر لمن فى قوتـه أن يعصمنا فى كل الأحوال من الخطأ والـزلل. فله الحمد سبحانه خـط قلمه فى اللوح ما الـكل عليه الآن، وما يكون ومـا كان، ونثنى بميمون الصلوات على خير خلقه المبـعوث إلى كافة الناس بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسـراجاً منيراً، مؤيداً بـالحق المبين، ذى القوة المتـين، مدبر هذا العالـم، ومبدع نظام الأمم فى تـوجيه إرادة العمل إلـى إظهار جريدة سيـاسية يوميـة تلزم منهـج الحق أمام الخلق، وتـنادى على مـنبر الأمة بصـوت الذمة، تناجى القـراء بلسان عربى مبين خدمـة لأبناء الوطن وقياماً بواجـبات بلاد نحن صور هيولاها، وكنه حقيقة معناها.

أقول لك الأوطان وهـى عبارة يفسرها مـا قد حوته من النـاس. وما لنا ألا نقوم بشـعائر تطالبنـا بها الاحساسات الطبـيعية، والحاجات الوطـنية، ودواعى الحياة المدنية والأدبية، وكمال التحقق بحقـيقة وحدة الجامعة الجنسية. فنـألك اللـهم أن ترشدنـا إلى الخيـر ما أردنا وأحسـن ما تريـد؛ وأن تؤيدنـا بعنايـتك الصمدانية. فانك الفعال لما تريد؛ وأن توفقنا فى تأدية حقوق الخدم، لتأمن زلة القدم وذلة الـندم، ويامن إليك إنـابة الضعفاء فـى السراء والضراء أنت حـسبنا ونعم الوكيل.

مقاصد المؤيد

علـمنا الـدهر بمطالـعة الأخبـار، ووعظنـا بغرائب الآثـار، ودربنا بـالإنذار والاعتبار، وجلا عن قلوبنا ظلمات الجـهل، فأبان لنا أن أعمال السلف مدرسة

الخلف، نتلقى فيها أن خدمة الأوطان من أوجب الواجبات، وألزم الفرائض. من أضاعها قضت عليه شريعة الطبيعة بالحرمان الأبدى والشقاء الدائم.

فما قصدنا من نشر المؤيد إلا تأدية ذلك الفرض عن طهارة طوية، وإخلاص نية. وإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء مانوى، ولكل عامل وجهة يقصدها، عليها يكون الجزاء. وليس فى عمل العاملين، وجدّ المجدّين أبرّ، ولا أفضل من نصيحة مستنصح، وإرشاد مسترشد. وما دام الكل فى حاجة إلى التعاون والمشاركة فلا غنى لهم عن تبادل الأفكار، ومعرفة الأخبار، مما يدعو إليه صلاح شأنهم. وقوام معيشتهم.

والناس رجلان: حاكم ومحكوم، وبينهما مطالب متبادلة، وحقوق متكافئة. إن سكت عنها صريح المقال أبان عنها لسان الحال. ووظيفة الجرائد الصادقة فى البلاد شرح مطالب الفريقين، وترجمة أفكار الهيأتين.

والمؤيد جريدة وطنية يقصد أن تكون على هذا المبدأ سفير الخير، وبريد المطالب. وكما أنه سيشرح إحساسات الهيئة المحكومة مجتهداً فى إظهار ما بزواياها من خفايا الحاجات بين يدى الهيئة الحاكمة، وإن كانت هى أوسع علماً، وأصدق خبراً وأطول باعا، وأدرى بطلائع الأوقات، وأعرف بمواقع الحاجات. فكذلك يبين للأمة ما يحسن فيه الطلب، وينال به الأرب، ويسمع به النداء ويقبل عنده الدعاء، ويكون به استجلاب المنافع، وفيه رفع المضار، غير ناكث عهدا، ولا خافر ذمة. وكيف ونحن بعض من نطالب بحاجاتهم، ونعمل للحصول على مرضاتهم. ومهما جدً سوانا فى خدمتنا واجتهد، أو هجرت عينه الغمض فلا تقوم النافلة مقام الفرض، وليس من المروءة ألا نشارك من جاد علينا بخدمة الوطن، وندع نواظرنا لفتور الوسن.

فلا يسعنا إلا أن نقوم بهذا الواجب معترفين لمن سبقنا بما له من فضل السبق، وأحقية الشكر على ما أداه من الخدمة الجزيلة فى هذه البلاد.

فإليكم يا بنى مصر جريدة نشأت فى مهد الإخلاص حميدة المبدأ والغاية.

تناجيكم ولا تُسرّ النجوى لسواكم. وقد أخذت على عهدتها بث الأفكار المفيدة، والأخبار الصادقة، والمبادرة إلى نشر الحوادث الداخلية، من الإعتبار والتحذير، أو الترويج والتبشير، لأن الميل إلى اقتطاف الأخبار، والرغبة فى استطلاع ما يكون من الأفكار من ودائع الفطرة البشرية، غير تاركة شأن التجارة الداخلية والخارجية. بل من واجباتها البحث فى حقيقة الأسعار، ومبادلة التجار، والأخذ والغطاء، وحركات الأسواق، وهبوطها وصعودها، والنظر فى أسباب الارتفاع والانحطاط . ومن واجباتها نشر كل ما يهم الوطن معرفته من الحوادث معتمدين فى ذلك على البرهان القوى، والسند الثبت، والعقل والنقل، وحكم الظروف واختلاف المقال، ورعاية المصلحة الوطنية، والخدمة الحقيقة، بعد التروى الصادق، والبحث المدقّق، وإرسال النظر خلف كل سانحة. ونسأل الله العالى الأعلى أن يكشف عن بصائرنا حجاب الإلباس فى الأشياء، حتى نرى الحقائق كما هى، كيلا نضل ونشقى. والسلام على من اتبع الهدى.

(إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد).

ومضى الشيخ يكتب فى جريدته ويفسح المجال معه لكبار المصريين والشرقيين فى وقت معا، وما لبثت المؤيد أن أصبحت فى وقت قصير سجلا لتاريخ مصر السياسى، وتاريخها الإدارى، وتاريخها العلمى، وتاريخها الاقتصادى.

ولكن عز على أعدائها يومئذ أن يروها تنمو وتزدهر، وتنير السبيل لكل من يريد العمل فى سبيل هذا الوطن، فوضعوا فى طريقها العقبات؛ وحاكوا لها المؤامرات أملا فى القضاء عليها قبل أن تستأثر بحب الأمة، وتصبح جزءا من كيانها، وعنصراً من عناصر وجودها، وعاملاً فى نهوضها من كبوة الاحتلال البريطانى.

ومن الصعاب التى واجهت الشيخ على يوسف فى مستهل حياته الصحفية،

وهى الصعوبة التى نجمت عن اختلافه مع شريكه أحمد ماضى ونريد أن نمضى معه فى ذكر الصعوبات التى تغلبت عليها إرادة الشيخ وهزمتها، وأفسحت الطريق لجريدته فلبثت تعمل فى الميدان الوطنى قرابة ربع قرن.

فالثانية: من تلك الصعاب، أنه اتصل بمسامع الخديو توفيق بعد صدور الجريدة أن «المؤيد» لسان حزب وطنى يعمل سراً على عزله عن العرش، كما عزل إسماعيل من قبل، فأوجس الأمير خيفة من هذه الصحيفة، وفكر فى قتلها وهى فى مهدها. ولكن المنية عاجلته، فمات فى العام الثالث فقط من حياة هذه الصحيفة.

والثالثة: من تلك الصعاب التى واجهت صاحب «المؤيد» أن الحكومة المصرية أصدرت أمراً منعت فيه جميع الدواوين الحكومية أن تمد المؤيد بمعلومات رسمية مهما كان نوعها. وكانت الحكومة المصرية مدفوعة إلى ذلك بوحى من الوكالة البريطانية التى نظرت إلى جريدة المؤيد - بعد اجتيازه مرحلة الطفولة - على أنها جريدة وطنية مناهضة للسياسة البريطانية. فأرادت الوكالة يومئذ أن تفقد المؤيد قيمتها كصحيفة إخبارية، ليكون ذلك سبباً فى زوالها إلى الأبد.

والرابعة: من هذه المصاعب التى نشير إليها نظر الأجانب فى مصر والنزلاء والقناصل بها إلى هذه الجريدة على أنها نذير السوء، وعلى أنها كارثة حلت بالاحتلال الأجنبى فى مصر. وإذ ذاك لم يجد الأجانب ما يدخلون به على هذه الجريدة غير باب واحد؛ وهو باب التعصب الدينى الذى رموها به رمياً بغير تبصر أو تعقل. وانبرت جريدة المؤيد تدافع عن نفسها، وعن المصريين معها ضد هذه التهم الخطيرة، حتى أصبحت بعد قليل من الزمن لسان الشعب المصرى.

والخامسة: من الصعاب: «قلم المطبوعات». وكان سيفا مصلتا على رقاب الصحف عامة، وصحيفة المويد خاصة. وكان يرأس هذا القلم إذا ذاك بعض

الأجانب. فكان هذا الأجنبى يقعد للمؤيد كل مرصد، ويقسو عليها كل قسوة، ويناقشها الحساب لأتفه الأسباب.

وكان صاحب المؤيد قد عارض معارضة قوية فى إصدار قانون المطبوعات الجديد.

والسادسة: من تلك المصاعب خوف الباب العالى شر هذه الجريدة. وقد كان السلطان - يخاف كل شىء، بل يخاف على حد تعبير المتنبى غير شىء. ومنذ أن علم بأمر هذه الجريدة الوطنية الجديدة فكر فى إعادة التجربة التى جربت أيام سعيد، حين بعث السلطان يومئذ إلى القاهرة برجل يقال له (اسكندر افندى شهلوب) ليقوم فيها بنشر جريدة (السلطنة). وقد بعث السلطان فى هذه المرة (بحسن باشا حسنى) من الآستانة إلى القاهرة ليتولى فيها إصدار جريدة (النيل) لا لشىء إلا لمحاربة المؤيد وصاحبه فى ذلك الحين. ولكن مصير جريدة النيل لم يكن خيراً من مصير جريدة السلطنة. فقد سقطت الجريدة الأخيرة كما سقطت سابقتها فى مجال الصحافة. وهكذا حبط عمل السلطان، وبقيت «المؤيد» وحدها تملأ الميدان؛ والشعب المصرى من ورائها يؤيدها بكل قوته.

والسابعة: من هذه الصعاب: قضية التلغراف. وغيرها من القضايا التى شغلت بال الرأى العام، وهى القضايا التى كان يقف فيها الشعب المصرى فى جانب، وتقف السلطات الانجليزية نفسها فى جانب آخر، وكان الظفر فيها غالبا للشعب المصرى على الغاصب الأجنبى. وكانت «المؤيد» مسرحا لقصة هذا الجهاد الطويل الذى كان على المصريين أن يبذلوه فى سبيل التخلص من عار الاحتلال البريطانى.

يقول د. عبداللطيف حمزة:

«الحق - لقد كانت كل واحدة من هذه الصعاب خليقة بأن ترد الشيخ عن عزيمته، أو تهِيَ من قوته، أو تعود بالأذى الحقيقى بل التعطيل الأبدى لجريدته. ولكن شيئاً من ذلك لم يكن. وبقيت «المؤيد» - كما قلنا - مؤيدة من

الله ومن الشعب المصرى الـذي آثرها بحبه، وحاطها برعايتـه. بل بقيت المؤيد معرضـاً لأقلام الكثيـرين من صفـوة المصريين، ومدرسـة عالية يتـعلمون فـيها دروساً في الـسياسة والكتـابة. ومن هذه الصـفوة - على سبيـل المثال - قاسم أمين، وسـعد زغلـول، وعبد الـسلام ذهنى، وتـوفيق البكرى، وأحـمد تيـمور، وإبراهيم الهلباوى، والسيد مصطفى لطفى المنفلوطى، وذلك الشاب الذى كان بعد طالباً فـى مدرسة الحقوق؛ وهو مصطفى كامل وغيرهم. كمـا كان يكتب فيها من غير المصريين الأستاذ كرد على، والمستشرق ا. ميجو والشيخ عبد القادر المغربى والاخير من أصدقـاء الشيخ محمد عبده وتلاميذه منـذ كان الإمام فى بلاد الشام مدة من الزمان.

ولا ننسـى كذلك أنه كـان من محررى المـؤيد كاتب اشـتهر عن طـريق هذه الجريدة شهرة كبيرة؛ وهو الشيخ عبد الحميد الزهراوى وكثيرون غيره من كتاب الشام والمغرب وسائر الأقطار الشرقية الإسلامية.

وأخذت (المؤيد) تنمـو وتزداد، حتى أصـابت من ذلك حـظاً لم يحـلم به صاحبـها. فقد بـلغ مجموع الـنسخ التـى طبعت من المـؤيد فى السـنة الأولى ثمنمـائة، وفى الثانية مـائتين وألفاً. وفى الثالـثة ألفين. وبقيت عـلى ذلك فى السنتين الـرابعة والخامسة. ثم فى السادسـة بلغت ألفين وثمانمائـة. وفى السنة السابعة أربعة آلاف. واستمرت على ذلك حتى شهر أغسطس سنة ١٨٩٦م. ثم ما كادت تظهر الـقضية التى سنشير إلـيها - وهى قضية التلغـرافات - حتى كان متوسـط ما يطبع مـن المؤيد يومياً سـتة آلاف نسخة. أمـاما كان يطبـع فى أيام المرافعات فكان يتراوح بين عشرة آلاف نسـخة وإثنى عشر ألف نسخة، وهو ما لم تصل إليه جريدة ما فى مصر والبلدان العربية إلى ذلك الوقت[1].

أخذت «المؤيد» على عاتقها منذ بداية الأمـر أن تعالج على صفحاتها وبأقلام أولئك الكتاب موضوعات شتى:

(١) راجع فى ذلك: إلياس زاخورة فى كتابه (مرآة العصر) السابق الذكر.
د. عبد اللطيف حمزة: السابق، ٢٥

منها: **الموضوعات الوطنية**، كموضوع الأمة والحكومة، وموضوع السخرة، وموضـوع الاحتـلال العام، ومـوضوع الأمـانى القـوميـة وغير ذلـك. ومنـها **الموضوعات الأدبية** كموضوعات الـترف، والعدل، وقيمة الوقـت، والتمدن، وأسباب التقدم، والاصلاح الخلقي، ومنها **الموضوعات الادارية** كهيئة الحكومة المصرية، وكالتقـارير والقوانين والمشروعات والتعديلات التـى تصدرها الحكومة ومنها: **الموضوعات القـضائية** وما يـتصـل بالمحـاكم المصـرية عـلى اخـتلافـها والأحكام التـى تصدر عنها، والاقـتراحات التى تريـد أن تدخلها علـى القانون لتعديله، مع الاشارة إلى بعض القضايا الشهيرة الخ.

ومنها **الموضوعات العلمية والتعليمية** كموضوع التربية والـتعليم فى مصر، وكالتقارير التى يكتبـها رجال التعليم من مثل عبد الله (باشا) فكرى وغيره. مع العناية بأخبار المؤتمرات الهامة، كمؤتمر برلين الطبى ونحو ذلك.

ولقد كانت المؤيد تعنى عناية كبيرة بأخبار الدولة العلية وبانجلترا، فكتبت فى موضوع **الجلاء** وكانت تهتم اهتماماً خاصاً بتقارير المعتمد البريطانى.

وكانت المؤيد تقصر بعـض جهودها على **السودان**، فكتبت فى الـعلاقة بينه وبين مصر، وأخذت تنادى باسترجاع هذا الـقطر، وتكتب عن رحلات ستانلى فى السودان.

علـى أن جريـدة المؤيـد لم تكـن تغـفل إلى جـانب ذلـك كلـه أمر **القارة الأفريقية**: فكتبت عن الحبـشة مع إيطاليا، وعن الروسيا وإيطـاليا فى الحبشة، وعن المستعمرات الأوروبية فى داخل القارة الأفريقية. وعن زنجبار ومراكش.

أما المقالات السياسية الخالصة فكانت تحتل مكانها الممتاز فى صحيفة المؤيد. إلي جانـب السياسـة المصرية الانجـليزية، وفـى مجال **السياسة الدولية** تكتب (المؤيد) عـن (الدول والسلام) وأخرى وعـن (منظر أوروبا الـسياسى) وعن (انكلترا ومستعمراتها) ورابعة وعن (الدول العظيمة في الشرق) وعن (إمكان

نزع السلاح)، عن (سمارك)، وعن (السياسة الاستعمارية فى أوربا) بوجه عام وهكذا.

وأخيراً لم تخل صحيفة المؤيد من باب هام، هو باب (التراجم) وفيه قدّمت الصحيفة للقراء صوراً عن عظماء الرجال فى مصر وبلاد أوروبا. وممن ترجمت لهم هذه الصحيفة فى عامها الأول من رجالات مصر: عبد الله (باشا) فكرى، وشفيق (بك) منصور، ومحمد بيرم التونسى(١).

وعلى هذا النحو سارت (المؤيد) اليومية سبع عشرة سنة كاملة. حتى إذا كان عام ١٩٠٦ وجدنا هذه الصحيفة الوطنية الشهيرة - وقد توطد مركزها فى مصر، وبلغت من الشهرة حداً لم تصبه جريدة وطنية من قبل - تظهر فى ثوب جديد، وتبدأ طوراً جديداً. ويتحدث صاحبها عنها فيقول:

المؤيد فى طوره الجديد:

ظهر المؤيّد اليوم لحضرات قرائه فى طور جديد إذ يرونه فى حجم أكبر، وشكل أظهر، ومادة أغزر.

ولما كان الشيء بالشيء يذكر فقد عن لنا أن نرجع بالقارىء إلى ذكرى أطوار المؤيد من يوم نشأ إلى هذا اليوم الذى يخطو فيه للأمام خطوة جديدة.

قبل سبعة عشر عاما هجرية وبضعة أشهر، وفى أواخر سنة ١٨٨٩ أفرنجية كان صاحب الجريدة يصدر صحيفة أدبية أسبوعية باسم (الآداب). وكان كثيرونن من القراء يعجبون بها، ويلتذون من قراءتها. فكانت همته منصرفة يومئذ إلى تحسينها وجعلها أفيد مما هى عليه. ولم يكن يفكر فى إصدار صحيفة سياسية يومية للأسباب الآتية:

فقد سنحت لى فرصة بعد ذلك قُدمت فيها إلى دولة الوزير الجليل رياض (باشا) وكان يومئذ رئيس الوزارة المصرية فى عهد المغفور له الخديوى السابق توفيق (باشا) فأشار علىّ بعض المقربين من دولته أن أسترخص منه إصدار

(١) راجع منتخبات المؤيد السنة الأولى سنة ١٨٩٠ المجلد الأول. د. عبداللطيف حمزة: السابق ص ٧٥ .

جريدة سياسية يومية. ولكني ترددت كثيراً في ذلك لعلمي أن جريدة يومية سياسية. تصدر من مصرى مسلم بعد خلو القطر من جرائد مصرية مسلمة سبع سنين، جريدة قادرة على أن تعيش بين الصحف القوية التي كانت قابضة إذ ذاك على أميال القراء اختياراً أو اضطراراً، جريدة لا تتأثر بدسائس الدساسين ووشايات الواشين من الأوروبيين وغير الأوروبيين - تحتاج إلى رأس مال أكثر من مالي، وإلى حول أكبر من حولي، وإلى معارف جمة، ووسائل عدة، أنا خلو من كثير منها[1].

ولكن وجد دافع قوى لى بعد ذلك من استحسان دولة الوزير أو إشارته. فتقدمت إلى نظارة الداخلية مسترخصا بهذه الجريدة. وفي اليوم الذى التمست فيه الرخصة نلتها، وظهر العدد الأول من المؤيد في ٨ ربيع الأول سنة ١٣٠٧ (أول ديسمبر سنة ١٨٨٩) في حجم أربع صحف قليلة المواد، كما يرى القراء نسخته المنقولة برمتها في الصحيفة الرابعة من عدد اليوم. وحسبهم فارقا بين ما نشأ عليه وما صار إليه أن يروا العدد الأول كما هو في صفحة واحدة من صحفه الثمان.

سار المؤيد في طوره الأول الجديد كالوليد يأخذ كل يوم من الوجود حصته، ومن مكانه بقدر حركته. وبينما هو يحبو حبو الطفل في مهده إذ عصفت به ريح خبيثة من مكائد مناظريه الذين كانوا يخشون أن تعيش جريدة مصرية لمسلم، فيستحوذ على أميال المصريين وعواطفهم. وقانون التنازع في هذه الحياة يجعل النصال أشد في زحزحة الغير عن مكانه من هذا الوجود، سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

جاءت هذه الريح من حيث تعصف الرياح بكل عمل يحتاج إلى التآزر في أمة لم يفهم فيها تماما معنى التضامن في الأعمال من حيث هو، ولم تنم في نفوس أفرادها ملكة حب الارتفاق كما ينبغي. ودب دبيب الخلف بين مدير المؤيد (وكان المرحوم الشيخ أحمد ماضى) وبين صاحب امتيازه كاتب هذه

(١) المرجع نفسه، ص٣٥.

السطور، بسبب ما دس أولئك الدساسون. وليس من حق هذا القلم الآن أن يزيد فى التفصيل إكراما لرفات صديق فى عالم آخر غير هذا العالم. ولكن نتج عن هذا الخلف احتجاب المؤيد عن قرائه وقتئذ من ٣٠ سبتمبر إلى ٢ نوفمبر من سنة ١٨٩١ . وكانت اليد الحاسمة لهذا الخلف هى يد ذلك الغيور المفضال **سعد (بك) زغلول** (وكان وقتئذ محامياً) إذ اختاره الشريك المرحوم حكما للفصل فى مواضع النزاع. فانتهى حكمه بترك **المؤيد** لصاحب امتيازه بعد ما أرضى محكّمه بمال من عنده ومن آخرين من فضلاء الشبيبة المصرية. ويومئذ خاطبنى سعد **(بك) زغلول** قائلا:

لقد صار لك **المؤيد** بلا منازع، فإن كنت كفؤاً لعملك فاجعل من همتك وثباتك فيه رأس مالك، وبرهن على ثقة إخوانك بك.

وكانت هذه الكلمات أشد تأثيراً على نفسى من كل مشجع ومرغّب فى عمل.

ظهر **المؤيد** بعد ذلك الاحتجاب، وكنت خالياً من رأس مال له سوى القلم والصبر والاحتمال. وكانت رئاسة النظار يومئذ فى يد عطو فتلو **مصطفى فهى** (باشا). والدسائس ضد **المؤيد** أقوى منها قبل. وقد هال أعداءه ظهوره ثانيا، فوشوا إلى الحكومة أن هناك جمعية سرية ذات مقاصد خفية أخذت على نفسها الإنفاق على المؤيد، والكتابة فيه ضد الحكومة والاحتلال، وكادت ريح الشر تؤذى أولئك الأفاضل الذين مدوا يد المساعدة بالشكل الذى شرحناه للمؤيد وصاحبه، لولا أن مقرباً من الوكالة الانكليزية، ومن عطوفة رئيس النظار (ونعنى به المرحوم **محمد بك بيرم**) تولى يومئذ تحقيق تلك الوشايات بنفسه، فظهرت له الحقيقة التى شرحناها. وانتهى الأمر بمقابلة حضرة **سعد (بك) زغلول** لعطوفة رئيس النظار ليدحض بالبراهين القاطعة تلك الدسائس البالغة، وقد كان ذلك، ووثق الرئيس بالحقيقة التى شرحها كل الثقة، وأعجب بفضله وشمائله، وشكره على خالص غيرته.

ومن ذلك اليـوم استمرت صلة حضرة الـبك بعطوفة البـاشا إلى أن صارت على أكمل وجوهها، كما يعرف القراء.

وجد للمؤيد من ذلـك الحين أنصار، كـما وجد له حـساد وأعداء. وكلـما ازداد هؤلاء كثـر أولئك. وأنا بين هذه الجـواذب والدوافع أعمل جهـدى لكى يثبت المؤيد ويعيـش، فلا يكون العار على المصرى أن يسجل علـيه الغش كلما شرع فى عمل. ثم وجد بعد ذلك اضطهاداً من الحكومة، ظهر بأقبح مظاهره، حتى وصل إلى حد إقـفال أبواب الدواوين فى وجه صاحبه وكتـابه ومخبريه. ولم ينته هذا الدور حتى جاءت وزارة دولـة رياض (باشا) فى يناير سنة ١٨٩٣ ويومئذ ألغى عمل (قلم المطـبوعات) الذى أنشىء لمضايقة المؤيد ليـس إلا، يوم كانت وظيفـة البارون دى مالورتى مدير قـلم المطبوعات محصـورة فى مطاردة المؤيد وصاحبه فـى كل ديوان؛ يحاكم هذا ويـطرد ذاك من المستخـدمين الذين كانوا يتـهمون بإعطائنـا الأخبار. فلما تـولى الوزارة دولة رياض (باشا) منحه إجازة لم يعد بعدهـا إلى العمل، وخلص المؤيد من عوامل الاضطهاد الشديدة التى كادت تقـضى عليه، واستمر فى طـريقه ينمو حتى كـانت فى سنة ١٨٩٦ قضية التلغرافات المشهورة التى لم تنته حتى بلغ المؤيد بفضل إقبال الأمة عليه أضعـاف ما كان علـيه قوة وانتـشاراً. ولا يزال بـفضل الله عز وجـل وبمؤزارة الفضـلاء من الكتاب، وبـإقبال القراء عـليه فى المـزيد إلى أن بلغ هـذا الطور الجديد.

فالقراء يـعلمون من مجمـل هذا التاريخ أن اليد الأولـى فى ظروف إصدار جريدة المؤيـد كانت لدولة الوزيـر الجليل رياض (باشا). وأن اليد الشـانية فى خلاصة مـن الورطة التى سـقط فيها سنـة ١٨٩١ كانت لحضرة المـفضال سعد (بك) زغلول، والذين اشتركوا فى تلك المبرة معـه. وأن اليد الثالثة التى تجلى بهـا فى مظـهرها الفـخيم سـنة ١٨٩٦ كانـت للأمة. وهو لا يـزال فى ظلـها الظليل.

أما صاحب هذه الجريدة فلا يعتبر نفسه إلا عاملا بسيطا لظهور الجريدة كبقية

العمال الذين يشتغلون لصدورها من محرر وصاف حروف وطابع. وكفاه فخراً أن بقية العمال يتغيرون، وهو عامل مستمر إلى ما شاء الله أن يكون كذلك.

وتبع هذا النمو فى الانتشار والترقى على الاستمرار اختلاف الآلات التى يطبع بها المؤيد. فيوم كان عدد مشتركيه لا يتجاوزون ستمائة نسخة، وعدد ما يباع منه لا يتجاوز الستين فى القاهرة كانت الآلة التى يطبع بها صغيرة تدار باليد الواحدة، وتطبع بالكبس، ولا يزيد ما يطبع فى الساعة على مائة نسخة. وكأن هذا شأنه فى الستين الأولين. ثم ازداد عدد ما يطبع منه رويداً رويداً حتى كان فى آخر سنته الرابعة ألفا وأربعمائة نسخة، فاضطررنا إلى شراء آلة من معمل (ألوزيه) وهى التى تدار باليدين معا، وتطبع بكابس اسطوانى إلى ستمائة نسخة فى الساعة الواحدة. وكان هذا من ١٦ يناير سنة ١٨٩٤ حيث ظهر المؤيد فى أربع صحائف كما كان، ولكن فى كل صحيفة ستة أعمدة.

ثم تضاعف الانتشار حتى بلغ عدد ما يطبع منه خمسة آلاف، وكثرت المواد والاعلانات عليه حتى اضطررنا إلى جلب مطبعة ألمانية كبرى تطبع بكابسين اسطوانيين، وتدار بالبخار. فظهر المؤيد فى ثمان صحائف من ١٦ يوليو سنة ١٨٩٩.

وقد ذكرنا فى ذلك العدد ما يأتى بحروفه:

أصدرنا الجريدة منذ اليوم فى ثمان صفحات طبقا لرغبات جمهور القراء. ونسأل الله تعالى أن يوفقنا دائما لخدمة الأمة، ويمدنا بمعونته لنزيد فى مواد وصفحات الجريدة كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

ونحن اليوم نشكر الله عز وجل على أن تضاعف انتشار الجريدة، وأن وفقنا بطبعها على آلة طبع من أحسن طراز أخير من اختراع الخواجة (ماريتونى) الفرنساوى المشهور باختراعاته المطبعية. ولما كانت هذه أول مطبعة من نوعها أوصى بها من مصر، وجلبت إليها، وبدا عملها منذ اليوم، فقد دعونا

الكثيرين من حضرات العلماء والذوات والأعيان لتشريف إدارة الجريدة وقت الشروع فى الطبع. وهذا نص الدعوة التى وزعناها لذلك:

«بمشيئة الله تعالى سنبتدىء من يوم الثلاثاء ٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦ فى طبع جريدتنا المؤيد على نمط جديد، وفى حيجم أكبر بواسطة آلة الطبع الكهربائية (روتاتيف) التى تطبع بواسطة صناعة جديدة غير الحروف المعتادة، وتنجز فى الساعة الواحدة طبع اثنى عشر ألف نسخة من الجريدة ذات الثمان صحف، مقطوعة، ملصوقة. مطوية، معدودة. فندعو. . .لتشرفوا إدارة الجريدة فى الساعة الثالثة بعد الظهر من اليوم المذكور لتشاهدوا إدارة هذه الآلة البديعة لأول مرة فى مصر، ولكم جزيل الشكر، تحريراً فى ١٣ شعبان سنة ١٣٢٤.

على يوسف

منذ ذلك الوقت اتخذت «المؤيد» شكلا جديداً، وأخذت تظهر للقراء (جريدة يومية سياسية تجارية) فى ثمان صفحات. وكان مقر مطبعتها بشارع محمد على بالقاهرة، وكانت تحتوى دائما على عشر مواد، وربما زادت أحياناً إلى اثنتى عشرة. وكانت خمس - على الأقل - من هذه المواد تتجدد بتجدد الأفكار التى تهم صاحب الجريدة، وأما الباقى من هذه المواد فمرتبة فى أبواب تعتادها الجريدة كل يوم.

خذ لذلك مثلا - العدد رقم ٥٠٠٤ وقد صدر بتاريخ ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٠٦ فانه يبتدىء هكذا:

فهرس:

رأى جريدة الغازيت فى كفاءة المصريين.

ما هى الحكومة النيابية؟

أطوار المسألة الشرقية.

استئناف النيابة.

التمثيل العربى.

أخبار بريد أوروبا.

مكاتبات.

الحوادث.

التلغرافات.

إعلانات قضائية وتجارية.

فالمواد الخمس الأولى مواد متجددة. والمواد الخمس الأخيرة يجدها القارىء عادة فى كل عدد، وربما أضيفت إليها مادة بعنوان (الإسكندرية) يؤتى فيها بأخبار هذه المدينة وأحوالها وأحيانا تضاف إليها كذلك مادة أخرى بعنوان (انتقاد) تشمل عرضاً سريعاً لبعض المؤلفات الحديثة والترجمات والمجلات، وتشمل نقدا لها:

والقارىء إذ يلقى نظرة عجلى إلى الأعداد اليومية التى صدرت فى أثناء هذه السنة - ونعنى بها سنة ١٩٠٦ - يستطيع أن يفرق بين موضوعات صحفية يطرقها الكاتب ثم لا يعود اليها مرة ثانية، وأخرى يطرقها الكاتب مرارا ويعالجها معالجة دقيقة قوية مفصلة.

ولا شك أن (المقالة الإفتتاحية) فى المؤيد كانت أهم مادة فيه. وكثيراً ما كان يكتبها السيد على يوسف بنفسه. وكثيراً ما يتركها لكاتب غيره، وربما كان هذا الكاتب أحد محررى المؤيد. وربما كان موضوع المقال فى هذه الحالة الأخيرة صفحة من تاريخ رجل عظيم كنابليون، أو اقتراحا هاما فى إصلاح الأزهر، أو التعليم بالمدارس الحديثة، أو كلمة مترجمة عن الفرنسية أو الإنجليزية لكاتب أجنبى له شهرة فى عالم الفكر أو السياسة، أو تقريراً صحفياً لبعض المصريين ممن زاروا لندن وغيرها من العواصم الأوروبية، واشتغلوا هناك بدرس المسألة

المصرية، وأحبوا أن يـنقلوا للقراء صورة من فهم الأوروبيـين فى بلادهم لهذه المسألة[1].

منذ فـكر السـيد عـلى يوسف فـى إنشاء «المؤيد» وهو يـصادف طائفـة من المصاعب كانت كل واحدة منها كفيلـة بإسقاطه لولا صفات خاصة فى الرجل - هى تلك الصفات الـتى أشاد بها الأستاذ «تشارلز آدمز». ومن تـلك الصعوبات صعوبة آتته مـن «قلم المطبوعات»، وكان على رأسـه إذ ذاك موظف إنجليزى، ومن ثم كانت للمؤيد قضايا مشهورة فى تاريخ الصحافة من أهمها[2]:

قضية التلغرافات[3].

فى شهر مايو سـنة ١٨٩٦ أصدرت نظارة الحربية أمرا بعـدم إعطاء المؤيد أية معلومات عـن الحملة المصرية على دنقـلة، فوقع السيد على يـوسف فى حيرة شديدة: أيضرب صفـحا عن أنباء هذه الحملة مع أن أنباءها تهم الشعب، وجنود الحملة هم أبناء هذا الشعب؟ أم يفعل هذا الرجل كل ما يـستطيع حتى يصل إلى ما يريد؟

وفى ٢٦ من شـهر يوليـة سنة ١٨٩٦ - والساعـة الثانيـة بعد الظـهر - أخذ موظفو مكتب تـلغراف الأزبكية يتلقون إشارة برقية مـن السردار بالسـودان إلى ناظر الحربية بالقاهرة انتهوا منها فى العاشرة والنصف مساء وفى التلغراف يعتذر السـردار عن تأخيـره فى الاتصال بـالقاهرة بـسبب الـكوليرا الـتى تفشـت فى الجيش، وكان لها إصابات كثيرة.

ثم فى يوم ٢٨ من يوليـو فوجىء ناظر الحربية بنشر هذا التـلغراف برمته فى صحيفة المؤيد، فهاج لذلك وهاجت معه السـلطات الإنجليزية!

وتوالت على مكتب التلغراف بالأزبكيـة برقيات من هذا النوع ينشرها المؤيد كاملـة فى اليوم التالـى. إذ ذاك فكر اللورد كرومر فى حيلة يـسوق بها الـسيد

(١) د. عبد اللطيف حمزة: السابق ص ٩٥.
(٢) د. عبد اللطيف حمزة: قصة الصحافة العربية ص ٧٨.
(٣) نفس المرجع ص ٧٩.

على يوسف إلى المحاكمة، وذكر كرومر أن القانون العام يعاقب الموظف الذى يعمل على إفشاء أسرار الحكومة، وعلى هذا ففى وسع كرومر أن يقدم الموظف المسئول فى مكتب التلغراف بالأزبكية إلى المحاكمة بهذه التهمة، وفى وسعه كذلك أن يقدم معه السيد على يوسف بتهمة الاشتراك فى هذه الجريمة.

وسئل السيد على يوسف فى المحكمة عن المصدر الذى اعتمد عليه فى هذه البرقيات؟ فأجاب بأن سر المهنة يحول دون تصريحه بشىء من ذلك؛ لذلك عجزت النيابة عن أن تلفق له تهمة يعاقب عليها.

ثم فى يوم النطق بالحكم احتشدت الجماهير فى ساحة المحكمة حتى لم يكن فيها موضع لقدم واحدة، وتوافد الناس من الأقاليم ليشهدوا بأنفسهم ذلك اليوم، حتى لقد ضاقت بهم فنادق القاهرة.

ثم فى يوم ١٨ من شهر نوفمبر صدر الحكم ببراءة السيد على يوسف فهتفت له الجموع، وصفقت له وهللت. وأقبل بعضهم يهنىء بعضا بهذا الحكم، ثم انثالوا على صاحب المؤيد فحملوه على الأعناق وخرجوا به من ساحة المحكمة، وكان يوماً مشهودا فى تاريخ الشعب المصرى، انتصر فيه انتصارا باهرا على اللورد كرومر..

صحيفة اللواء: مصطفى كامل:

لهذه الصحيفة فى الحقيقة من اسمها نصيب كبير، فهى التى حملت لواء الحركة الوطنية، وبقيت تحمل هذا اللواء حتى بعد وفاة صاحبها الزعيم الشاب مصطفى كامل، ولقد صدر العدد الأول من هذه الصحيفة يوم الثلاثاء غرة رمضان سنة ١٣١٧ وهو الموافق لليوم الثانى من شهر يناير سنة ١٩٠٠، وقد رسمت الصحيفة لنفسها إذ ذاك برنامجا يتألف مما يلى:

ويتحدث الزعيم مصطفى كامل عن الأسباب فى تسمية صحيفته باللواء؛ حيث يخفق عند هذا الاسم كل قلب وتجتمع أصدق الآمال.

وتمثل «اللواء» الرافد الثانى من روافد الحركة الوطنية، وقد قامت بدورها

فى نشر الوعى الوطنى ومحاربة الاحتلال والدعوة إلى حياة دستورية سليمة، وقد كتب مصطفى كامل فى افتتاحية العدد الأول محددا اتجاه اللواء، فبين أن هدفها هو: «خدمة الوطن والإسلام بأشرف السبل وأنفعها والسعى وراء الاتحاد والاتفاق بين المصريين وبعضهم من جهة وبين كافة المسلمين من جهة أخرى. والعمل لتربية أبناء مصر أحسن تربية وطنية وترقية التجارة والصناعة».

هذا التيار الوطنى، اقترنت وطنيته بعاطفة إسلامية، فوقف إلى جانب الخلافة العثمانية، وأيد ارتباط مصر بها روحيا. وقد أكد مصطفى كامل هذا الاتجاه عندما قال: «حقا إن سياسة التقرب من الدولة العلية لأحكم السياسات وأرشدها».

ويرى أستاذنا الدكتور أحمد حسين الصاوى رحمه الله، أن هذا الاتجاه من «اللواء» والحركة السياسية التى تعبر عنها راجع إلى أن مفهوم الوطنية المصرية فى ذلك الوقت كان يحتاج إلى تأييد الباب العالى فى كفاحه ضد الاستعمار البريطانى وهو ما افتقرت إليه الثورة العرابية.. وعلى أى حال فقد عبرت كتابات مصطفى كامل الوطنية فى اللواء قبيل وفاته عن اتجاهات مصرية خالصة تستهدف تحرير البلاد من الاحتلال البريطانى والسيادة العثمانية معا، ويمثل توقيع الاتفاق الودى بين انجلترا وفرنسا عام ١٩٠٤ نقطة تحول خطيرة فى اتجاهات الصحافة.. فقد توطد مركز الانجليز فى البلاد، واشتد ضغطهم على الحريات، ومن ثم ازدادت لهجة «المؤيد» هدوءا ولينا وفترت حماسة غيرها من الصحف الوطنية بينما هللت «المقطم» والتزمت «الأهرام» الصمت.. أما اللواء فسرعان ما أفاقت من الصدمة بعد أن كشفت فرنسا عن نفسها وأعلن فيها مصطفى كامل أن الدول الأوربية كلها سواء؛ وأن المصريين يجب أن يعتمدوا على أنفسهم فى الكفاح الوطنى.. وتأكد هذا الاتجاه من «اللواء» بفتور العلاقة بينها وبين الخديوى بعد أن تخاذل أمام الضغط البريطانى وبذلك ازدادت اللواء قوة وشعبية وأصبحت أولى الصحف الوطنية المكافحة، غير أن «اللواء» مع تخلصها من فكرة التماس تأييد فرنسا ومن صلتها بصاحب العرش ظلت

متمسكة بفكـرة الخلافة الإسلامية وارتباط مصر بها، حتى قـبيل وفاة مصطفى كامل. . ثم بدا من كتـاباته الأخيرة تخليه إلى حد كبيـر عن هذه الفكرة واتجاه دعوته نحو تخليص البلاد من الاحتلال البريطانى والسيادة العثمانية معا.

ويذهـب د. إبراهيم عـبده فى تاريـخه للـصحافة المـصرية؛ إلى أن إنـشاء (اللواء) يعتبر مفترقا للطرق فى صحـافة مصر الوطنية إذ ذاك؛ فقد حمل علم الجهاد فى إيمان الواثق بحقه المـؤمن بعقيدته؛ وستكون (اللواء) فيما بعد لسان حزب لعب فـى حياة مصر دوراً كـبيراً (هو الحزب الـوطنى). وهى الصحيفة الوطنيـة التى كان نظام العـمل فيها مثـلاً يحتذى من حيث الـتحرير والإدارة؛ وهى الصحيفـة الثانية التى استخدمـت الآلة الكهربائية فى طبـعها، ومن أولى الصـحف التى عـنيت بمـادتها وفسـحت صدرها لجـليل الأمـور وخطيرهـا فى صفحات ثـمان؛ وهى أول الصحف المصريـة التى نشرت أخبار مـصر وخطب المسئـولين فيهـا، ووصفت الحفلات الـكبيرة بالـبرق، ومحررهـا أول من ألف الشركات الكبرى للصحافة بالتزاماتها القانونية كما يحدث فى أوربا عادة(١).

وتشير اتجاهات المضـمون فى صفحات (اللواء) إلى اهتمام بـقضايا: التعليم والتعليم الشعبى الذى يـجب أن يقـوم علـى أكتاف الـشعب، وقـد استـطاع مصطفـى كامل أن يجعل مـن هذه القضية الوطـنية قضية عـامة يجتمع عـليها الوطنيون جميعاً فشرعـوا ينشئون المدارس ويفكرون فى جامعة مصرية تنشّئ الشباب تنشئة يعجز أمامها الاحتلال إذا أبى الجلاء(٢).

الصحافة الوطنية والاتفاق الودى

وبينما تجاهد (اللواء) ومحررها بكـل ما تملك من قوة؛ إذ بانجلـترا وفرنسا يعلـنان عن الاتفاق الودى بينهـما فى ٨ إبـريل عـام ١٩٠٤؛ وكان صـدمة للمصريين؛ لأن مادته الأولى نصّت على أن انجلتـرا «ليس فى نيتها تغيير الحالة

(١) د. إبراهيم عبده: تاريخ الصحافة المصرية ص ١٥٨.
(٢) نفسه، ص ١٥٩.

السياسية لمصر وتعهدت الحكومة الفرنسية من جانبها بأن لا تعرقل عمل انجلترا في هذه البلاد؛ فبدأت بذلك صفحة جديدة في تاريخ الصحافة المصرية. حيث فترت نغمة الحماسة في معظم الصحف؛ واستمرت (اللواء) على على حماستها؛ ومواصلة جهادها؛ واستكمال عناصر الوطنية وتوحيدها في نفوس المصريين، واتجه مصطفى كامل في اللواء اتجاها جديداً يؤكد أن الأمم الأوربية جميعاً، سواء في استعمارها؛ وهذه - كما يقول - حقيقة يجب أن يعرفها المصريون وتستلزم منهم الاعتماد على أنفسهم، وبولندا وايرلندا أحسن مثلين لهم في الكفاح والحرص عليه(١).

وتشن اللواء حملة صحفية كبرى على (اللورد كرومر)؛ عقب محاكمة دنشواى؛ كان من آثارها حملة صحفية في الحارة لفتت الانجليز إلى سوء السياسة التي ينتهجها المعتمد البريطاني في مصر مما ترتب عليه عزل كرومر في إبريل سنة ١٩٠٧. ويذهب المؤرخون إلى أن عزل كرومر قد فتح صفحة جديدة في تاريخ الصحافة المصرية، كتب معظمها (اللواء) وصحفه، وهي مدرسة في صحافتنا جديدة.

وقد أسس مصطفى كامل شركة مساهمة لإصدار جريدتين بلغتين أوربيتين في مصر بعد حادث دنشواى في نوفمبر سنة ١٩٠٦ ويذهب د. إبراهيم عبده؛ إلى أن إنشاء هاتين الصحيفتين من أبرز خدمات مصطفى كامل للقضية الوطنية لأن إنشاء الصحيفتين ليس شيئاً بجانب ما نشر فيهما من المعاني التي كان يعز عرضها على الأجانب في مصر، ثم إنه استطاع أن يحصل على موافقة جريدة (لوفيجارو) على أن تأذن الجريدة الفرنسية الوطنية بنشر مقالات (بيرلوتي) عن على أن يكون نشرها في الجريدتين في يوم واحد، وهو عمل صحفي نادر المثال في ذلك الوقت، كما أنه رأى أن يعدّ للصحيفة بيئة صالحة فأوفد أحد محرري (اللواء) إلى باريس ليتلقى علومه الصحفية نظراً وعملاً في مدارسها وصحفها الكبرى(٢).

(١) نفسه، ص ١٦٢؛ اللواء في ١٨ إبريل و ٢٥ مايو سنة ١٩٠٤.

(٢)عبد الرحمن الرافعي: مصطفى كامل ص ٤١٨.

الفصل الخامس

الصحف الوطنية ونشأة الأحزاب السياسية

بلغت الصحافة الوطنية ذروة تأثيرها فى الرأى العام فى هذه المرحلة المبكّرة من مراحل مقاومة الاحتلال؛ وفى العام الأخير من عهد (كرومر) يسجّل المؤرخون **ظاهرة فريدة فى تاريخ الصحافة المصرية، وهى ظاهرة نشأة الأحزاب السياسية داخل الصحف الوطنية**. والمعروف فى «تاريخ الدول دائما أن الصحف الوطنية هى التى تنشأ فى أحضان الأجزاب السياسية، ولكن الذى حدث فى مصر هو أن الأحزاب هى التى نشأت فى أحضان الصحف الوطنية[1]. وقد تم تأليف هذه الأحزاب بين اكتوبر ١٩٠٦ وسبتمبر ١٩٠٧ بالترتيب التالى:

أولاً ـ حزب الأمة، وقد نشأ فى داخل صحيفة (**الجريدة**) لمحررها أحمد لطفى السيد.

ثانيا ـ حزب الإصلاح على المبادىء يالدستورية وقد نشأ فى داخل صحيفة (المؤيد) للسيد على يوسف.

ثالثا: الحزب الوطنى: وقد نشأ فى داخل صحيفة (اللواء) لمصطفى كامل.

وتفسير ذلك أن الآراء التى نادت بها كل صحيفة من هذه الصحف الثلاث كانت قد تبلورت فى مبادىء تصلح لأن تكون أساساً لبرنامج الحزب الذى يبلور هذه المبادىء فى سياسة معينة رعتها.

مصطفى كامل والحزب الوطنى:

ويتتبع أستاذنا د. حمزة فكرة الحزب الوطنى منذ نشأتها إلى أن أخرجها مصطفى كامل إلى حيز الوجود فيقول[2]:

---

(١) د. عبد اللطيف حمزة: قصة الصحافة العربية ص ١٠٩.

(٢) راجع أدب المقالة الصحفية فى مصر للدكتور عبد اللطيف حمزة جزء ١ ص ١٦ ـ ١٧.

«إن فكرة الحزب قديمة فـى مصر. بل ربما كانت سابقة لحياة مـصطفى كامل نفسه بعشرات السنين.

فلقد سمع الـناس كلمة (الحزب الوطنى) لأول مرة فـى مصر، وذلـك فى النصف الثـانى من القرن الماضى. وربما كان ذلـك بالضبط قبل الثـورة العرابية بقليل. فـى سنة ١٨٧٨ أى فى وزارة رياض باشا. ففى تلك السـنة تم تأليف هيئة شعـبية باسم الجمعية الوطنية أو (الحزب الوطـنى) وكان من أعـضاء هذه الهيئـة يومئذ شريـف باشـا، وشاهين بـاشا، وعمـر لطـفى باشـا، وراغب بـاشا، وسلطان باشا. وكانت هذه الهيـئة فى حقيقة الأمر صدى لظـهور المعارضة فى مجلس النواب المصرى.

كتب أديب إسحاق فى جريدة مصـر القاهرة التى أنـشأها فى باريـس سنة ١٨٧٩ مقالا بعنوان (الحزب الوطنى فى مصر) يقول فيه:

«نعم إن الأمة المصرية فريـقان، يعرف أحدهما بالوطنى، والآخر بما لا نجد لتعريفه حداً. فانه ليس بالغريب فيوصف بالأجنبى، ولا بالفاتح الدخيل فيعرف بذلك. وإنما هو مصرى وليس بمصرى، ووطنى وليس بوطنـى. بل القول فيه ما جاء (بمصر الفتاة) على حين صدورها مفوضاً تحريـر جانبها العربى إلى هذا العـاجز (يريـد نفـسه) وهو تـعريف الحـزب الوطـنى بالاستقلاليين، والآخـر بالتدخليين. فالتدخـليون هم الأفراد المتهالـكون على تدخل الأجنـبى فى أمور بلادهم، يتـوسلون بذلك للـرياسة والولاية، ويسـترضون الدخيل بمـا يغضب الحق والوطن، ويبيعون ديارهم بما يطمـعون فيه من باطل المقام وزائل الحكام. وهم الآن أصحاب الأمر، لهم الملك وللأجنبى الحكم، ولهم القشور وللدخيل اللُّباب... والاستقلاليون هم الفئة المجتـمعة، والجمع الكثير. يرومون حفظ الحقوق الوطنية، وكف يد الأجنبى عن استقلالهم... وبعبارة إجمالية يريدون أن تكون مصـر للمصريين. وهـم الآن حلفاء الصبر، يُـبعد نبهاؤهـم، ويعنت وجهاؤهم، ويقيمهم اللؤماء هدفا لسهـام الانتقام. وقد عنى التدخليون بتشويه محاسن الفرقة الوطنية (يريد الحـزب الوطنى) بما ينـشرون فى صحفـهم، وما

يستكتبون فى صحف الأجنبى من الكـلام المفترى، متلونين تلون الحرباء. فتارة يسمونهم بحزب الترك القدماء، وطوراً بحزب التعصب الدينى، وآونة يرمونهم بالنفرة عن كل نجاح وصلاح. ومرة يتهمونه بعداوة الأجنبى عن دينهم على أى مشرب كان. وقد آن أن نـضع لهذه الأراجيف حداً، وأن نرد كيـد اللؤماء فى نحورهم. فالحزب الوطـنى غير متعصب إلا فى وطنيتـه، والحزب الوطنى غير معادٍ إلا للخائنين».

قد يفهم من هـذا الحديث أن كلمة «الحزب الوطنى» إنما كانت تطلق على الأحرار الذين كانوا يهدفون إلى استقلال مصر، ويحاولون الظفر بحريتها. وقد كان هؤلاء الأحرار يـجتمعون حيـناً بدار سلطان باشا، وحينـاً آخر بدار لطيف باشا سليم، وحيناً ثالثاً بدار الأميرة نازلى فاضل، وحيناً رابعاً بدار السيد توفيق البكرى نقيب الأشراف، وحيناً خامساً بدار راغب بإشاد وهكذا.

والذى لا ريب فـيه أن مصطفى كامل كان يختـلف فى حياته كما قـلنا إلى بعض هذه الدور، وأنـه التقط فيما التقط مـنها فكرة الحزب الوطنى. وبقيت هذه الفكرة تـسكن عقله حتى جـاءت سنة ١٩٠٠ ففكر فى إخراج فـكرته إلى حيز الوجـود. وكتب فى ذلك مقـالا بجريدة اللواء فى ٢ يـوليه سـنة ١٩٠٠ عنوانه (حزب وطنى حر فى مصر) وكان يومئذ فى بودابست عاصمة المجر - جاء فيه:

«إن تاريخ هـذا الوطنى المجرى هـو أكبر مدرسة لرجـل مثلى وهب حـياته لخدمة وطنه وإعلاء شأنه إلى أن قال:

«هل يسمح لى الـزمان بأن أرى فى مصر هذا الحزب الوطنـى الحر الشريف المبادىء، المتـحد الأعضاء، الناهـض بالأمة إلى مرامى الـنجاح. إنى أعـرف أن اليائسين سيقولون إن تأسيس حـزبٍ محالٌ ولكننى إذا كنت لا أيأس من خلاص بلادى فمحال على أن أيأس من تحقيق هذا الأمر الجليل».

غير أن فكـرة الحزب الوطنى بقـيت حلماً من الأحـلام لم يتحقق لمـصطفى

كامل إلا فى عـام ١٩٠٧. بعد حادثة دنشواى واستعداد الأمة إسـتعداداً كاملاً لتقبـل هذه الفكرة التى تـوج بها الزعيم الـشاب جهاده فى سبيـل وطنه. وفى الثانى والعشريـن من شهر أكتوبر سنة ١٩٠٧ ألقى الزعيـم الشاب أطول خطبة سياسية له، وكان ذلـك فى مسرح زيزينيا بالأسكندرية. واجتـمع لسماعه عدد من الأهالـى لا يقل عن سبـعة آلاف وكانت هذه الخطـبة بمنزلة إعـلان لانشاء الحزب الوطنى الـذى عرف يومئذ (بحزب الجلاء). وقد اجـتمع أعضاؤه لأول مرة فى السـابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٩٠٧. وخطب مصطفى كامل فى هذا الاجتماع خطبة أخرى أعلن فيها مبادىء الحزب الوطنى وتتلخص فيما يلى: -

أولا: الاستقلال التام لمصـر مع سودانها وملحقاتها غيـر مشوب بأى احتلال أو حماية أو شبه سيادة أجنبية أو أى قيد يقيد هذا الاستقلال.

ثانياً: إيجاد حكومة دستـورية فى البلاد بحيث تكون الهيئة الحـاكمة مسئولة أمام مجلس نيابى تام السلطة كمجالس النواب فى أوروبا.

ثالثا: إحترام المعاهدات الدولـية والاتفاقات المالية التى ارتبطـت بها الحكومة المصرية لسداد الديون.

رابعا: إنتـقاد الأعمال الـضارة بكـل صراحة والاعـتراف بالأعمـال النافـعة والتشجيع عليها وإرشاد الحكومة إلى خير الأمة ورغائبها والاصلاحات اللازمة لها.

خامسا: العمـل لنشر التـعليم فى أنـحاء الديار عـلى أساس وطنى صـحيح بحيث ينال الفقراء النصيب الأوفر مـنه، ومحاربة الخزعبلات والترهات، ونشر المبادئ، الدينية السليمة الداعية لـلرقى، وحث الأغنياء والقادرين على بذل كل المساعدات لنشر التعليم بتأسـيس الكليات فى البلاد وإرسال الارساليات لأوروبا وفتح المدارس الليلية للصناع والعمال.

سادسا: ترقية الزراعة والصناعة والتجارة وكل فروع الحياة، والعمل والجد وراء نيل الأمة استقلالها العلمى والاقتصادى.

سابعا: إرشاد الأهالى بكافة الوسائل الممكنة إلى حقائق الأحوال وبث الشعور الوطنى فيهم ودعوتهم للاتحاد والائتلاف وتمكين المحبة بين عنصرى الأمة المسلمين والأقباط وتنبيههم إلى واجباتهم نحو بلادهم.

ثامنا: مساعدة كل مشروع يعود على القطر بالنجاح والاجتهاد فى تحسين الأحوال الصحية حتى يزداد عدد السكان فتزداد الأمة قوة على قوتها.

تاسعا: تقوية روابط المحبة والصفاء بين الوطنيين والأجانب وازالة سوء التفاهم بينهم إذا وجد.

عاشراً: إنماء علائق المحبة والثقة بين مصر ودول أوروبا، ونفى كل تهمة عن مصر، والعمل لا يجاد أنصار لها فى كل أنحاء العالم حتى تكون لها قوة أدبية سامية تساعدها على اعتراف الغير بحقوقها الشرعية والتغلب على المساعى التى تعمل ضدها ويراد بها إخفاء الحقيقة[1]. وإلى جانب الحزب الوطنى نشأ حزبان آخران أولهما: حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية عن صحيفة المؤيد، والثانى هو: حزب الأمة: كان أنصار هذا الحزب قد ورثوا عن الحركة الوطنية التى سبقت الاحتلال البريطانى جفاءها للمجالس على العرش ونزعتها الإصلاحية التى افتتن بها عدد لا بأس به من الملاك الزراعيين من ناحية، وبعض المفكرين المجددين من ناحية ثانية. كما كان أعضاء هذا الحزب يهدفون إلى إصلاح المشاكل الاجتماعية فى البلاد. وهو إصلاح كان يؤمن به المحتلون، ويرون أنه ينبغى أن يكون جزءا من سياستهم فى مصر. وتوالت الأيام، وتغيرت معها الظروف والأحوال، فأصبح أعضاء حزب الأمة يميلون إلى انتقاد السلطة المحتلة. واستحال حزب الأمة مع الزمن أيضاً إلى حزبى الوفد والأحرار الدستوريين بعد ثورة ١٩١٩ وزعيم الوفد هو سعد زغلول. وزعيم الأحرار الدستوريين هو عدلى يكن.

---

(١) خطاب بطل الوطنية المرحوم مصطفى كامل باشا ٧٥٦٧ دار الكتب.

صحيفة (الجريدة) وحزب الأمة:

كان (حزب الأمة) هو أول الأحزاب المصرية فى نشـأته؛ حيث نشأ فى دار صحيفة (الجريدة) عام ١٩٠٧؛ وقد قيل عـن سبب إنشاء (الجريدة) أن حادثاً وقع يومئذ وكان له تأثير في نفوس المصريين، وهو حادث (العقبة)، وخلاصته أن الحكومتين التركية والمصرية اختلفتا على (العقبة) كل منهما تراهـا لنفسها دون الأخرى؛ وتدخـلت انجلترا بـينهما، فـانتصرت لمصـر على تركيـا. ولكن عقلاء الأمـة المصرية انـتبهوا لـهذا الوضع ولـم تجز عليـهم خديعـة الاحتلال البريطانى؛ فنصروا الأتراك على الانجليـز فى هذه المشكلة، فذهل الاحتلاليون لهذا المـوقف، وعادا الوطـنيون فى مـصر يفكـرون فى الأمر، فكـان من رأى لطفى السيد أن تنشأ جريدة مصرية تنطق بلسان مصر وحدها دون أن يكون لها ميل خاص لتـركيا أو إلى إحدى السلطتين الـشرعية أوالفعلية فـى البلاد (يريد بالسلطة الشرعية الخديو عباس وبالسلطة الفعلية لورد كرومر)، ورأى أحمد لطفى السيد أن تكون الجريدة ملكا لشركة مـن أعيان البلاد أو أصحاب المصالح الحقيقة فيها وهم الذين ظن اللورد كرومر أنهم راضون عن الاحتلال، متوهما أن حركة المعارضة لهـذا الاحتلال لا يقوم بها إلا من ليس لهم مصـالح حقيقية فى البلاد، وهم طبـقة الأفندية من جانب وباشوات الأتـراك من جانب آخر.

أما الأهداف التى سعت إليها (الجريدة) فتتلخص فيما يلى:

أولا: نشر عقيدة الاستقلال بين أفراد الأمة المصرية ودحض الـفكرة القائلة بأن مصر يمكن أن تحصل على استقلالها بمساعدة فرنسا وتركيا، مع أنه لا سبيل فى الواقع إلى حرية المصريين إلا بجهود المصريين.

ثانياً: السـعى لإزالة الفـروق فى الرأى بين المـصريين وإحـلال التشابـه فى العقـيدة محل الخلاف فـيها - وبعـبارة أخرى - تكوين ما يسـمى بالرأى العام المصرى من جديد، وبذلك يتحد المصريون فى أهدافهم مهما كانت آراؤهم.

ثالثاً: إنماء الشخصية المصرية بقدر المستطاع، والنظر فى الأمور السياسية من زاوية مصر وحدها مستقلة عن غيرها من الدول ومنها الدولة العثمانية نفسها.

رابعاً: توجيه النقد إلى السلطتين الشرعية والفعلية فى البلاد، والنظر فى هذا النقد إلى مصلحة المصريين وحدهم، من غير تحيز لأحد الجانبين المذكورين في حال اختلافهما، أو فى حال اتفاقهما، أو فى الحال التى يكونان عليها بين بين.

خامساً: المطالبة بالدستور، والدأب على هذه المطالبة بعد إذ تبين للمصريين أنه يستحيل عليهم التقدم خطوة إلى الإمام إلا بمشاركة الأمة للحكومة فى الأعمال العامة، ولن يكون ذلك إلا بحصول الأمة على الدستور ولو بالتدريج، وذلك عن طريق الدفاع عن مجالس المديريات ومجلس شورى القوانين، وتوسيع اختصاصهما تمهيداً للوصول إلى حياة نيابية أقرب للكمال.

سادساً: الرد على مزاعم الإنجليز، وبخاصة ما جاء منها مخالفاً تقارير اللورد كرومر والدن غورست، حتى يثبت للعالم الحر أن مصر خليقة بالكمال الذى تنشده، وأن الإنجليز ظالمون فى نظرتهم للدين الإسلامى من جهة، وظالمون فى تقديرهم للموظف المصرى والكفاية المصرية من جهة أخرى.

سابعاً: الدعوة لمذهب الحريين؛ ليكون أساساً لتربية الأمة المصرية، ولحرية التعليم ولحرية القضاء، ولحرية الكلام والكتابة، ولحرية الاجتماع، وسائر أنوع الحريات الأخرى، مع العناية التامة ببرامج التعليم حتى يصبح ملائماً لأغراض الأمة والجيل الجديد.

ثامنا: النهوض بالحركتين العقلية والأدبية، وإفساح المجال للشبيبة المصرية لكى تظهر مواهبها المختلفة.

تاسعا: العمل على تشجيع الصناعة والتجارة والزراعة حتى تبلغ كل منها الحد الذى يتفق وآمال البلاد.

عاشرا: العمل على تقوية الوحدة القومية مع اليقظة التامة لتوحيد عنصرى الأمة المصرية ـ وهما عنصر المسلمين وعنصر الأقباط ـ حتى لا يجد المحتل ثغرة ينفذ منها إلى تحطيم الوحدة أو النيل من الحركة الوطنية.

وباختصار كانت (الجريدة) ومحررها أحمد لطفى السيد، تشترك مع اللواء ومحرره مصطفى كامل فى الأهداف الوطنيـة. ولكنهما يختلفان اخـتلافا كبيراً فى الوسائل: فبينما مصطفى كامل يرى الاعتماد على الدولة العلّية، إذ بلطفى السيد لا يرى الاعتماد علـى هذه الدولة أو غيرها، بل على المـصريين وحدهم دون غيـرهم. وبيـنمـا دعا مصطفى فـى (اللواء) إلـى ما يـسمـى (بالجامعة الإسلامية أو الجامعة الـعثمانية)، إذا بلطفى السيد فـى (الجريدة) يدعـو إلى (الجامعة المصرية) أو (الجامعة القومية). وقال فى ذلك:

«إن علينا نحن المـصريين أن نترك فرنسا والجلترة والدولة العـلية، وعلينا ألا نعير سياسة الخلاف، أو سياسة الوفاق أية أهميـة، وعلينا أن نعتمد على أنفسنا فقط فـى الحصول على حقـنا فى الدستور، وحقنـا فى الحرية. لابد لنـا من ذلك، ومن عزة تـرباً بنا أن نطلـب من غيرنا أن يأتى لـتحرير أنفسـنا من الرق وقلوبنا من عبادة القوى، كأننا ـ كما ظنـوا خطأ بنا ـ ينبغى أن يأتينا الاستقلال ونحن نيام»(1).

هكذا تعلن الحركة الوطنية عن تيـارها الثالث، وهو التيار الداعى لأن تكون «مصر للمصريين» والذى تزعمه أحمد لطفى الـسيد، ومثلته جريدة «الجريدة» التى صدرت عام ١٩٠٧.

وقد اختطت الجريدة لنـفسها تيارا متميزا مختلفا تمـام الاختلاف عن التيارين الأولين، فكانـت دعوتها للقومية المصـرية الخالصة باعتبارهـا هدف الاستقلال الصحيح، دعوة جديدة تتميز بطابع فكرى.

وإلى جانب ذلك أخذت الجريدة بالمذهب «الليبرالى» الذى يدعو إلى زيادة نصيب الأفراد من الحريـة وتحديد تدخل الحكومة فى مختلـف القطاعات حتى تعتمد الأمة على نفسها بدلا من الاعتماد على الحكومة فى كل أمورها.. ومن هنا نادت بحرية التعليم والمرأة والصحافة والقضاء وما إلى ذلك.

---

(١) د. عبد اللطيف حمزة: السابق ص ٨٨.

وتنفرد «الجريدة» بدعوتها الوطنية لأن تكون «مصر للمصريين» ومعارضتها الفكرة التى تنادى بربط مصر بتركيا، وهى الفكرة التى كانت تؤمن «المؤيد» بها واختلطت النزعة العثمانية بوطنية «اللواء» إلى حد ما.. وبذلك كانت الجريدة تمثل تيارا جديدا يمكن أن نطلق عليه «التيار المصرى» الخالص.

ونصل من هذا الحديث إلى أن الصحافة قد مثلت التيارات المتصارعة تمثيلا صادقا فرأينا كيف أن الرافد المعادى للانجليز مثلته «اللواء» وبرز على قمته مصطفى كامل، والرافد المؤيد للخديو مثلته «المؤيد» وصاحبها السيد على يوسف، والرافد الداعى إلى أن «تكون مصر للمصريين» مثلته «الجريدة» ومحررها لطفى السيد. وكلها روافد تنبع من التيار الوطنى.

الفصل السادس
الصحافة المصرية والاتجاهات الجديدة

تمثل الفترة بين ثورتى ١٩١٩ و١٩٥٢؛ مرحلة من المراحل الحاسمة فى ملحمة الجهاد الوطنى؛ نسجل فيها للصحافة المصرية وأعلامها أداء دور الحارس الأمين على أمانى الثورة الحقيقية.

وننظر إلى المقال الذى نشره العقاد فى عام ١٩٣٥ فى روز اليوسف اليومية على أنه تبشير بوجوب تحول نضال الشعب ضد الأوضاع الفاسدة والتبشير بزعامة جديدة لها صفات الصحافة الوطنية تتفق مع ما أثبته التاريخ من بعد يقول:

«الواجب فى الزعيم المصرى على ما نعتقد ان لا يرشح نفسه لوزارة ولا نيابة، وأن يكون «قائدا» لاسياسيا ولا حاكما من حكام الإدارة، وخير لمصر أن يكون شابا فى الأربعين وأن لا يكون من الموظفين الأقدمين.

«وعمل هذا الزعيم أن يجعل الحركة الوطنية حركة الاستقلال لا حركة المنافسة على الوزارات والتطاحن بين الأحزاب. وقد أصبح الوصول إلى الاستقلال عن طريق الوزارات أمرًا غير معقول ولا منظور بعد أن تعسر هذا الطلب على وزارة سعد زغلول..

«فليكن للزعيم المصرى بعد اليوم عمل غير المناصب أو البرامج السياسية، وليكن قيام الوزارات وسقوطها بعد اليوم معلقين على الرأى العام الذى يتصل بزعيمه صلة لا تقوم على الترشيح والتنصيب، ولكنها تقوم على الشعور النزيه الصادق الذى لا ينظر إلى غير الاستقلال والحرية كما كان ينظر إليهما المصريون فى أوائل النهضة القومية».

صحيفة (السياسة الأسبوعية):

صدر العدد الأول من (السياسة الأسبوعية) في مارس ١٩٢٦. وقد أشار رئيس تحريرها د. هيكل في افتتاحية هذا العدد إلى أنه لا يريد، أن يتلو «على الناس برنامجا طويلا عريضا نسرد فيه ما يجول بخاطرنا من الآمال التي نود أن نراها محققة في أنهر هذه الجريدة. بل نريد أن يرى الناس هذا البرنامج بأنفسهم ولسنا ندعي لهذا العدد تمثيل كل ما يجول بخواطرنا. لكن لنا من الرجاء في المستقبل ما يجعلنا أقرب إلى الظن باستطاعتنا أداء ما نرجو التوفيق لأدائه. على أن ذلك لايعفينا من أن نذكر إن أردنا بهذه (السياسة الأسبوعية) أن تكون وسطا بين الجريدة السياسية والمجلة السياسية من غير أن تقصر أكبر عنايتها في شئون السياسة على ما يفهمه الأكثرون. بل سيكون للأدب والاجتماع والاقتصاد والفن نصيب من العناية قدر المستطاع. ونعتقد أننا بهذا نؤدي خدمة يرى كثيرون ضرورة أدائها للبلاد في الظروف الحاضرة. وهذا الرأي يطمعنا في مؤازرة هؤلاء الكثيرين لنا وتأييدهم إيانا ومعاونتهم لنا ونحن أول من يقدر قيمة هذه المعاونة القيمة التي مكنت السياسة اليومية من بلوغ المكانة التي بلغتها والتي أطمعتنا في إمكان القيام بالمجهود الذي يقتضي إصدار مثل هذه (السياسة الأسبوعية) القيام به»[1].

وبعد سنة كاملة من عمر السياسة الأسبوعية، يقول هيكل في مقال بعنوان: السياسة الأسبوعية في عامها الثاني»[2]: «ورجاؤنا أن توفر السياسة الأسبوعية ما يجب توافره في هذه الصحافة من تنويع المواضيع تنويعا يجد معه كل قارىء ما يعنيه أن يقف عليه. وهذا هو ما دعانا ويدعونا إلى أن نجعل منها ميدانا لمختلف الموضوعات العلمية والأدبية والسياسية، وأن نلجأ جهد الطاقة إلى

---

(١) السياسة الأسبوعية في ١٣ مارس ١٩٢٦. عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفي في أدب محمد حسين هيكل ص٥٠.

(٢) السياسة الأسبوعية في ١٩ مارس ١٩٢٧.

ذوى الرأى والتخصص فى هذه الموضوعات المختلفة لإيقاف القراء على آخر ما أبدع فيها».

ومن ذلك يبين أن الرؤيا كانت واضحة أمام د. هيكل للملاحق والطبعات الأسبوعية، فهو يرد أن يحتذى حذو الطبعات الأسبوعية الأعم فى المفهوم من الملاحق الأدبية لأنه يريد بها أن تكون وسطا بين الجريدة السياسية والمجلة السياسية». وذلك بهدف القيام بنهضة ثقافية جديدة تهدف إلى إزالة الجمود الفكرى الذى كشفت عنه قضيتا «الإسلام وأصول الحكم» و«فى الشعر الجاهلى»، ذلك لأن الكتاب المجددين فى هذه الفترة بعد أن استنفدت الصحافة السياسية معظم جهودهم كان لابد لهم أن يفتشوا عن سند جديد يحمى ظهورهم ويسدد خطاهم ويضىء لهم الطريق ويحميهم من لهيب المعارك السياسية التى كانت محتدمة متأججة الأوار، كما رأينا صورة العصر السياسية عند الحديث عن (السياسة اليومية)، فبدأت فكرة، التعاون الأدبى تظهر فى الأفق، فظهرت «السياسة الأسبوعية»، «لأول عهدها بالحياة أثناء ائتلاف الأحزاب المصرية فى سنة ١٩٢٦ وطوع ذلك لها أن تكون مستقلة فى خطتها ومنهجها، غير متأثرة بهد حزبى أيا كان لونه»(١).

وراح د. هيكل يبث فكرة التآزر الأدبى المرتبطة بدعوته للوحدة القومية لتقيم مصر حياتها الداخلية على أسس جديدة ترجو أن يتضافر أبناؤها على ابتكارها وعلى تثبيت قواعدها وتوطيد أركانها. . فهذا الميدان ما يزال(٢) بكرا فى الحياة المصرية وما يزال بحاجة إلى تفاهم أولى الرأى على أصلح المبادىء وأكفلها بخير المصريين وطمأنينتهم ورضائهم، فهم اليوم أصحاب الرأى فى أمرهم وفى مصيرهم؛ وهم المطالبون لذلك بأن يضعوا نظام الحياة للجماعة المصرية وأن يقرروا المبادىء التى يقوم هذا النظام عليها. ووطنهم أشد إلحاحا فى مطالبتهم اليوم بوضع هذا النظام بعد أن أثبتت الحوادث أن سياسة الاحتلال

(١، ٢) السياسة الأسبوعية فى ١٢ يناير ١٩٢٩.

البريطانى فى الماضى قد أهملت الجانب المعنوى فى الحياة المصرية. وقد جعلت كل همها إلى ثبات المالية المصرية حتى لا تتداخل فى شئون مصر دولة غير بريطانيا باسم كفالة ما لأرباب الأسهم فى دين مصر العام من حقوق المصالح».

لذلك يذهب د. هيكل فى دعوته إلى أن السبيل الحق لابتكار أصلح المبادىء وأكفلها بالخير لمصر وطمأنينتها؛ إنما هو البحث الحر لا يقيده قيد ولا يقف فى سبيله عائق.

وتحقيقا لهذه الغاية رسم محرر السياسة الأسبوعية لصحيفته منهجا تلتزم به، ليتسنّى لها النجاح، وأن تكون ملتقى الأقلام والأفكار كما يريد. ويقوم هذا «المنهج» على البحث الحر، الذى لا يتأتى له أن يؤتى ثماره ـ كما يقول[1] ـ إلا إذا سما صاحبه فوق الأهواء الذاتية وفوق الشهوات والأحقاد والتمس معونة كل قادر على المعونة لبلوغ الغاية من بحثه، وهذا ما ترجو السياسة الأسبوعية أن تجده عند أولى الرأى من المصريين جميعا، وإن اختلفت ميولهم وأهواؤهم ونزعاتهم وأحزابهم. «فمصر أمنّا جميعا فى أحضانها نشأنا وإلى ترابها نعود وما نستمتع من الحياة فيها يلقى على عاتقنا جميعا عبء العمل لخيرها والتضافر على هذا العمل إن فرقت بيننا النزعات وباعدت بين أهوائنا أمزجتنا. ومن نافل الرأى النكوص عن القيام للوطن بواجبه ظنا بمعونة رجل الحكم لأن هوانا يختلف مع هوى هذا الرجل ومزاجنا لا يلتئم مع مزاجه. وليس بين النكوص عن أداء واجب الوطن وبين خيانة الوطن بون كبير»[2].

ويصف د. هيكل هذا «المنهج» فيقول:[3] إن «الحقيقة بنت البحث، والخلاف فى الرأى التماسا للحق وطلبا لمصلحة عامة هو آكد الوسائل إلى تبين وتحقيق المصلحة العامة. وستعاون هذه الجريدة قراءها جهد ما تستطيع فى البحث عن الحق وفى التماس أوجه الرأى بأن تعرض عليهم كل ما تستطيع

(١) السياسة الأسبوعية فى ١٢ يناير ١٩٢٩.

(٢، ٣) السياسة الأسبوعية فى ١٢ يناير ١٩٢٩.

عرضه من الآراء والمعلومات التى تقع عليها فـى مختلف أنحاء العالم، مستعينة فى ذلك بـأحدث ما ينشر مـن الكتب والنـشرات الدورية والصحـف وأسباب النشر والإذاعة جميعا، وهى تقدر أن الفكاهة قد تنطوى من الحقيقة على ما لا ينطـوى عليه جـدّ المنطق، وأن الأقـصوصة الضـاحكة قد تـنطوى من الـعبرة والحكمة أضعاف ما تنطوى عليه مذاهـب الفلـسفة. وهى لذلك ستأخذ من هذا وذاك بنصيب، ملتمسة فى الصورة وفى الكاريكاتور ما لا يصل إليه الأدب أو العلم، جاعلة كل همها أداء رسالة الفكر الحر والثقافة العلمية المثمرة».

وتحقيقاً لهذا المنهج أخذت السياسة الأسبوعية نفسها أن تقوم بجهود «التوطيد روابط العلاقة العقلية والروحية بين الشعوب التى تتكلم العربية، ولنشر الثقافة العامة فى مخـتلف أنحاء الشرق العربى بإذاعة ما تـستطيع إذاعته من تـفكير الشرق والغرب جميعا»[1]، وعلى نـفس «المنهج» الذى جعله د.هـيكل يقوم عـلى «أقـوم مبـادىء حريـة الرأى الـتى تحـل من نـفوسـنا مـحل الـقداسـة والإجلال»[2].

ويذكـرنا د. هيـكل أن السياسة الأسبوعية[3]، «يشـجعها عـلى المضـى فى رسالتـها ومتابعـة مجهودهـا ما يتولاها بـه قراؤها من تشـجيع وما يـؤازرها به أصدقاؤها مـن معونة صادقة فى تحريـرها. فليس عدد من أعدادهـا إلا يحتوى بحوثا وأفكارا ممتعة من ثمرات أقـلام هؤلاء الأصدقاء الذين وجدوا فيها المجال للتعاون على إنهاض هذا الشرق العربى نهضة فكريـة هو الآن فى أشد الحاجة إليهـا. وليس يقـف أمر هذه البحـوث والتفكيـرات على ما يـرسله بنو مصر، وفلسطيـن وسوريا والعراق. هذا إلـى جانب ما يـوقفنـا عليـه مراسلونـا فى مختلف الأقطار مـن سير النهضات فى الشرق ومن أسبـاب التطور فى الغرب. وكذلك ترانا نشـعر فى كل عدد من أعداد هذه الجريدة بـوسط قوى صالح من

(١، ٢) السياسية الأسبوعية فى ٢٣ مارس ١٩٢٩.

(٣) المرجع نفسه.

الأنصار والمؤيدين يعززنا ويقوى همتنا ويبعثنا على المزيد من الجهد فى سبيل أداء الغرض الذى أخذنا به أنفسنا منذ أصدرنا العدد الأول من السياسة الأسبوعية»[1].

«هذا الغرض هو الذى يجعلنا نتوخى جهد الطاقة ألا نميل بهذه الجريدة إلى ناحية حزبية سواء فى مصر أو فى أية أمة من الأمم التى تقرؤها. ذلك أننا لا نريد بها مناصرة فريق على فريق ولا طائفة على طائفة، ولا نبتغى بها أن تكون فى صف زيد أو عمرو، وإنما نبتغى بها مناصرة فكرة لا تتزعزع فى نفوسنا ولا تتصل بحزب من الأحزاب أو بطائفة من الطوائف، تلك الفكرة هى ما قدمنا من تأييد حرية الرأى والعمل على نشر الثقافة وتمكين أواصر القربى العقلية والروحية فى نفوس أهل الشرق جميعا. لذلك لا يمنعنا مانع من أن ننشر رأيين مختلفين. ولا رأيا يخالف رأينا ما قام الرأى على أساس من سلامة التفكير والتنزه عن الأغراض الذاتية. وإذا كنا قد جعلنا هذا رأينا فى الاجتماعيات والعمليات فهو كذلك رأينا فى الشئون السياسية. فليس يحول دون نشر رأى من الآراء أنه يخالف رأينا ما بدا هذا الرأى منزها عن الغرض، سليم التفكير فى مقدماته ونتائجه. وهذه الحرية التامة التى نبتغيها هى التى أتاحت لنا أن ننشر الرأيين المتناقضين وأن نترك لصاحب كل واحد منهما أن يؤيد رأيه بما يرى تأييده به من حجة ودليل قائمين على الأساس السابق ذكره»[2].

ويشهد د. هيكل أن هذا الاحترام التام لحرية الرأى قد جنى على السياسة الأسبوعية فى بعض الأحايين: «وبلغت جنايته أن ضاع بعض أصدقائها ممن كان لأقلامهم أثر فيها. لكننا لم نأسف يوما من الأيام على ما حدث من ذلك. فنحن أكبر تقديرا لحرية الرأى منا للذين ينقمون هذه الحرية، ولو أدى ذلك إلى

(١) السياسة الأسبوعية: فى ٢٣ مارس ١٩٢٩.

(٢) السياسة الأسبوعية فى ٢٣ مارس ١٩٢٩.

ضياع ما بينهم وبين هذه الجريدة من صداقة وصلة، ولو أدى ذلك إلى إعلانهم عليها حربا لن تنال منها، لأنها بنزعتها السامية أبعد منالا من أن تسىء إليها الشهوات الخاصة أو تزعزع من عقيدتها فى مبدئها وغايتها الأغراض والمآرب الذاتية»[1].

ويعاهد هيكل قراءه فى مفتتح السنة الرابعة من حياة السياسة الأسبوعية على أن «تكون دائما عند حسن ظنهم بها. . فلن نألو جهدا فى سبيل تحقيق غاياتنا ولن نجعل لاعتبار فوق حرية الرأى قيمة، ولن نتغير عما كنا نعاضد البحث والتفكير ونعمل على نشر ما يصل إليه العلم من نتائج. وإنا لنعاهدكم كذلك على أن نكون فى المستقبل كما كنا فى الماضى، أنصار النزاهة المطلقة فى التفكير والقول والكتابة. ونعاهدكم أيضا على أن نتعاون وإياهم على بعث حضارة الشرق من جديد بعثا نراه قريبا وإن رآه بعضهم بعيدا، ونراه يقينا وإن رآه بعضهم حلما من الأحلام، ونراه هادى الإنسانية ومرشدها إلى السلام وإن خيل لبعضهم أن الإنسانية لن تزال فى ضلال ولن يُروى ظمؤها للخراب والدمار. وإذا كان ما نعاهد قراء السياسة الأسبوعية عليه أمرا شاقا عزيز المنال، فإنه لذلك جدير بالجهود والسعى المتواصل. ولقد طالما حسب المترددون الذين إذا ذكر الحق تزعزعت عزائمهم أمرا من الأمور محالا، فإذا هذا المحال أدنى لأن تحققه العزيمة الصادقة مما يظنون. وهذا إيماننا وهو الذى يجعلنا على ثقة من أنا بالغون فى المستقبل القريب كل هذه الغايات التى نصبو إليها ونتجه إلى تحقيقها»[2].

ويزيد هذا الإيمان فى نفوسنا قوة على قوته ما بلغته السياسة الأسبوعية من قوة فى السنوات الثلاث التى انقضت منذ نشر أول عدد منها. فثلاث سنوات من حياة أى مجهود من المجهودات ليست شيئا مذكورا. وكم مضت أمثال هذه

(١) نفس المرجع.
(٢) السياسة الأسبوعية فى ٢٣ مارس ١٩٢٩.

السنوات الثلاث وأضعافها على عمل فى جسامة السياسة الأسبوعية ثم إذا به ما يزال يضطرب بين الاستقرار والهزيمة. فأما هذه الجريدة فقد قوبلت من الجمهور فى مصر والشرق العربى وفى البلاد الغربية النائية التى تضم طائفة من قراء العربية بتعضيد عظيم جعلنا نعتقد أن الحاجة كانت ماسة إليها، وأن الأغراض الماثلة فى نفوسنا ماثلة فى نفوس الألوف والملايين من أهلنا وجيراننا وإنها ما كادت لذلك ترى هذا المجهود يشرق فجره حتى تعاونت لتزيده ضياء على ضيائه.

إذن فالغايات التى نريد بلوغها ليست غايتنا وحدنا ولكنها غايات عامة تجيش بها نفس الشرق كله والشرقيين جميعا. وإذن فالمجهود الذى نقوم به يلقى جوابه فى نفوس الملايين من أهلنا وبنى عمومتنا. وإذن فهذا البعث الذى نطمع فيه كثمرة لحرية البحث العلمى والرأى النافع نرجو أن يبعث من روح الشرق الخالدة إلى حضارة الغرب فى كثير من أنحائها ضياء الحق وأن يحقق للإنسانية ما تصبو اليوم إليه فى قوة ولهف من هداية وسلام - هذا البعث هو كذلك موضع إيمان الكثيرين وموضع رجائنا أجمعين فليكن عهدنا الذى عاهدنا عليه قراءنا هو إذن مفتتح كلمتنا لهذه السنة الرابعة»(١).

من هذا ومن كثير أمثاله من فواتح القول نتعرف على هذه الخطوط الكبيرة فى «السياسة الأسبوعية» وأهدافها. . إنها بوجه عام، اتجاه جديد فى الصحافة العربية على غرار ما تفعله الصحف الأوربية، يهدف من ورائه الأدباء والكتاب المصريون إلى الخروج من دائرة الحزبية، وإلى مواصلة رسالة التجديد التى بدأوها فى الصحف اليومية على عجل، ولأنهم يريدون أن يسلكوا بالنهضة الفكرية، كما وضح من قول د. هيكل فيما سبق، طريقا جديدا غير مسبوق، ولأن هذه الفترة، كما نعلم كانت تختلط فيها التيارات الأدبية بالتيارات الحزبية،

---

(١) نفس المرجع.

وتتأثر الأحكام النقدية بهذه التيارات، والأمر الذى كشفت اللثام عنه بعض القضايا الفكرية التى شهدتها الصحف اليومية(١).

على أن صدور السياسة الأسبوعية على هذه الصورة التى نتحدث عنها لم يكن بداية مولد تيار التجديد، فقد رأينا فيما سبق أن هذا التيار قد نشأ فى ظروف الحياة المصرية وصراعها الحزبى، فقد كان هذا التيار يتطور ابتداء من الصفحة الأدبية فى السياسة اليومية، ثم ملحق السياسة، وهكذا تطور التيار أو وصل إلى ذروته عندما صدر العدد الأول من الطبعة الأسبوعية للسياسة فى مارس ١٩٢٦.

وإذا كنا لا نجمع على أن مولد هذه الصحيفة يمثل ميلاد تيار التجديد، فإننا نعترف بأن هذا التيار قد وصل إلى ذروته من ذلك الحين، وساعدت الظروف والأحداث على أن يأخذ طابعه الفكرى المجدّد، ولذلك كان لابد أن نقف عند هذه النشأة وكيف تطورت وما صادفها من عقبات.

ونحن نلمح فى فواتح القول التى أوردناها من السياسة الأسبوعية والتى سجلها محررها: الاستقلال فى الشخصية الأدبية، ففى الوقت الذى تصدر فيه السياسة الأسبوعية ممثلة لكل الاتجاهات والمذاهب الفنية، لا ينسى هيكل أن يشير صراحة إلى أن السياسة الأسبوعية لا تتقيد بالآراء الحزبية ولا بتوجيهات الحزب إلا فى الحدود الخاصة: «وسيكون دأبنا هناك وهنا أن ننصر المبادىء أو نحاربها لذاتها دون نظر إلى الأشخاص الذين يؤيدونها، أو يناضلونها وفى نصرة المبادىء وفى محاربتها لا نداجن ولا نخاف فى الحق لومة لائم. لذلك قد ننصر رأيا لشخص بذاته ونحارب رأيا آخر لهذا الشخص بذاته. إذا لم يتفق هذا الرأيان فى منطق المذاهب العملية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الفنية أو

(١) راجع كتاب: طه حسين وزوال المجتمع التقليدى؛ القاهرة هيئة الكتاب الفصل الخاص بالقضايا الفكريةوقضية الشعر الجاهلى.

الأدبية. ولن يغير تأييدنا للرأى أو المبدأ أو محاربتنا إياه من صلاتنا لمؤيدى المبدأ ولا لخصومه»[1].

وقد أرسى بذلك مبدأ من أهم المبادىء التى كانت الحياة الأدبية والصحفية فى أمس الحاجة إليها حينئذ، ونعنى (محاربة التعصب) الذى نجم عن تغلغل الحزبية فى الرأى. وفى ذلك قال د.هيكل: «فإن حرص الأشخاص مع ذلك على خصومنا فإنّا لن نقف منه موقف التعصب ولن نحارب ما نراه صالحا من رأيه. فليس التعصب وليس ضيق الأفق فى طبعنا، والتعصب وضيق الأفق هما اللذان يحيلان الخلاف فى الرأى خصومة ذاتية ويسرعان بصاحبهما إلى اتهام من يخالفه وينسيانه أن الحقيقة بنت البحث وأن الخلاف فى الرأى التماساً للحق أو طلبا لمصلحة عامة هو آكد الوسائل إلى تبين وتحقيق المصلحة العامة»[2].

ومن ذلك أيضا تأصيل «حرية الرأى» وتوكيدها وبث روح الديمقراطية فى الأدب الصحفى حتى يشق الشباب بقدرته وكرامته الشخصية، ولذلك رأينا د.هيكل يسجل حرص السياسة الأسبوعية «على حرية الرأى والبحث لتكون ميدانا حقيقيا لأصوب الآراء فى أشد الشئون مساسا بحياتنا الروحية والعملية والمادية»[3].

هكذا جاءت «السياسة الأسبوعية» كأول طبعة أسبوعية تعنى بالشئون الثقافية البحتة فى مصر وفى العالم العربى فيما نعلم، بحيث لا يسع مؤرخ الصحافة إلا أن ينظر إلى صحيفة السياسة ـ كما يقول الدكتور عبداللطيف حمزة[4] على أنها تعتبر بحق «رائدة» الطَّوْر الرابع من أطوار الصحافة المصرية. ويرجع السبب فى ذلك إلى أمور كثيرة منها:

(١، ٢، ٣) السياسة الأسبوعية فى ١٤ يناير ١٩٣٩.

(٤) الصحافة المصرية فى مائة عام ص١١٠.

أن جريدة السياسة كانت من أكثر الصحف المعاصرة لها استخداما لكبار الكتاب والمفكرين، وإفساحا لهم فى مجال الكتابة فيها على اعتبارهم «مصاحفين لا «صحفيين محترفين».

استطاع كتابها أن يخلقوا ثورة فى الصحافة المصرية من الناحيتين الأدبية والفكرية وذلك بما نشروا فى صحيفة السياسة الأسبوعية - بنوع خاص من المقالات الثورية فى عالم الأدب والاجتماع والتاريخ والفلسفة. وحسب القارىء أن نذكره هنا بمقالات على عبدالرازق التى جمعت فيما بعد فى كتاب: «الإسلام وأصول الحكم». وحسب القارىء أن يذكر كذلك أن صحيفة السياسة هى التى حمت الدكتور طه حسين من بطش الحكومة بعد نشره كتاب: «فى الشعر الجاهلى». بل حسب القارىء كذلك أن نذكره بمقالات إبراهيم عبدالقادر المازنى وهى عبارة عن قصص فى إطار مقالات كانت نوعا جديدا فى فن المقال من حيث هو. ثم حسب القارىء أخيرا أن نذكره بالمقالات النقدية الاجتماعية التى كتبها عبدالعزيز البشرى، وجمعت بعد ذلك، فى كتاب عنوانه: «فى المرآة» وفيه صور كاريكاتورية إقليمية لكثير من الشخصيات البارزة فى الأمة المصرية كانت هى الأخرى لونا جديدا من ألوان المقال(١).

وإذا كان الفن اختيارا، فإن اختيار اسم «السياسة الأسبوعية» يدل على نزعة محررها إلى التجديد، لأنه يجنح بالصحافة المصرية إلى إحراز تقدم ثقافى ذهبت إليه صحافة الغرب، فهو يريد «بالسياسة الأسبوعية» أن تكون «وسطا بين المجلة السياسة والجريدة السياسية، ويكون للأدب والاجتماع والاقتصاد والفن نصيب من العناية فيها قدر المستطاع»(٢). وفى ذلك ما يبين أثر «النموذج الغربى الذى كان أمام محرر السياسة الأسبوعية، ونرجح أن يكون هذا النموذج هو

---

(١) الصحافة المصرية فى مائة عام ص١١٢.

(٢) السياسة الأسبوعية ى ١٣ مارس ١٩٢٦.

الطبعة الأسبوعية لصحيفة «التيمس The Times»[١]. ولعل ذلك يرجع إلى أن كلا من الصحيفتين رسمتا لنفسيهما سياسة ومنهجا منذ صدور كليهما وبقيتا عند تلك السياسة والمنهج لا يغير فيه أبدا.

فإذا كانت السياسة الأسبوعية قد صدرت وأمامها هذا النموذج الغربى. فإننا نذهب إلى للطفى السيد أثرا فى تسمية «السياسة الأم، ونعنى الصحيفة اليومية التى اتخذت الأسبوعية اسمها، نرجعه إلى أرسطو الذى ترجمه أستاذ الجيل فالسياسة عند أرسطو هى أشرف العلوم، لأنه يعرفها بأنها تدبير المدنية ليكون سكانها فضلاء. ومن هذا التعريف ترجع إلى السياسة سائر العلوم كما قال أرسطو تأسيسا على أن السياسة تبين ما هى العلوم الضرورية لحياة فضلاء، وفى هذا التعريف ترجع إلى السياسة سائر العلوم، أى حد ينبغى أن يعلموها»[٢] فهل أرادت «السياسة الأسبوعية» أن تكون مرجعا لسائر العلوم؟ وهل تكون بعد صدورها على النموذج الغربى قد حققت ما نرجّحه من آراء أستاذ الجيل؟

وأيا كان الأمر، فقد حاولت السياسة الأسبوعية فعلا أن تقوم برسالة الثقافة الشاملة «لسائر العلوم» فحشدت كل كبار الكتاب فى ذلك الوقت فكان إلى جانب محررها: د.هيكل،طه حسين، ومحمود عزمى، ومصطفى عبدالرازق، وعلى عبدالرازق، وإبراهيم المازنى وعبدالعزيز البشرى، وتوفيق دياب، ومحمد عبدالله عنان.

وقد حدثنى شيخ الصحفيين الأستاذ حافظ محمود رحمه الله أن الصفحة الاقتصادية فيها كان يحررها المرحوم كامل عبدالرحيم وكيل وزارة الخارجية، وكان يحرر الصفحة العلمية فيها الدكتور محمد والى الذى صار عميدا لكلية

---

(١) يحدثنى الأستاذ حافظ محمود أن السياسة الأسبوعية فعلا كانت تهدف أن تحقق ما تحققه الطبعة الأسبوعية The Times: Weekly Review بل إنها ـ اتخذت لنفسها شكل هذه الطبعة.

(٢) لطفى السيد: فيلسوف أيقظ زمة؛ للمؤلف، ص١٦٩.

العلوم فيما بعد. وكانت تحرر الصفحة النسائية فيها الآنسة «مي» إلى جانب عدد كبير من المحررين والمترجمين الذين تتلمذوا على هذه الجريدة وأصبحوا من ألمع الكتاب فيما بعد مثل: الدكتور عبدالحميد يونس وحافظ محمود.. وغيرهما.

وقال الأستاذ حافظ محمود أيضا، إن السياسة الأسبوعية كانت منذ نشأتها أوسع الجرائد العربية الشرقية انتشارا في العالم، فبلغ متوسط توزيعها أربعين ألف نسخة أسبوعيا بينما كانت أعلى نسبة توزيع للصحف إذ ذاك لا تتجاوز عشرين ألف وكان نصف هذا العدد بالضبط يوزع في البلاد العربية خارج مصر، ولذلك كان لها فضل الربط الفكري بين القاهرة والعواصم العربية الأخرى.

ولا شك أن الفضل في هذا النجاح يرجع إلى رغبة محررها المستمرة في تطوير المقالة الصحفية بجميع فنونها وأشكالها تطويرا يتصل بالشكل والمضمون[1]، ويبين إدراك د.هيكل لمسئوليته القيادية في إيجاد صحافة ممتازة، تواكب تقدم الصحافة العالمية، لتقدم للأمة العربية حينذاك ما كان يطمع إليه من مثل فكرية.

وهكذا نشأت السياسة الأسبوعية لتحتضن النهضة الأدبية والأفكار التقدمية وتدافع عنهما بحرارة عظيمة، وحماسة صادقة[2].

وتأسيسا على هذا الفهم يمكن أن نقول إن السياسة الأسبوعية قد خرجت بمباحثها ودراساتها أشبه ما تكون بـ«جامعة تضم مختلف الكليات فيها لكل طالب زاد - على حد تعبير المرحوم محمود تيمور [3]. ولعلها كانت وليدة الضرورات والملابسات الاجتماعية في تلك الحقبة من الزمن، إذ كانت الجامعة

(١) محمد حسين هيكل والفكر القومي المصري ص١٦٠.

(٢) حمزة: مستقبل الصحافة ص٢٠٨.

(٣) محمد حسين هيكل والفكر القومي/ السابق ص١٦٢.

الحكومية ما تزال فى مهدها، طلابها نفر قليلون، على حين يتطلع شباب العصر إلى المعرفة والتأدب، فكان على السياسة الأسبوعية أن تروى ظمأ الجمهور الراغب فى التثقيف والتنوير».

ونخلص من ذلك إلى أن الصحيفة يتسق مع رسالتها لأنها تسير فى المفهوم الأرسطى «للسياسة» الذى ترجع إليه «سائر العلوم».

واحترمت السياسة الأسبوعية الفكرة الأساسية فى إنشائها، وهى فكرة الأدب فتجنبت ـ ما أمكن ـ الخوض فى أية موضوعات تمس السياسة الداخلية إلا اضطرارا. وأعلنت فى تقديم عددها الأول هذه الخطة فكانت سببا من أسباب إقبال القراء عليها حتى لقد كانت أول أمرها أكبر وأكثر الصحف العربية توزيعاً.

صدرت السياسة الأسبوعية عن شركة جريدة السياسة اليومية، وقد رأس تحريرها الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير السياسة اليومية كما تقدم، ومع ذلك كله ظلت محافظة إلى مدى بعيد على استقلالها الذاتى بعيدا عن السياسة الحزبية، لتظل وثيقةالصلة بالنهضة الأدبية الجديدة.. فظلت الصلة بينها وبين شركة السياسة مجرّد صلة إدارية ومالية دون خلط بين سياسة الجريدتين إلا بعد سنين طويلة.

وليس معنى ذلك أن هناك انفصالا تاما فى المفاهيم بين الجريدة اليومية والأسبوعية.. ولكن معناه أن السياسة الأسبوعية كانت تتعرض للسياسة من الزوايا العامة التى تكاد تكون ذات طابع دولى.. وهذا ما كان يظهر فقط فى افتتاحياتها التى كان يكتبها أول الأمر رئيس التحرير الدكتور محمد حسين هيكل.

وقفنا على كثيرمن النظرات الجديدة فى الأدب والفكر ونحن ندرس الآثار الأدبية فى صحيفة السياسة الأسبوعية، وآراءها فى التجديد. ولقد فصلنا الحديث فى هذه الأمور، ولكننا نريد بعد ذلك أن نشير إلى اتجاهات التجديد

فى السياسة الأسبوعية من خلال الاتجاهات التى دار فيها مقال هيكل بصورة مركزة تقفنا فى وضوح على الإضافات الجديدة التى أغنت بها السياسة الأسبوعية صحافتنا الحديثة[1].

ونودّ أن نشير بصفة عامة إلى أن د.هيكل محرر **السياسة الأسبوعية**، وصحبه من كتابها ومحرريها كانوا يمثلون ثورة حقيقية فى صحافتنا العربية الحديثة، فلقد جاءوا إليها بثقافتهم وفكرهم الجديد، وطاقاتهم الصحفية والأدبية المتفتحة، فملأوا حياتنا الفكرية بالأفكار الجديدة فى الأدب والصحافة، وحاربوا الجمود والتقليد ودعوا إلى التجديد فى نواحى الحياة، وأفسحوا المجال للمواهب الجديدة.

والواقع أن **السياسة الأسبوعية** قد ورثت عن شقيقتها اليومية تلك الإمكانيات الفنية التى جعلتها رائدة للصحف المعاصرة، فجاءت صحيفة **البلاغ** بعدها فى ٢٨ يناير ١٩٢٣[2]. فوجدت أمامها نموذجا من الصحافة الحديثة يتفوق فنا على الصحف الأخرى وكان عليها «أن تظهر للقراء بصورة لا تقل عن الصورة التى ظهرت بها السياسة بحال من الأحوال»[3].

من هنا جاءت **السياسة الأسبوعية** لتمثل ذروة تيار التجديد الذى بدا فى **السياسة اليومية**، كما سبق القول، وقد جددت «فى الأسلوب والمضمون، فخرجت من تلك الدائرة الضيقة التى كانت الصحافة فيها قاصرة على ذكر الحوادث السياسية فى الداخل والخارج. وأفردت صحائف للأدب والفن والزراعة والسيدات»[4]. وكان ذلك كما يقول هيكل: «خطوة سعيدة، فإن الصحف الأخرى جاهدت لتحذو حذو السياسة، والتنافس فى ذاته دافع إلى التقدم»[5].

---

(١) محمد حسين هيكل والفكر القومى/ السابق ص١٩١.

(٢) صدرت السياسة اليومية ٣١ أكتوبر ١٩٢٢.

(٣) محمد حسين هيكل والفكر القومى/ السابق ص١٧٠.

(٤، ٥) السياسة: فى ٣١ أكتوبر ١٩٢٤.

ذلك أن الخصومة السياسية، كما يقول طه حسين[1] قد دفعت «صحف الأحزاب المتخاصمة إلى التنافس فافتنّت فيما جعلت تنشر من الفصول، وإذا الأدباء يستعرضون الآداب الأوروبية الحديثة يذيعونها ناقدين ومحللين ومترجمين، وإذا هم بعد هذا كله يرقون إلى إنشاء الدراسات التى تطول حتى تصبح كتبا تستقل بنفسها، وتقصر حتى تصبح فصولا تنشر فى الصحف والمجلات ثم يجمع بعضها إلى بعض فإذا هى أسفار قيمة يجد فيها القارىء نفعا ولذة ومقاما. فهذا نوع جديد من الأدب عرفه الأوربيون منذ زمن بعيد ولم نعرفه نحن إلا فى العصر الحديث».

ومن جهة أخرى فقد جاء اشتغال الأدباء بالشئون السياسية فى الصحافة عاملا من عوامل هذه النهضة، بعد ثورة ١٩١٩. وهؤلاء - كما يقول العقاد[2] - كان لهم «الأثر المحسوس فى نشر الأدب بين قراء الصحف السياسية ونشر السياسة بين القراء المتأدبين الذين كانوا لا يحفلون بها ولا يقرأون من المقالات والكتب إلا ما كان أدبا محضا أو بحثا فى موضوعات الشعر والنقد والبلاغة.. فمنذ اشتغل أفراد هذه الطبقة بالصحافة والسياسة تعود قراؤهم السياسيون أن ينتقلوا معهم إلى مباحث الأدب والنقد وما إليها، كما تعود قراؤهم الأدبيون أن ينتقلوا معهم إلى السياسة ومناقشاتها حيثما خاضوا فيها وناضلوا عنها. فاتسع نطاق الأدب كما اتسع نطاق السياسة، واستفادت الأساليب العربية كما استفادت النهضة الوطنية من جودة التعبير وحسن التوجيه وارتقاء مذاهب القول والتفكير، ونشأت فى مصر والشرق نهضة أدبية أو أدب سياسى تتقارب فيه درجات القراء ممن كانوا يألفون الأدب دون السياسة إلى ما كانوا يألفون السياسة دون الأدب، ثم اجتمعوا على مائدة واحدة لكل منهم نصيب فيها».

---

(١) فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين ص٢٨.

(٢) فن المقال الصحفى فى أدب العقاد ٢٢٨.

وتأسيسا على ذلك نستطيع أن نفهم الدور الذى أسهمت فيه السياسة الأسبوعية من توسيع نطاق القراءة وتهذيب لغة الصحافة وتمكين العبارات الوطنية وما يتصل بها من الخوالج النفسية فى قلوب القراء ومن يقتدى بهم من قريب.

التجديد فى التحرير الصحفى:

والمقصود بالتحرير هنا هو الموضوع والأسلوب. وإذا كان هناك اعتراض قوى بأن الصحيفة التى يسهم فيها عدد كبير من الكتَّاب لا يمكن أن ينتظمهم أسلوب واحد ولغة واحدة[1]. وهو اعتراض حق، حين ننظر فى التفاصيل والأجزاء، ونقف عندها. أما حين نتناول الصحيفة ككل فإن الاعتراض يهن ويضعف. إذ من الواضح أننا إذا كنا نجد الصعوبة فى الحكم على أسلوب **السياسة الأسبوعية والبلاغ الأسبوعى** بسبب من كثرة الكتَّاب فيهما، فإن من اليسير أن نلاحظ أن الأقلام المختلفة الأساليب تتلاقى بعد ذلك وتتقارب وأن مسافة الخلف بينها تضيق وتنكمش، ويبقى لها بعد ذلك خط واحد كبير يمكن أن يفسر لغتها ويبين عن أسلوبها. ونحن فى **السياسة الأسبوعية** ـ مثلا ـ نوشك أن نكون أمام أسلوب واحد ينتظمها فى التفكير والتعبير إلى حد كبير.

أما **الموضوع** فقد سبق أن رأينا أن **السياسة الأسبوعية** منذ صدورها على الناس بصفحات جديدة منها، **الصفحة الأدبية ـ الصفحة الفنية الصفحة العلمية ـ الصفحة القانونية ـ صفحة المرأة ـ الصفحة الاقتصادية** إلخ. ولم تقتصر الصحيفة على ذلك حتى حرصت بدون انقطاع تشجيع الفنون الأدبية الجديدة، فشجعت **حركة القصة فى الأدب العربى** ترجمة وتقويما، إلى جانب عنايتها بالنهضة الفنية الأخرى فى المسرح والموسيقى والسينما.

---

(١) فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكل، ص٢٩٠.

بهذه الطرق وأمثالها استطاعت السياسة الأسبوعية أن تدخل على الصحافة العربية الجديدة، وأن تشارك فى النهضة الأدبية والفكرية التى بلغت أوجها بصدور الدستور فى سنة ١٩٢٣ . ونرجح أن يكون الوازع لهذه النهضة إلى اعتقاد محرر السياسة الأسبوعية بأن «الكاتب الذى يؤمن برسالته يخلق قراءه ولا يخلقونه»[١].

فابتدعت السياسة الأسبوعية طرقا فنية للمشاركة فى النهضة ؟ ومنها طريقة «المرايا» التى برع فيها عبدالعزيز البشرى وقد استهلت المرايا عددها الأول فى مارس ١٩٢٦ بمقالة عن «زيور باشا» وإلى جانب المقال صورة كاريكاتورية ضاحكة. وقد فتحت السياسة الأسبوعية بهذا الباب فتحا جديدا فى الصحافة العربية يتجه إلى استخدام الأسلوب الكاريكاتورى. كما كتب بعض المرايا فى السياسة الأسبوعية فكرى أباظة وحسن درويش وتوفيق فرغلى وعبدالحميد حمدى[٢].

وكنا قد قلنا فى كتابنا عن د.هيكل إنه عاد إلى كتابة صورة جديدة تحت هذا العنوان بعد ذلك بعشر سنوات حين لم تعد تصدر غير السياسة الأسبوعية ولم يكن يوقعها باسمه. وقد كان مرجعنا فى ذلك الدكتور حسين فوزى النجار[٣]. وقد رجعنا إلى هذه الصور فلم نجد فيها أثرا لروح هيكل، مما جعلنا نرجع إلى محررها فى هذه الفترة وهو أستاذنا حافظ محمود رحمه الله، الذى أوضح لنا أن هذه المرايا كانت تكتب بتوجيه من هيكل فقط، ولكن محررها هو حافظ محمود نفسه.

وأيا كان الأمر فقد فتحت السياسة الأسبوعية بابا جديدا فى الصحافة

(١) الهلال: ٥ أغسطس ١٩٣٤.
(٢) فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكل ص٢٢٧.
(٣) نفسه، ص٢٣٠.

المصرية يستخدم الكاريكاتور عن طـريق المقالات الأدبية أو الصحفية. بل كانت تقرن بين السخريـة الكاريكاتورية والسخرية القلمية فـى موضع واحد فتوسعت الصحـافة من بعد استـخدام الكاريكاتـور إلى الحد الذى أحدث أزمة أخـلاقية حادة خاض الكـتاب فى بيانهـا، وانقسموا يومـئذٍ إلى رأيين، الأول ينـكر هذا الاتجاه كل الإنكار، وكان يتزعمه ويعـبر عنه الدكتور هيكل[٣] والرأى الثانى لا يجد بأسا من استخدام هذا الفن وكان من دعاته الدكتور طه حسين[٤].

البلاغ الأسبوعى:

وسار على هذا الدرب (**البلاغ**) فأصدر صاحبه: (**البلاغ الأسبوعى**) فى ٢٦ نوفمبر ١٩٢٦، وهو تقليد (**للسياسة الأسبوعية**) وكان من أهم مـحرريه عباس **العقاد ومحمد السباعى وصبرى أبو علم ومحمود سليمان غنام** فى حجم اصغر من (**السياسة**) وإن صدر أحيانـاً فى ثمان وعشرين صـفحة ولكنه تمـيز بصوره الكاريكاتورية.

مجلة الكشكول:

ثم صـدرت فى مـطلـع الحركـة الوطـنية صـحيـفة تـأثرت أبـا نظـارة هى (**الكشكول**) المصور لسليـمان فوزى وكانت «جريدة مصورة اجتماعـية انتقادية» عرفـها المصـريون فى ٢٤ مـايو ١٩٢١ وكانـت مثلاً طيـباً للـصحافـة الهزلـية وعاصرت الـتطور السـياسى فى مصـر إلى أن قضى صاحـبها، وعن مـدرسته صدرت (**روز اليوسف**) و(**آخر ساعة**) وما إليها من المجلات المماثلة[٣].

---

(١) من كلمته بكتاب الدكتور محمد حسين هيكل ص٣١.

(٢) حق السياسة: فى ٣٠ مايو ١٩٣٣

(٣) د. إبراهيم عبده: السابق ص ٢١٥ .

مجلة الرسالة والزيات:

أصدر أحمد حسن الزيات مجلة (الرسالة) فى ١٥ يناير ١٩٣٣ بالاشتراك مع طه حسين وأعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر وكانت خطتها «ربط القديم بالحديث ووصل الشرق بالغرب». ويصور الزيات مولد «الرسالة» واللقاء الذى تم بينه وبين طه حسين بشأن إصدارها فى وقت كانت المجلات الهزلية تطغى على الصحف الثقافية بعد تحول السياسة الأسبوعية إلى الاتجاه الحزبي، يقول : «فى ذات عشية من عشايا نوفمبر من عام ١٩٣٢ زرت أخى طه حسين فى داره بالزمالك. وكنت منذ أربعة أشهر قد رجعت من العراق بعد أن أغلقت دار المعلمين العليا ببغداد. وكان هو قد أنزل عن كرسيه فى كلية الآداب من جامعة فؤاد. فقلت له بعد حديث شهى من أحاديث الذكرى والأمل: ما رأيك فى أن نصدر معا مجلة أسبوعية للأدب الرفيع؟ فضحك ضحكته التى تبتدئ بابتسامة عريضة، ثم تنتهى بقهقهة طويلة، وقال: وهل تظنك واجدا لمجلة الأدب الرفيه قراء فى مجتمع، ثقافة خاصته أوربية، وعقلية عامته أمية، والمذبذبون بين ذلك لا يقرأون إذا قرءوا - إلا المقالة الخفيفة والقصة الخليعة والنكتة المضحكة؟.

فقلت له: لعل من بين هؤلاء طبقة وسطى تطلب الجد فلا تجده، وتشتهى النفع فلا تناله. . فقال وهو يهز رأسه: حتى هذه الطبقة ، إن كانت، ستقبل على الجد النافع أول الأمر لأنه تغيير وتنويع، فإذا ما ألح عليها، لا تلبث أن تسأمه وتزهد فيه. . والمثل أمامك فى السياسة الإسبوعية.

«فقلت له: ربما كان لإقبال القراء على السياسة الإسبوعية، ولإدبارهم عنها سببان «آخران غير التغيير والسأم. . كانت هذه المجلة أول ما صدرت قوية عفية خصبة فأصبحت حاجة، ثم اعتراها ما يعترى الكائن الحى من الوهن والانحلال فصارت فضيلة.

«فقال طه بعد نقاش طويل، أنت وشأنك. . أما شأنى فهو المقال الذى أكتبه، والرأى الذى أراه. . وكان يظاهرنى على تفاؤلى أصدقائى الأدنون من لجنة التأليف والترجمة والنشر، فكانوا بهذه الظاهرة نقطة الارتكاز ومبعث المدد»[1].

وحين عين طه حسين رئيساً لتحرير جريدة «كوكب الشرق» خوطب فى شأن الزيات فقبل نيابة عنه، ولكن الزيات هاله الأمر إشفاقا على المجلة الوليدة التى أحاطت بمولدها الأمانـي، فيعرض المسألة على أعضاء لجنة التأليف الذى أيدوا الزيات فترك طه حسين الرسالة مغضباً، واضطلع بها الزيات يعاونه رجال الفكر[2] من أعضاء لجنة التأليف. ثم أخذ طه حسين ينازل توفيق الحكيم فى جريدة (الوادى) تحت عنوان (أخلاق الأدباء) نزالا هدد بقطع الصلة بينهما، ولما كانت (الرسالة) قد شهدت مولد الحكيم الأدبى ونشرت تقديم طه حسين له، فقد نشر الزيات فيها مقال «أخلاق الأدباء» ليعرف قراء الرسالة النهاية بعد أن عرفوا البداية على صفحاتها . فأحنق ذلك طه حسين وهاجم الزيات أيضاً فى «الوادى» تحت نفس العنوان «أخلاق بعض الأدباء». فرد عليه الزيات تحت عنوان «بين أسلوبين» فى سنة ١٩٣٤ . وكانت هذه المقالات من المساجلات الأدبية التى كان لها دوىٌّ فى ذلك الحين شغلت الرأى الأدبى العام. كما شهد «الرسالة» المقالات النقدية والقومية لطه حسين بين سنتى ١٩٣٦، ١٩٣٩،

---

(١) أحمد حسن الزيات: وحى الرسالة جـ ٤ ص ٧٢،٧٣ ـ ومما يذكر فى صدد صدور الرسالة أن الخطاط الذى عهد إليه أن يعلن مولدها على الجدران نظر فى الإعلان الذى كلف بكتابته فإذا به مسطور على هذا النحو: (مجلة الرسالة يحررها الزيات وطه حسين، وعرت الخطاط هزة أمام الأسمين الكبيرين. ورأى من سوء الأدب أن يكتبهما بلا ألقاب عرفها الناس لهما. فتطوع بإضافة الاستاذية وكتب مجودا: مجلة الرسالة يحررها الأستاذين الزيات وطه حسن ـ وكانت (قفشة) تلقفتها مجامع العاصمة واحتشدت له قدرتنا على التفكه والدعابة، فكان ذلك خير إعلان عن المجلة الجديدة مكن لها من الرواج ـ الدكتورة نعمات فؤاد: قمم أدبية ص ١٨١ .

(٢) المرجع نفسه ص ٨٣.

وشهدت معركة مع العقاد موضوعها: «لاتينيون وسكسونيون» وفصول «على هامش السيرة» قبل نشرها في كتاب.

على أن احتجاب مجلة «الرسالة» من الأمور التي أسف لها طه حسين أسفا عميقا، في مقال بعنوان« لابأس» [1] يقول: «رأيت مصرع صحيفتين أدبيتين في شهر واحد أو في أقل من شهر فضاق صدري ومن حقه أن يضيق.. ثارت نفسي ومن الواجب عليها أن تثور، ولم أكتب في هذه الصحيفة أو تلك منذ عهد بعيد جدا، فلم أغضب لعلمي إن كان لي علم ولا لفني إن كان لي فن، إنما غضبت لعقلي، وأحسب أن لي عقلا، فقد كان يجد في هاتين الصحيفتين غذاء ومتاعا، وغضبت لعقول فريق من المصريين والشرقيين كانوا يجدون فيهما مثل ما كنا نجد من الغذاء والمتاع» [2]. إلى أن يقول: «كنت أذكر كيف قهر الأدب في بعض الأوقات السياسية والأحزاب وكيف انتصر عليها، وكيف كان الناس يشترون بعض الصحف سرا يختلسون شراءها اختلاسات ويدسونها حتى لا يراها الناس لأن الزعماء كانوا قد حذروا من قراءة تلك الصحف. لكن الأدب كان أقوى من الزعماء، فكان الناس يخالسون بشراء الصحف، ويفرغون لقراءتها حين يخلون إلى أنفسهم وحين يأمنون عيون الرقباء» [3]. ويعقب العقاد على هذا المقال بعنوان: «وأي بأس» [4] يتحدث فيه عن أثر احتجاب المجلتين: الرسالة والثقافة، على الحياة الثقافية التي شارك فيها هذا الجيل من المقاليين.

مجلة (الثقافة):

وكانت مجلة «الثقافة» قد توقفت قبل توقف «الرسالة»، بعد ست عشرة سنة من صدورها، وهي من الانجازات الثقافية في صحافة هذه الفترة، وقد

(١) الأهرام في ٢٣ فبراير ١٩٥٣.

(٢) الأهرام في ٢٣ فبراير ١٩٥٣ .

(٣) الأهرام في ٢٣ فبراير ١٩٥٣ .

(٤) مجلة الثقافة ٣ يناير ١٩٣٩

انفردت بهـا لجنة التأليـف بعد انفصالـها عن «الرسالة» فصـدرت فى ٣ ينـاير ١٩٣٩ لصاحب امـتيازها أحمد أمين «تتقـدم للعالم الشـرقى مؤمنة بقـدرتها بنفسـها وبأصدقائها شـاعرة بتبعتهـا مقدرة لواجبهـا وثقتها بقرائـها». وكان طه حسين قد أعيد للجامعة وترك العمل فى الصحف السياسية اليومية، واستمر فى عمادة كـلية الآداب حتـى مايو١٩٣٩، وكان اشـتراكه فى تحـرير «الثقافة» هو العمل الصحفى المنتظـم بعد تركه العمل فى جريدة «الوادى» اليومية، ليواصل رسالته مع لجـنة التأليف الغنـية «بأعضائها وتخـصصها ، ففيها الـعالم من كل صنف، وفيها الأديب من كل نوع، وفيها الفنان فى كل فن، حصلوا كثيرا من العلم والأدب فرأوا من واجبهم أن يشركوا فـى علمهم وأدبهم أكبر عدد ممكن فى مختلف الأقطار»[1].

وفى مجلة «الثقافة» تتحـدد الوظيفة النـقدية فى المقـال العربى التى تـتمى استجـابة من الرأى الـعام الأدبي، كما يـبين من الأصداء المتـمثلة فـى رسائل القراء.

طه حسين ومجلة الكاتب المصرى:[2]

صدرت مجلة «الكاتب المصرى» فى أكتوبر ١٩٤٥ عن دار الـكاتب المصرى للطباعة والنشر التى استمرت لمدة ثلاث سنوات حددت خلالها مفهوم الصحافة الأدبية عند رئيس تحريرها: طه حسين فى محـورين يستقطبان كل أبحاثها هما: العرض والنقد، عرض الفكرة الجديدة أو الكتاب الجديد أو الأثر القديم، ومن خلال هذا الاحتـكاك بين العرض والنـقد يرسم طه حسين مـفهومه للصـحيفة الأدبية أو الفكرية الـعامة، لا غناء الفكر المصرى وتأصيلـه من خلال التعريف والتصحيح والتقويم فى النطاق الفكرى أو، الخلقى على السواء.

---

(١) مجلة الثقافة ٧ فبراير ١٩٣٩ .

(٢) صدرت المجموعة الـكاملة لمجلة (الكاتـب المصرى) فى سلـسلة (صحـافتنا الأدبية) عن هيئة الكتاب بالقاهرة.

وفى «الكاتب المصرى» يبين الأثر الفرنسى فى ثقافة طه حسين والنموذج الذى تمثله للصحافة الفرنسية، والذى ظهرت آثاره من قبل فى صفحات الأدب فى السياسة اليومية والأسبوعيةو وكوكب الشرق والوادي، ومن نماذج المجلات الفكرية العامة: «المجلة الفرنسية الجديدة» التى كانت تتيح لكتابها معالجة موضوعات أخرى غير الأدب تظهر فيها مقدرتهم التحريرية وتضمنت فنونا أخرى من النقد الموسيقى والفنى (١) ، عنى بها طه حسين فى مجلته، التى كانت على اتصال وثيق كذلك بمجلة «الأزمنة الحديثة» (٢) التى يديرها سارتر، والتى ناقش طه حسين دعوتها إلى الالتزام والمذهب الوجودى فى الأدب والفكر، من خلال الريبورتاج والوثيقة ومقال التحليل الاجتماعي. وقد نشرت «الكاتب المصرى» مقالات لسارتر كان يخصها بها، وكان بعضها ينشر فيها وفى «الأزمنة الحديثة» فى وقت واحد (٣) .

وعنى رئيس تحرير «الكاتب المصرى» بالشهريات التى تصل القارىء العربى بالعالم مثل: شهرية السياسة الدولية - من وراء البحار - ظهر حديثا - فى مجلات الشرق - شهرية المسرح والسينما - فى مجلات الغرب - إلى جانب المقالات النقدية والاجتماعية والسياسية لطه حسين فى هذه المجلة.

من هذه المجلة يبين العنصر النفسى للكيان الصحفى فيها، من تسميتها باسم «الكاتب المصرى» لأن هذه المجلة - كما يقول طه حسين - تستمد «برنامجها وخطتها وسيرتها من تاريخ مصر القديم والحديث، وعن المهمة التى نهضت بها مصر منذ شاركت فى الحضارة الإنسانية العامة» (٤) ولذلك يتوسّل طه حسين بهذه المجلة الفكرية فى تحقيق «صلة ثقافية بأدق معانى هذه الكلمة وأرفعها بين الشعوب العربية أولا وبين هذه الشعوب وأمم الغرب ثانيا» (٥) .

(١، ٢) Gaetan picon: Panorama de la Nouvelle Litterature Francaise, P. 280.

(٣) الكاتب المصرى اعداد: نوفمبر، أكتوبر، يونيو ١٩٤٧ .

(٤، ٥) الكاتب المصرى أكتوبر ١٩٤٥ .

فهذه المجلة الفكرية تحدد مفهوم طه حسين للثبات والاستقرار، والنمو والتطور والارتقاء، فى تأصيل الشخصية المصرية وهو المفهوم الذى ذهب بمجلته إلى أن تحرص أشد الحرص على العناية بهذين المقومين للأدب العربى فتعنى بتقديم هذا الأدب وتدرس تاريخه وتكشف أسراره وتحيي آثاره. وتعنى بالأدب الحديث الذى ينتجه الممتازون من كتاب الشرق العربى تذيعه وتدرسه وتنقده وتشجعه وتجعله غذاء لعقول العرب وقلوبهم وأذواقهم ، وتهيئه لعقول غير العرب من أبناء الأمم الأخرى المتحضرة بحيث يمكن أن ينتقل إلى اللغات الأوروبية المختلفة . ولذلك عنيت «الكاتب المصرى» بالآداب الأجنبية تنقلها إلى القراء بالدرس والنقد والتحليل، واتفقت مع «طائفة من كبار الكتاب العالميين بأن يوافوها بمقالاتهم ودراساتهم بحيث تكتب خصيصا لها، وتنشر فى اللغة الغربية قبل نشرها بأى لغة أخرى. وكذلك حاولت «الكاتب المصرى» أن «ترفع الأدب عن هذه الخصومات التى تثيرها منافع الحياة العاجلة بين الناس».

ومن ذلك يبين أن طه حسين فى بيئة المقال الصحفى فى مصر، على الرغم من عمله فى الجامعة لم يقتصر على المشاركة الصحفية أثناء فترات الابتعاد عنها ولكنه ظل يسهم فى البيئة الصحفية عن قرب فى أحيان كثيرة، وعن بعد فى أحيان قليلة ، فكتب فى «البلاغ» و «الجهاد» و «المصرى» فى الفترات التى لم يكن يشتغل بالصحافة، فلم ينقطع عن الكتابة الصحفية إلا حين أعجزه المرض قبل وفاته بفترة. فهو كما يقول «لا يعفى نفسه من بعض الالتزام إلا ليفرض عليها التزاما آخر. ولا يفرغ من عمل إلا ليدخل فى عمل آخر»[1].

---

(١) سامى الكيالي: مرجع سابق ص ١١٦، ١١٧ .

القسم الثانى :

الملاحــــق

التاريخ الصحفى العربى

المصادر:

١. دائـرة المعـارف الإسـلاميـة .

٢.د. *عبد اللطيف حمزة* : قصة الصحافة العربية فى مصر.

٣.د. *خليل صابات* : وسائل الاتصال نشأتها وتطورها.

٤.د. *إحسان عسكر* : الصحافة العربية فى الأردن وفلسطين وسوريا ولبنان.

[١]

الصحافة العربية فى السودان

بدأ ظهور الصحف الدورية السودانية فى النصف الثانى منذ القرن التاسع عشر، وقد صدرت أول جريدة رسمية فى السودان باسم: **(الغازيتة السودانية)** سنة ١٨٩٩

وصدرت أول جريدة غير رسمية هى (السودان) أصدرها أصحاب «المقطم» فى الخرطوم سنة ١٩٠٣ ـ وكانت تحرر بالعربية والانجليزية وأصبحت بعد ذلك جريدة شبه رسمية، وصدر قبيل الحرب العالمية الأولى صحيفتان أخريان وظهر بعد الحرب عدد قليل من الصحف منها **(حضارة السودان)** التى ظهر عددها الأول وفى ٢٨فبراير ١٩١٩ حتى سنة ١٩٣٨ وهى أول صحيفة سودانية شعبية تعبر عن أمانى الشعب فى الاستقلال والتحرر، ورأس تحريرها حسين شريف.

وفى الثلاثينات نادت الصحف التى تعبر عن الآراء السياسية الوطنية وظهرت مجلات أدبية جديدة، ففى عام ١٩٣١ أصدر **عباس أبو الريش** مجلة **(النهضة السودانية)** أدبية، أخلاقية تاريخية، وفى عام ١٩٣٤ صدرت مجلة **(الفجر)** لصاحبها ورئيس تحريرها **عرفات محمد عبدالله** وكانت أدبية، فكرية، سياسية، نصف شهرية.

وكتبت فى افتتاحية العددالأول منها أنها تهدف إلى خدمة الآداب والفنون والثقافة العامة ونصرة الأدب العربى وإزالة أسباب التعصب، ولكنها ابتداء من عامها الثانى اهتمت بالأمور السياسية ممثلة للفئة المستنيرة للمجتمع السودانى، وإلى جانب جزئها العربى كانت تنشر بالانجليزية الأخبار الحكومية وأخبار الأجانب المقيمين فى السودان(١).

---

(١) د. خليل صابات: نشأة وسائل الإعلام ص٢٢٧.

وفـى سـنة ١٩٣٥ صـدرت جـريـدة (النيل اليومية) لتـعبر عـن سياسة عبدالرحمن المهدى (١٨٨٤ ــ ١٩٥٩) زعـيم حزب الأمة، وفـى عام ١٩٤٠ صدرت صحيفة (صوت السودان) وهى ثانى جريدة يومية سودانية: لسان حال اتباع محمد عثمان الميرغنى.

وفـى عام ١٩٤٢ أصـدر أحمد يوسـف هاشم: جريدة (السودان الجديد) يومية سياسية مستقلة.

وفى السودان تصدر صحيفة إقليـمية خارج الخرطوم فى أول نوفمبر ١٩٤٥ هى صحيفة (كردفان) فى الأبيض عاصمة إقليم كردفان لصاحبها السيد الفاتح النور[١]، نصف شهرية ثم تحولت إلى أسبوعية إلى أن تم تأميمها فى أغسطس ١٩٧٠[٢].

وصدرت فى الخرطـوم مجلة (اللواء) الأسبوعـية فى ١٧سبتـمبر ١٩٤٨، صاحب امتيازها حماد توفيق رئيس حزب الاتحاديين.

وفى أول يـنايـر ١٩٥٠ صدر العـدد الأول من جـريدة (الصراحة) وصدر العـدد الأول من جـريدة (الجزيرة) فى ٦مـايو ١٩٥٠ تـولى رئيـس تحريـرها سليمان نجيب.

وفى ٦مايو ١٩٥٢ صدر العدد الأول من جريدة (الطليعة)، ففى ١٥يونيو ١٩٥٣ صـدر العـدد الأول مـن جريـدة (الاتحـاد) لتعـبر عن الحزب الـوطنى الاتحادى[٣].

وصدر العدد الأول لصـحيفة (الأيام) فى ٣أكتـوبر ١٩٥٣ وبعدها بسـنتين تكونت شركة لنشر الصحف والمجلات باسم شركة الأيام للصحافة ليمتد ألت

---

(١) النور دفع الله لمحمد، دور الصحافة الإقليمية كأحد متطلبات الحكم الإقليمى فى السودان ــ رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الإعلام، جامعة القاهرة ١٩٨٢ ص٩. د. خليل صابات: المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٧.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ص ٨١.

إليها ملكية صحيفة (**الأيام**). وفى ٢٩مايو١٩٥٥ يصدر العدد الأول من جريدة (**الاستقلال**) لسان حال حزب الاستقلال الجمهورى.

ويعلن الشعب السودانى فى أول يناير ١٩٥٦ السودان جمهورية مستقلة، إلا أن انقلابا عسكريا وقع فى ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ بقيادة ابراهيم عبود فتصدر قرارات بحل الأحزاب السياسية وتعطيل صحفها(١).

وفى ١٣ يولـيو ١٩٦١ تصدر جريدة (**الصحافة**)، وفى ٢١أكتوبر ١٩٦٤ تقوم الحركة المعروفة بحركة ٢١أكتوبر لتعيد الأحزاب وصحفها بعد إسقاط الحكم العسكرى .و بلغ عدد الصحف فى السودان حتى مايو ١٩٦٩ أكثر من عشرين صحيفة بين جريدة ومجلة(٢).

وفى أغسطس ١٩٧٠ صدر قرار بتأميم الصحافة ووكالات الأنباء(٣) وكان عدد الصحف اليومية قبل التأميم ٢٢صحيفة بلغ مجموع توزيعها ١٢٧٠٠٠نسخة وفى خلال ذلك العام صدرت الصحيفة الإقليمية الثالثة وهى صحيفة Nile Mirror بالإقليم الجنوبى تابعة لوزارة الثقافة والإعلام الإقليمية(٤)، ولكن تم تحريرها وطبعها فى الخرطوم حتى عام ١٩٧٤ ثم انتقل تحريرها وطبعها إلى جوبا عاصمة الإقليم الجنوبى.

وفى ١٨ أبريل ١٩٧٥ صدر العدد الأول من صحيفة (كردفان) بعد توقفها فى أغسطس ١٩٧٠ بموجب قرار تأميم الصحف السوداني، ولكنها صدرت هذه المرة فى الخرطوم بالحجم النصفى، أسبوعية عن دار الصحافة.

وفى أول فبراير ١٩٨٢ صدرت صحيفة (كردفان) للمرة الثالثة بعد توقفها فى ١٩٧٩، عن دار (**الصحافة**) بالخرطوم، صحيفة شهرية بحجم الجريدة العادى.

---

(١) د. خليل صابات: المرجع السابق ٢٩ .

(٢) نفسه ص ٢٢٨ . (٣) نفسه ص٢٢٩.

(٣) نفسه ص ٢٣٠ .

[٢]

الصحافة فى سوريا:

كانت بلاد الشام فى العهد العثمانى تـكوّن وحدة سياسية وجغرافية تمتد من جبال طوروس فى الشـمال إلى صحراء سينا فى الجنوب، ومن الـبحر المتوسط فى الغرب إلـي نهر الفرات فى الغرب، ولـم تلبث أن تفتتت هـذه الوحدة فى أعقاب الحـرب العالمية الأولـى، بقيام نظام الانـتداب (١٩٢٠) فانقسـمت بلاد الشام إلى أربعة وحدات سياسية: **سوريا، ولبنان، وشرقى الأردن، وفلسطين**.

وكانت قد تألفت فـى سوريا حكومة عربية مستقـلة برئاسة الأمير **فيصل بن الحسين** على أثر دخول كتائب الثورة العربيـة بقيادته دمشق، كجزء من «الحملة المصرية» بقيادة أللنبى الزاحفة على فلسطين وسوريا.

ولكن هذه الدولة (**أو الحكومة**) العربية لم يكتب لها البقاء طويلا. ذلك أن هذه الدولة كانت تشمـل المناطق الداخلية المعطاة لفرنسـا طبقاً لاتفاقية سايكس بيكو (١٩١٦)، ولما كانت فرنـسا مصممة على تـنفيذ هذه الاتفاقيـة فقد فشل فيصل في الحصول على موافقة مؤتمـر الصلح فى فرساى (فبراير سنة ١٩١٩) على إنشاء الاتحـاد أو الحلف العربى الذى جاء ذكره فى مـراسلات الحسين ـ مكماهون[١].

وفى أبريـل سنة ١٩٢٠ عقـد مؤتمر سان ريمو، وقـرر وضع سوريا ولـبنان تحت الانتداب الفـرنسى، فزحفت القوات الـفرنسية ـ بناء عـلى أوامر الجنرال «غورو» Gouraud الذى عـين منذ أكـتوبـر سنة ١٩١٩ قـائدا عامـا للـقوات الفرنسية ومندوبـا ساميا لسوريا ولبنان ـ على دمشق ولكـن الشعب العربى فى سوريا تصـدى لقتالهم بقيـادة وزير الدفاع **يوسف العظمة**: وحدثت «معركة

---

(١) د. محمد أنيس، ود. السيد رجب حراز (المجتمع العربى) ص١١٣.

ميسلون» بالقرب من دمشق فى ٢٤يوليو، وفى هذه المعركة خرّ يوسف العظمة صريعاً، ودخلت القوات الفرنسية دمشق فى اليوم التالى (٢٥يوليه سنة ١٩٢٠، أما فيصل فغادر دمشق فى ٢٨يوليه، ليتولى فيما بعد عرش العراق، كما سبق أن ذكرنا.

وبدخول الفرنسيين دمشق انتهى عهد حكومة فيصل العربية فى سوريا وبدأ عهد الانتداب والاحتلال، ولم تمض ستة أسابيع على مغادرة فيصل دمشق، حتى بدأ الفرنسيون تنفيذ خطة استعمارية تستهدف تقسيم البلاد السورية وتجزئتها، فأصدر «غورو» فى أول سبتمبر سنة ١٩٢٠ قراراً بتجزئة منطقة الانتداب الفرنسى إلى أربعة دويلات منفصلة:

(١) لبنان الكبير، بعد أن وسعت مساحة لبنان الأصيل فأضيفت إليه بيروت وطرابلس وصُور وصيداً، والأراضى الممتدة إلى الحدود الفلسطينية.

(٢) ودولة دمشق بما فيها جبل الدروز.

(٣) دولة حلب ويدخل فيها لواء الإسكندرونه.

(٤) ثم دولة (مقاطعة) العلويين وتشمل لواء اللاذقية وجدير بالذكر أن هذا التقسيم لم يظل نهائيا، بل أدخلت عليه تغييرات متعددة(١).

كان لسياسة التقسيم والتجزئة هذه، واتباع الفرنسيين لسياسة «فرّق تسد» بين أبناء الشعب العربى فى سوريا، وهى السياسة التى درجوا على اتباعها منذ أن خلص لهم الانتداب على سوريا. كان لهذه السياسة أكبر الأثر فى إثارة الوطنيين السوريين واللبنانيين على الحكم الفرنسى، فأخذوا ينتقدونه انتقادا مرا ويطالبون باستقلال بلادهم ووحدتها.

وفى سنة ١٩٢٥ ثارت سوريا على الحكم الفرنسى ثورتها الباسلة التى استمرت سنتين، وهدمت فيها قرى كثيرة، وضرب الفرنسيون دمشق بمدافعهم مرتين، أولاهما كانت فى مايو سنة ١٩٢٥ والثانية فى أكتوبر ١٩٢٦، حينما

---

(١) نفس المرجع ص ١١٤.

حدث ذلك التهمت مشاعر العرب، ومجد شعراؤهم بطولات المجاهدين، وبكوا دمشق، ورثوا شهداءها.

وتسجل الصحافة المصرية أن المصريين قد نظموا مؤتمرا استنكروا فيه عدوان فرنسا ووحشيتها، وألقيت فيه قصيدة لشوقي(١)، نشرت في الصحف، حيا فيها دمشق، وجزع مما أصابها، ومجد ماضيها وحاضرها، وحزن لما أحدثه الفرنسيون بآثارها الخالدة، واستنكر وحشيتهم، وحمل عليهم، وندّد بهم، لأنهم تنكروا لأصول ثورتهم التى زعموا أنها كانت أول هتاف بالحرية والإخاء والمساواة، وندد بطيش القائد الفرنسى، لأنه قائد غاشم، كان حربا على فرنسا بما جنى، وبما جر عليها من سبة وسوء سمعة، وأنذر فرنسا بأن السوريين لابد أن ينالوا حريتهم، وبأن وحشيتها غذاء لحماستهم، لأن شهداء الجهاد خالدون، وذكراهم تورث النضال.

وختم القصيدة بتشجيع السوريين على الجهاد، ونصحهم أن يحذروا خداع فرنسا، لأنها تحاول أن تصرفهم عن الاستقلال بأوهام خداعة، كالدولة السورية، ولبنان الكبير ودولة جبل الدروز، وحكومة العلويين، وبألقاب توهم بالملك والسيادة وهى فى حقيقتها ذل واستعباد(٢)، وصور لهم الحرية حصنا لا يقرع بابه إلا المجاهدون المصبوغة أيديهم بدماء الجهاد.

ولقد استفزت القصيدة فرنسا، فمنعت شوقى أن يزور بلاد المغرب التى كانت خاضعة لها حينئذ:

سلامٌ من صَبا بَرَدى أرقُّ ... ودمعٌ لا يُكفكفُ يا دمَشْقُ
ومَعْذرة اليراعة والقوافى ... جلال الرُّزْءِ عن وَصْفٍ يَدقُّ
وذكرى عن خواطرها لقلبى ... إليك تَلَفّتٌ أبدا وخَفْقُ

(١) د. أحمد الحوفى: القومية العربية فى الشعر الحديث ص ١٧١.

(٢) عمدت فرنسا إلى الجزء الداخلى فقسمته فى سنة ١٩٢٠ و١٩٢١ إلى أربع دول منفصلة هى: دولة دمشق ودولة حلب ودولة جبل العلويين ودولة جبل الدروز، فلما اعترضت عصبة الأمم على ايجاد دولتين اسمهما جبل الدروز وجبل العلويين جعلهما الفرنسيون حكومتين مستقلتين داخليا ضمن الدولة السورية. د. أحمد الحوفى/ السابق ص١٧٢.

وبي مما رمتك به الليالي | جراحاتٌ لها في القلب عُمق
لَحاها الله أنباءً توالت | على سمع الوليِّ بما يَشُق
تكاد لروعة الأحداث فيها | تُخال من الخرافة وهي صدق
وقيل معالم التاريخ هُدَّت | وقيل أصابها تَلَفٌ وحَرْق
ألستِ دمشق للإسلام ظئرا | ومُرضِعَةُ الأبوة لا تُعَقُّ
صلاحُ الدين تاجك لم يجمَّلْ | ولم يُوَسَمْ بأزَيَنَ منه فَرْق
وكل حضارة في الأرض طالت | لها من سَرحْك العُلْوى عرق(١)
بَنَيْتِ الدولة الكبرى وملكا | غُبارُ حضارتَيْهِ لا يُشَق
له بالشام أعلام وعرس | بشائره بأندلس تدَق
سَلِي من راع غيدك بَعْدَ وَهْنٍ | أبين فؤاده والصخر فرق(٢)
وللمستعمرين وإنْ ألانوا | قلوبٌ كالحجارة لا تَرِقُّ
رماك بطيشه ورمى فرنسا | أخو حرب به صَلَفٌ وحُمْق(٣)
إذا جاءه طُلاَّب حق | يقول: عصابة خرجوا وشقُّوا(٤)
دم الثوار تعرفه فرنسا | وتعلم أنه نورٌ وحقّ
وحُرِّرت الشعوب على قناها | فكيف على قناها تُستَرقُّ؟
بني سوريَّة اطَّرحوا الأماني | وألقوا عنكم الأحلام ألقوا
فمن خُدَعِ السياسة أن تُغَرُّوا | بألقاب الإمارة وهي رِقُّ
وقفتم بين موت أو حياة | فإن رمتم نعيم الدهر فاشْقوا
وللأوطان في دم كلِّ حُرٍّ | يدٌ سلفتْ ودَيْنٌ مُستَحق
ولا يبني الممالكَ كالضحايا | ولا يُدني الحقوقَ ولا يحقُّ
ففي القتلى لأجيالٍ حياةٌ | وفي الأسرى فِدًى لهمُ وعِتْقُ

---

(١) السرح: جمع سرحة وهي الشجرة العظيمة.

(٢) لوهن: نصف الليل، وقد استمر ضرب دمشق ستا وخمسين ساعة متوالية.

(٣) الصلف: الكبر، المراد بأخي الحرب الجنرال سراي

(٤) شقوا: عصوا، كان السوريون يذهبون إلى القائد يطلبون منه أن يكف عن ضرب دمشق بالمدافع فيقول إنه يضرب العصاة الخارجين على طاعته.

وفيها قول شوقي:

وللحرية الحمراء بابٌ ... بكلّ يدٍ مُضَرَّجة يُدَقُّ

ولما ضربها الفرنسيون ثانية فى مايو سنة ١٩٤٥ بعد الحرب العالمية الثانية، بكاها الشعراء، مثل قول على الجندى[1] فى السخرية بمؤتمر السلام حينئذ، والدعوة إلى التسلح وحماية الحق بالقوة[2]:

تجمعتمُ من كلِّ جنس وأمة ... ولونٍ لحفظ السِّلم،هل حُفظ السلم؟
وهل رفع الحق الذليل جبينه ... وهل نحن بتنا لا يُرَوِّعنا الظلم؟
وإلا فما بال الشآم دماؤه ... تسيلُ وأنتم عن مناحته صُمُّ
وَيطلب ديجولٌ تراثَ أُمَيَّة ... وليس له فى الشام خالٌ ولا عمٌّ
سمعنا كلاماً لذَّ فى السَّمع وَقْعُهُ ... ورُبَّ لذيذ شاب لذَّته السُّم
إذا ساءَت النِّيات كانت عهودكم ... قُصاصاتِ أوراق للغالب الحُكم
هى الحال مازالت على ما عهدتهُ ... فويلٌ لأقوام يَغُرُّهُم الوهم
ألا كلُّ شعب ضائع حَقُّه سُدًى ... إذا لم يُؤَيِّد حَقَّهُ المدفع الضخم

والواقع أن الأحوال العامة فى سوريا ظلت فى اضطراب وقلق حتى قيام الحرب العالمية الثانية، ولما انهارت فرنسا وتولت حكومة فيشى الحكم، وهى الحكومة التى وقعت الهدنة مع الألمان ثم مع الطليان، كادت سوريا ولبنان تخضعان للسيطرة الألمانية، لأن المفوض السامى لفرنسا فى سوريا ولبنان (الجنرال دنتز) أعلن ولاءه لحكومة فيشى. غير أن قوات بريطانية وأخرى فرنسية (من قوات فرنسا الحرة التى كانت برياسة ديجول ومركزها شمال إفريقيا) استطاعت فى صيف سنة ١٩٤١ دخول سوريا واحتلالها إحتلالا

(١) من مصر.
(٢) د. أحمد الحوفى: السابق .

مشتركا، وفى ٨يونيو، أعلن الجنرال كاترو ممثل فرنسا، باسم حكومة فرنسا الحرة، إنهاء الانتداب واستقلال سوريا ولبنان، وفى سبتمبر من نفس العام، أعلن كاترو قيام الجمهورية السورية المستقلة[١].

وبالرغم من قيام حكومتين وطنيتين فى كل من سوريا ولبنان، فقد تلكأ الفرنسيون فى تسليمهما السلطات الفعلية، وكل ما من شأنه أن يجعل سيادتهما حقيقية، وصار الفرنسيون يسعون لفرض معاهدة على سوريا ولبنان تربطهما بالنفوذ الفرنسى ربطا أبديا، بل حاولوا حمل الشعب السورى بالقوة على قبول هذه المعاهدة، ولكن الشعب فى سوريا رفضها رفضا باتا، فأطلقت القوات مدافعها على المدن السورية الرئيسية (دمشق وحمص وحماه) وقذفتها بقنابل طائراتها، كما قصفت أيضا بنيران مدافعها دار المجلس النيابى فى دمشق، غير أن القوات البريطانية ما لبثت أن تدخلت (بناء على تعليمات تشرشل رئيس الوزارة البريطانية) ووضعت حدا لحماقات الفرنسيين.

ومع ذلك، فقد ظل الاحتلال الفرنسى جاثما فوق صدر سوريا ولبنان، ولذلك رأت الحكومتان الوطنيتان السورية واللبنانية أن تعوضا قضية بلادهما على هيئة الأمم المتحدة بجلاء القوات الأجنبية عن أرضيهما جلاء تاما. ودافعت الدولتان فى يناير سنة ١٩٤٦ أمام الأمم التحدة عن حقوقهما دفاعا قويا، مما اضطر بريطانيا أن تعلن استعدادها لسحب قواتها، واقتدت فرنسا بها، فتم جلاء القوات الانجليزية والفرنسية عن سوريا فى أبريل سنة ١٩٤٦، وعن لبنان فى ديسمبر من نفس هذا العام (١٩٤٦).

وعندما نشبت حرب فلسطين بين الدول العربية؛ وإسرائيل، فى مايو سنة ١٩٤٨، خاض غمارها الجيشان السورى واللبنانى مع بقية الجيوش العربية ضد اليهود. وقد كان الاخفاق فى هذه الحرب من الأسباب المباشرة لحدوث انقلاب فى سوريا فى ٣٠مارس سنة ١٩٤٩ على يدى حسنى الزعيم رئيس أركان

---

(١) نفس المرجع ص ١١٥.

حرب الجيش، غير أن حكم حسنى الزعيم لم يطل أمده، وأخذت الانقلابات العسكرية تتوالى فى سوريا، مما عرض البلاد لهزات عنيفة، وانتاب الشعب العربى فى سوريا شعور بالقلق والخوف على بلاده وسط جو مشبع بالأطماع والأخطار الخارجية، ولم يطمئن هذا الشعب على مستقبله وحريته إلا باتحاد مصر وسوريا وقيام الجمهورية العربية المتحدة (١٩٥٨)[١].

نشأة الصحافة وتطورها فى سوريا

فى سنة ١٨٦٥ كانت قد صدرت فى دمشق صحيفة (**سورية**) رسمية باللغتين العربية والتركية.

وفى حلب صدرت صحيفة (**تحرير الفرات**) رسمية ــ كما تقدم بالعربية والتركية، وكان إنشاء هاتين الصحيفتين مقترنا بإعادة تنظيم الإدارة التركية، ومن الأمثلة الأخرى التى يصح ذكرها جريدة «**دمشق**» التى أنشأتها الحكومة التركية سنة ١٨٧٩، و«**مرآة الأخلاق**» التى صدرت سنة ١٨٨٦، وظهرت صحيفة «**الشام**» الأسبوعية السياسية المستقلة فى دمشق سنة ١٨٩٦، على حين نشرت فى حلب جريدة «**الشهباء**» وهى صحيفة أسبوعية، اعتبارا من سنة ١٨٩٣، و«**الاتحاد**» من سنة ١٨٧٩، وفى طرابلس ظهرت جريدة «**طرابلس الشام**»، وهى صحيفة أسبوعية، اعتبارا من سنة ١٨٩٢[٢].

وتعتبر «**الشهباء**» أول صحيفة سورية شعبية أنشأها المفكر العربى **عبدالرحمن الكواكبى**.

على أن الصحافة فى سوريا، شأنها شأن الصحافة فى لبنان، كانت تحيا حياة خطرة، ويرجع ذلك إلى أن الحكومة كانت تعالج أى نقد مستقل لتصرفاتها بقسوة بالغة، ومن ثم نجد أن كثيراً من الصحفيين السوريين واللبنانيين لجأوا إلى مصر[٣]، وبعد قيام الانتداب الفرنسى نمت صحافة دمشق نمواً واسع النطاق جدا، وظهر عدد كبير من الصحف، ولكن أرقام التوزيع كانت فى معظم الحالات فى مستوى منخفض، وفى سنة ١٩٣٩ وحدها ظهرت ٩صحف عربية

---

(١) نفس المرجع ص ١١٦.. (٢) دار المعارف الإسلامية ص ٨٧..
(٣) نفس المرجع ص ٨٧.

يومية، وصحيفتان فرنسيتان يوميتان، إلى جانب عدد متفاوت من المجلات الدورية، ومن الواضح أن هذا العدد أكثر مما يجب، لأن عددا بهذا الحجم لم تكن تبرره بحال؛ الظروف نفسها التى كانت تسود بيروت، ومع ذلك فقد زاد هذا العدد فعلا بعد الحرب العالمية الثانية، وقد سجل فى سنة ١٩٤٦ وجود ١٩صحيفة يومية فى دمشق و٧ فى حلب وصحيفة واحدة فى حماه، وكذلك ثلاث مجلات دورية فى دمشق Cahiers de l'Orient Contemporain، ومن عهد الانتداب لم يبق من هذه الصحف سنة ١٩٥٦ إلا صحيفتا «ألف باء» (سنة ١٩٢٠) و«الأيام» (سنة ١٩٣١) وكلتاهما معتدلتان، و«القبس» (سنة ١٩٢٨) و«الأخبار» (١٩٢٨) و«الإنشاء» (سنة ١٩٣٦).

وكانت صحيفة «المقتبس» لمحمد كرد على قد صدرت فى دمشق عام ١٩٠٨، وصدرت فى حلب فى تلك السنة (حلب الشهباء) لمنشئها محمد نافع طلس،و(صدى الشهباء) لحكمت ناظم وكامل الغزى و(التقدم) لشكرى كنيدر، وفى سنة ١٩٠٩ صدرت فى دمشق صحيفة (العصر الجديد) جريدة سياسية تجارية علمية صاحبها ناصيف أبوزيد، و(الشرق) التى أصدرها عارف النكدى وحبيب برهوم. أما فى حلب فصدر عام ١٩٠٩ (الخطيب) للشيخ إبراهيم المؤذن و(الشعب) لليون حمصى وفتح الله قسطون. أما فى حلب فقد صدرت عام ١٩١٠ صحيفة (كشكول) لفاتح عمرى، و(الأهالى) لمانوئيل وعاصم، و(لسان الأهالى) لأرداشيس بوغيكيان، و(الإعلان) لفتح الله قسطون[1]. وفى عام ١٩١١ صدر فى حلب تسع صحف، ومن الصحف التى صدرت فى دمشق عام ١٩١٢ جريدة (الاشتراكية) لحلمى فتيانى [2]، و(الوفاق) جريدة سياسية أدبية أصدرها بدمشق حبيب إلياس زحلاوى.

---

(١) رياض عبدالله حلاق، الصحافة فى حلب من عام ١٨٦٧ إلى عام ١٩٨٧، مجلة (دنيا العرب) العدد ٥٧.

د. خليل صابات: السابق ص ٢٥٨.

(٢) سامى عزيز، الصحافة العربية والحركة الوطنية، مجلة الدراسات الإعلامية للسكان والتنمية والتعمير، العدد ١٧، يناير — مارس ١٩٧٩، ص ٦٠

وفي يناير ١٩١٩ صدرت فى دمشق مجلة (العلم العربى) وفى السنة نفسها صدرت جريدة (المفيد) سياسية وجريدة (العقاب) ومجلة (المجلة) وجريدة (الفجر) وجريدة (العلم)، وفي يناير ١٩٢٠ صدر بدمشق أيضا مجلة «نور الفيحاء» مجلة نسائية شهرية صاحبتها نازك العابد، كما أصدر محمد الأنسى جريدة (الحق) فى مارس ١٩٢٠[1].

وأصدرت الحكومة صحيفة (حلب) الرسمية فى ديسمبر ١٩١٨، أما فى سنة ١٩١٩ فقد صدر فى حلب ست صحف نذكر منها (حقوق البشر) لعبدالحميد الجابرى و(المصباح) لعبدالحميد وعبدالودود الكيالى و(البريد السورى) لفاضل شكرى أسود.

وفى فترة ما بين الحربين صدر فى سوريا صحف: (الأمة) سنة ١٩٢٠ و(الامال) سنة ١٩٢١ فى حلب وجريدة (العمران) وجريدة (الأنوار) بدمشق عام ١٩٢٢.

وفى سنة ١٩٢٣ صدرت فى حلب جريدة (الترقى السورى)، وفى سنة ١٩٢٤ صدرت فى دمشق جريدة (بريد الشرق) وفى حلب صحيفة (الكلمة) وفى عام ١٩٢٥ صدرت مجلة (النور) فى اللاذقية وصحيفتا (الوقت) و(الميثاق) فى حلب، وفى عام ١٩٢٦ صدرت فى حلب (الميثاق) و(المرسح) و(الاتحاد)، وفى عام ١٩٢٧ صدرت جريدة (الشعب) في دمشق و(على كيفك) بحلب، وفى عام ١٩٢٨ صدرت مجلة (المضحك المبكى) كاريكاتورية ساخرة فى دمشق، و(التاج) و(السلام) و(الأهالى) فى حلب. وفى عام ١٩٣١ صدرت جريدة (الأيام) فى دمشق[2].

وفى عام ١٩٤٧ صدرت صحيفة (البعث) لسان حال حزب البعث العربى الاشتراكى، وشعارها «أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة».

---

(١) د. خليل صابات: السابق ص ٢٥٩.

(٢) نفسه ص ٢٦٠.

[٣]

الصحافة فى لبنان:

صدرت صحيفة «حديقة الأخبار» فى بيروت أول يناير ١٨٥٨، لصاحبها خليل الخورى، وبعد سنتين من صدورها جاء إلى سوريا «فؤاد باشا» مندوبا عن السلطان لتسوية أمورها، فاقترح على خليل الخورى أن يجعل جريدته شبه رسمية، فى مقابل راتب شهرى تدفعه له الحكومة العثمانية، وبقيت «حديقة الأخبار» تؤدى هذه المهمة، حتى ظهرت فى الوجود صحيفة رسمية باسم «سورية»، وبقيت «حديقة الأخبار» صحيفة رسمية خاصة بلبنان، واستمرت على ذلك حتى عام ١٩٠٧.

وفى بيروت صدرت جريدة «نفير سورية»، للمعلم بطرس البستانى سنة ١٨٦٠، ولم تخرج هذه الصحيفة الأخيرة عن نشرات أدبية، بث فيها البستانى روح الوطنية، وذلك على أثر الفتن الأهلية التى قامت فى تلك السنة.

ثم فى عام ١٨٦٣ أصدر الدكتور فانديك ما سماه «بالنشرة الشهرية»، ثم فى سنة ١٨٧٠ ظهرت عدة جرائد عربية منها:

«الزهرة» ليوسف الشلفون.

و«البشير» للآباء اليسوعيين.

و«الجنة» لبطرس البستانى.

و«كوكب الصبح المنير» للمرسلين الأمريكيين.

و«النجاح» للويس الصابونجى ويوسف الشلفون

ثم فى سنة ١٨٧٤ صدرت جريدة هامة، كان يكتب فيها الصحفى المعروف أديب إسحاق وهى جريدة «التقدم» وظهرت جريدة «ثمرات الفنون»، وهى

أول جريدة إسلامية فـى بيروت، ولدت عام ١٨٧٥، وكان يكتب فيـها الشيخ محمد عبده فى مرحلة من مراحل حياته الصحفية.

وفى أول مايو ١٨٧٦ أصدر يعقوب صروف وفارس نمر فى بيروت العدد الأول من مجلة (المقتطف) شهرية علمية أدبية.

وأصدر خليل سركيس فى سنة ١٨٧٧ جريدة (لسان الحال).

ومن المجلات التى صدرت فى بيروت كذلك:

مجلة «الجنان» للمـعلم بطرس البستانى سنـة ١٨٧٠، ثم مجـلة «النحلة» أصدرها لويس الصابونجى سنة ١٨٧٠.

ويتضح مـفهوم «الوحدة» بقوة فـى الصحافـة العربيـة من موقف الـكتاب والشعراء مـن أحداث الحرب فى طرابلـس بين العرب والإيطالـيين حين ضرب الأسطول الإيـطالى بيـروت سنة ١٩١٢، فضج الـعرب، وثار الشـعراء، وقال شوقى قصيدة(١)، بكى فيها بيروت، وحمل على إيطاليا، وصور العرب الذين قتلـتهم القنـابل أسوداً ماتوا غـدراً فى غير مـعركة، فليـس لإيطاليا أن تـباهى بقتلهم، لأن صيد الليث الطليق صيد عسير مرهوب.

وحزن شوقى على دماء الأبطال التـى سفكها الأعداء، وصور لإثارة العرب هذه الـدماء تسـيل حول المـساجد مـعابد المسـلمين، وحـول الكنـائس معـابد النصارى، وحـول المدارس دور العلم لهؤلاء وهـؤلاء، ولكن القافيـة اضطرته إلى تصويرها تسيل أيضا حول البنوك.

وتمنى لو أن العمر امتد بأصحابها ليذودوا عن حماهم، ويثأروا من عدوهم، ثم صـور أسى المصريـين مما نزل بإخـوتهم ممـثلاً فى الدمـع السخين الـذى لو استطاعوا أن يغسلوا به جراح لبنان لفعلوا:

(١) د. أحمد الحوفى / السابق ص ١٧.

بيـروت مات الأسْـدُ حَتْـفَ أنوفـهم   لـم يَشْـهَـرُوا سيـفاً ولـم يـحمـوك
سـبعـون لـيثـاً أحْـرِقُـوا أو أغرقـوا   يـا لـيـتهـم قُتِـلـوا علـى (طبـروك)

وعند صدور الدستـور العثمانى عام ١٩٠٨ زاد عدد الصحف اللـبنانية، من بينها (البرق) التى أنشأها بشارة الخورى فى بيروت.

وتوقـفت أغلب الـصحف فى لـبنان خـلال الحرب العالمـية الأولى بسـبب الأحكام العرفيـة، وما أن وضعت الحرب أوزارها حتى احتل الفـرنسيون البلاد تحت ستار الانتداب(١) .

وفى سنة ١٩٢٦ أعلن لـبنان جمهورية وصدر فى فتـرة ما بين الحربين عدد من الصحف منـها صحيفة (النهار) اليوميـة السياسية التى أسـسها عام ١٩٣٣ جبران توينى. وأصدر ميشيل شيما عام ١٩٣٤ صحـيفة (لوچور) Le Jour اليومية السيـاسية باللغة الفرنسية ورأس تحـريرها لفترة شارل حلو الذى أصبح فيما بعد رئيسا للجمهورية اللبنانية.

وفى عـام ١٩٣٩ أصدرت الكتـائب اللـبنانـية صحيـفة (العمل) يوميـة ـ سياسية وأعلن استقلال لبنان عام ١٩٤٣ .

وصدرت جريدة (الديار) عام ١٩٤٥(٢)، وجريدة (الحياة) اليومية، أسسها الشيخ فؤاد حبيش وانتقلت ملكيتها بعد ذلك إلى كامل مروة.

وأصدر عبدالله المشنوق صحيفة (بيروت المساء) فى سنة ١٩٤٦ سياسية ـ أسبوعية فى أول الأمر ثم يومية(٣).

ومن المجلات التى صدرت فى لبنان مجلة: (الحوادث) الأسبوعية السياسية

---

(١) د. خليل صابات: السابق ص ٢٤٠.

(٢) أديب مروة، مهنة المتاعب، منشورات عويدات، بيروت ١٩٧٠، ص١٨.

(٣) أديب مـروة، الصحـافة العـربية، نـشأتها وتـطورها، بـيروت، منـشورات دار مكتبة الحياة ١٩٦١، ص٢٧٨

المصورة حيث اشترى سليم **اللوزى** امتيازها من أصحابها الذين كانوا يصدرونها في طرابلس، ونقلها إلى بيروت سنة ١٩٥٥[١].

وصدر عن (دار الصياد) في أواخر السنة نفسها جريدة **(الأنوار)** يومية سياسية[٢].

وصدرت مجلة (الحرية) في الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر عام **١٩٥٩**، لتكون لسان حال «حركة القوميين العرب» بديلا عن مجلة **(الرأى)** التى كانت تعبر عن الحركة منذ تأسيسها عام ١٩٥٣[٣].

وتصدر جريدة **(النهار)** في ١٩٦٣ ملحقها الأسبوعى في وسط موجة من التغييرات المهنية والاجتماعية والثقافية[٤].

(١) د. خليل صابات: السابق ص٢٤٤.
(٢) المرجع نفسه ص ٢٤٥.
(٣) نفسه ص ٢٤٥.
(٤) أدوار بستاني، قضايا فكرية في ملحق النهار، بيروت، النهار فى فبريار ١٩٨٦.

[٤]

الصحافة فى الأردن:

كانت الأراضى التى تتألف منها إمارة شرقى الأردن فى العهد العثمانى، وقبل الحرب العالمية الأولى، تكوّن «مصرفية الكرك»، وكانت بذلك جزءا من ولاية الشام (دمشق) التى كان يحدها نهر الأردن من الغرب، وتمتد من حماة إلى العقبة، فى حين كانت فلسطين من الأراضى الواقعة إلى الغرب من نهر الأردن.

وتألفت حكومة (أو دولة) عربية مستقلة برئاسة فيصل عقب دخول كتائب الثورة العربية دمشق كجزء من قوات الجنرال أللنبى. وكانت الحكومة الفيصلية أو الدولة العربية المستقلة فى سوريا تشمل جميع البلاد السورية (أو ولاية الشام القديمة) ومنها شرقى الأردن. وقد ظل شرقى الأردن جزءاً من الحكومة الفيصلية إلى وقت سقوطها فى يوليو سنة ١٩٢٠[(١)].

وبعد هزيمة الأتراك فى الحرب العالمية الأولى، قرر مؤتمر سان ريمو (أبريل ١٩٢٠) تقسيم ولاية الشام القديمة إلى سوريا ولبنان وفلسطين (بما فيها شرقى الأردن)، ووضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى وفلسطين (وشرقى الأردن) تحت الانتداب البريطانى.

وحدث فى شهر فبراير سنة ١٩٢١ ــ أى قبل سقوط حكومة فيصل فى دمشق ــ أن استطاع الأمير عبدالله (الابن الثانى للشريف حسين) أن يدخل شرق الأردن من ناحية الحجاز مع قوة صغيرة من الحجازيين.

وفى ٢٤مايو سنة ١٩٢٣ اعترف السير هربرت صمويل مندوب بريطانيا

(١) د. محمد أنيس، والسيد رجب حراز: السابق ص ١٢١.

السامي فـي فلسطين ــ بنـاء على رغبة الحكومـة الانجليزية ــ بوجـود حكومة مستقلة في شرقى الأردن برئاسة صاحب السمو الأمير عبدالله بن الحسين.

ولما وضعت الحـرب العالمية الثانيـة أوزارها، عقدت بين الحكومة الانجـليزية وإمارة شرقى الأردن معاهدة فى ٢٢مارس ١٩٤٦ ، اعتـرف بمقتضاها باستقلال شرقى الأردن وبـالأمير عبداللـه عاهلا، وبعد إبـرام هذه المعاهدة أعلـن الأمير عبدالله فى ٢٥أبريل سنة ١٩٤٦ ملكا على شرق الأردن.

وأول صحيفة عرفهـا الأردن هي صحيفة (الحق يعلو)، صدرت فى مـدينة معان جنوب الأردن سنة ١٩٢٠، وأول صحيفـة مطبوعة هى صحيفة (الشرق العربى) الرسمية التى صدرت فى عمان عام ١٩٢٣ . وفـى السنة نفسها انتقلت جريدة (الأردن) من حـيفا بـفلـسطين إلـى عمان عـام ١٩٢٧ حيـث صدرت أسبوعية حتى عام ١٩٤٩، وأصبحت يومية بعد ذلك، وتأسست فى عمان سنة ١٩٢٧ صحيفة (جزيرة العرب)[١] وأخذ عدد الصحف يزداد بعد ذلك[٢].

وفى الثلاثينيـات صدرت صحيفة (الوفاء) فى عمان سـياسية أسبوعـية في ٢١أبريـل ١٩٣٨ ولم تـتوقـف عن الـصدور إلا فـى ١٩٤٧، أى قبـل حرب فلسطين بسنة، وإلى جانب هذه الصحيفة صدرت صحف ومجلات أخرى.

وفي الأربـعينيات صـدرت مجـلة (الرائد) الأسبوعية السـياسية الأدبـية الاجتماعيـة فى يونيو ١٩٤٥، كما صدرت فى ٥ينـاير ١٩٤٧ جريدة (الجهاد) سياسية أدبـية اجتماعية مصـورة، لـسان حال حزب النهضة الـعربية، وصدرت جريدة (النسر) فى ٢٠نوفمـبر ١٩٤٧ أسبوعية ثـم تحولت إلى يوميـة وعاشت حتى ١٩٥٠[٣].

---

(١) نفس المرجع ص ١٢٢.
(٢) د. خليل صابات: السابق ص٢٦٨.
(٣) نفس المرجع ص ٣٦٨

وبعد قيام دولة إسرائيل فى ١٤مايو١٩٤٨ انتقلت بعض الصحف الفلسطينية من يافا إلي القدس وعمان.

وفى الخمسينيات صدر عدد من الصحف والمجلات منها مجلة (فتاة الغد) النسائية التى صدرت فى يونيو ١٩٥٠، ومجلة (حول العالم) الأسبوعية السياسية عام ١٩٥٠.

وفى بداية ١٩٥١ صدرت فى عمان مجلة متخصصة هى (المجلة الطبية الأردنية) باللغتين العربية والانجليزية، كانت في أول عهدها تصدر مرة كل شهرين ثم تحولت إلى نصف سنوية، ومجلة (صوت الضمير) التى كانت تطبع علي طريقة برايل للمكفوفين، عاشت أربع سنوات من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٦[١].

وصدرت فى القدس عام ١٩٥٣ (الجهاد) جريدة يومية سياسية مصورة، ولكنها اضطرت إلى التوقف بعد حرب يونيو ١٩٦٧[٢].

وفي أغسطس ١٩٥٦صدرت فى عمان مجلة (هدى الإسلام) علمية أدبية إصلاحية، عن وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، أشرف على تحريرها الشيخ عزالدين الخطيب التميمى، وأصدرت وزارة التربية فى يناير ١٩٥٦ مجلة (رسالة المعلم) تربوية، ثقافية، فصلية، وفى عام ١٩٥٨ صدرت (مجلة الشريعة) علمية دينية مدرسية شهرية[٣].

ويصدر فى الأردن صحيفتان يوميتان هما (الدستور) و(الأردن).

وفى ٢يونيو ١٩٧١ صدرت صحيفة (الرأى) يومية فى عشر صفحات عن «المؤسسة الصحفية الأردنية»[٤].

وتعود (أخبار الأسبوع) و(الصباح) الأسبوعيتان إلى الصدور فى ٥مارس

---

(١) د. خليل صابات: السابق ص ٢٧.
(٢) نفسه ص ٢٧٠. (٣) نفسه ص ٢٧٠.
(٤) نفسه ص ٢٧١.

١٩٧٢، وبعد ذلك بنصف شهر يصدر العدد الأول من صحيفة (اللواء) الأسبوعية، وهي جريدة سياسية مستقلة.

وفي سنة ١٩٧٥ صدرت جريدة (الأخبار) ولكنها توقفت بعد صدورها بشهرين، ونقل امتيازها للشركة العربية للصحافة المساهمة المحدودة، وفي السنة نفسها صدرت صحيفة (جوردان تايمز) Jourdan Times يومية باللغة الانجليزية عن المؤسسة الصحفية الأردنية[١].

وفي عام ١٩٨٢ صدرت مجلة (الأفق الاقتصادى) ولكنها أوقفت في العام نفسه كما صدرت في السنة نفسها جريدة (الجيروزليم ستار) **Jerusalem Star** أسبوعية باللغة الانجليزية.

وعن جريدة (صوت الشعب) اليومية في عمان صدر العدد الأول لصحيفة مسائية في ٣١يوليو ١٩٨٩، رئيس تحريرها سلطان الخطاب[٢].

---

(١) د. خليل صابات: السابق ص ٢٧٢.
(٢) المرجع السابق ص ٢٧٣.

[٥]

الصحافة فى فلسطين:

كانت فلسطين قبل سنة ١٩١٤ تتألف فى العهد العثمانى من ثلاثة سناجق (أو متصرفيات)، منها متصرفيتا عكا ونابلس وهما تابعتان لولاية بيروت، ثم سنجق (متصرفية) القدس، وتضم جنوب فلسطين، وهى متصرفية مستقلة تتبع الآستانة مباشرة، وفى أثناء الحرب العالمية الأولى استولت حملة أللنبى على فلسطين، فسقطت غزة المدخل الجنوبى لفلسطين فى ٧ نوفمبر ١٩١٧، وسلمت بيت المقدس فى ٩ديسمبر من السنة نفسها(١).

وتأسست إدارة حربية فى فلسطين، بوصفها جزءا من أراضى العدو المحتلة استمرت من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٢٠. وقد أعطى مؤتمر سان ريمو (ابريل ١٩٢٠) لبريطانيا حق الانتداب على فلسطين، فحلت فى أول يوليو ١٩٢٠ حكومة مدنية محل الإدارة العسكرية.

وفى ٤ يوليو سنة ١٩٢٢ اتخذت عصبة الأمم بجنيف قرارا بوضع فلسطين تحت انتداب بريطانيا، مع استصدار (صك الانتداب) في التاريخ نفسه، وقد نصت المادة الثانية من صك الانتداب على أن «الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل البلاد فى أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومى اليهودى، وترقية أنظمة الحكم الذاتى، وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن الجنس والدين». فيكون صك الانتداب قد أدمج فى صلبه تعهد بريطانيا بإنشاء الوطن القومى اليهودى - والذى أتى فى تصريح بلفور فى ٢ نوفمبر١٩١٧، كما جاء فى صك الانتداب، تنفيذاً لهذا الوعد، بيان الخطوات المؤدية لتحقيقه، فنصت المادة الرابعة على الاعتراف

---

(١) د. محمد أنيس، د. السيد رجب حراز: السابق، ١٢٣.

«بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية تشير وتعاون فى إدارة فلسطين، فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك مما يؤثر فى إنشاء الوطن القومى اليهودى ومصالح السكان اليهود فى فلسطين، وتساعد وتشارك فى ترقية البلاد، ولكن تحت سيطرة إدارتها (أو حكومتها ــ حكومة الانتداب) دائما». وفى هذه المادة صار الاعتراف بالجمعية الصهيونية بأنها «الوكالة المنصوص عليها فيما تقدم»). ومن المعروف أن الجمعية الصهيونية تعاونت مع الحكومة الانجليزية فى وضع نصوص صك الانتداب منذ فبراير سنة ١٩١٩، أى قبل تقرير الانتداب بمدة طويلة[١].

كذلك كفلت المادة السادسة تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين، وتوطنهم في الأراضى بما فى ذلك الأراضى البور، وأراضى الحكومة غير المطلوبة للأعمال العامة. وطلبت المادة السابعة من الدولة المنتدبة«أن تسن قانونا للجنسية يتضمن نصوصا بتسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاما دائما لهم علي الرعوية الفلسطينية». ونصت المادة الثانية والعشرين على جعل العبرية (إلى جانب الإنجليزية والعربية) لغة رسمية فى البلاد[٢].

ومع أن «صك الانتداب» وضع موضع التنفيذ رسميا فى ٢٩سبتمبر سنة ١٩٢٣، فإن الاضطرابات كانت قد قامت في فلسطين منذ شهر أبريل سنة ١٩٢٠ «أى قبل إصدار صك الانتداب نفسه وبرزت إلى الوجود مشكلة فلسطين على أساس أن الزعماء العرب رفضوا من البداية الاعتراف بشرعية الانتداب، وبحق بريطانيا فى تنفيذ وعد بلفور لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، وعلى أساس أنهم بقوا متمسكين باستقلال فلسطين العربية دائما».

وكان هذا التعارض بين أغراض الانتداب، ومطالب العرب المشروعة منشأ كل الاضطرابات التى وصمت عهد الانتداب البريطانى فى البلاد، وفشلت كل

(١)نفسه ص ١٢٤. (٢) نفسه ص ١٢٤.

المحاولات التى بذلت دون جدوى لتسوية المسألة الفلسطينية، حتى وقت قيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩)، ثم بعد ذلك إلى وقت انتهاء الانتداب البريطانى أخيرا (فى مايو سنة ١٩٤٨) ودخول الجيوش العربية فلسطين، ونشوب المعارك الدموية بينها وبين اليهود.

وقد كان من أهل المحاولات التى بذلت فى عهد الانتداب البريطانى لتسوية مشكلة فلسطين، تلك المحاولة التى أقدمت الحكومة البريطانية على تنفيذها سنة ١٩٣٧ عملا بتوصيات اللجنة الملكية (المعروفة باسم لجنة بيل Peel). وكانت هذه اللجنة قد أرسلت إلى فلسطين من انجلترا برئاسة لورد بيل بسبب الثورة الفلسطينية الكبرى فى سنة ١٩٣٦، فكتبت تقريرا ذكرت فيه لأول مرة «التقسيم» كوسيلة لتسوية المشكلة الفلسطينية. وتضمن (تقرير بيل) اعترافًا للمرة الأولى بأن الوعود التى بذلتها الحكومة البريطانية للعرب واليهود كانت متناقضة ولا يمكن التوفيق بينها. وعلى هذا الأساس أوصت (اللجنة) بإنهاء الانتداب، وبتقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق لإقامة دولة عربية، ودولة يهودية، ثم منطقة ثالثة محايدة تشمل القدس وبيت لحم، تبقى تحت الانتداب البريطانى، والجدير بالملاحظة شأن هذا التقسيم المقترح، أن الدولة العربية كانت تضم ما تبقى من الأراضى الفلسطينية بعد تأسيس الدولة اليهودية والمنطقة المحايدة إلى شرقى الأردن، بما فى ذلك مدينة يافا، وعلي أن تؤسس من هذه الأراضى الفلسطينية وشرقى الأردن الدولة العربية. أما الدولة اليهودية فتمتد أراضيها على طول الساحل من جنوب لبنان إلى جنوب يافا، وتشمل عكا وحيفا وصفد وطبريه والناصرة وتل أبيب. وأما المنطقة المحايدة التى تبقى تحت الانتداب البريطانى فقد اشتملت على شريط من الأرض يمتد من القدس وبيت لحم إلى مكان على الساحل بين يافا وتل أبيب[١].

ولقيت مقترحات (لجنة بيل) قبولا من جانب اليهود، الذين قرروا الدخول

---

(١) نفس المرجع ص ١٢٥.

في مفاوضات مع الحكومة البريطانية لكي يعرفوا بدقة الكيفية التي يراد بها تأسيس الدولة اليهودية المقترحة. أما العرب، فقد عارضوا مقترحات التقسيم معارضة شديدة، وانعقد في بلودان (في سوريا) مؤتمر شعبي في ٨سبتمبر سنة ١٩٣٧، حضرته وفود من مصر والعراق وسوريا ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين (وفوض أحرار المغرب من ينوب عنهم في هذا المؤتمر)، وقرر المؤتمرون رفض التقسيم ومعارضة إنشاء دولة يهودية، والإصرار على المطالبة بإلغاء الانتداب ووعد بلفور، ووقف هجرة اليهود إلى فلسطين، واستصدار تشريع لمنع انتقال الأرض من العرب إلى اليهود(١).

وقد اتخذت الصحف في جميع الأقطار العربية موقفا معارضا لفكرة تقسيم فلسطين العربية وإنشاء دولة يهودية فيها، وهي الفكرة التي ظلت تراود بريطانيا والصهيونيين حتى تمكنوا من تنفيذها أخيرا عام ١٩٤٨، وكانت الحكومة البريطانية قد أصدرت علي لسان وزير خارجيتها مستر بيفن بتاريخ ١٤نوفمبر سنة ١٩٤٥، بيانا أكدت فيه اتفاق بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على العمل يدا واحدة في حل مشاكل اليهود والاشتراك معا في حسم قضية فلسطين. وكان من نتيجة ذلك أن وصلت إلى فلسطين لجنة انجليزية أمريكية لدراسة الموقف عن كثب، والتوصية بما يحقق أهداف اليهود ورغبات الوكالة اليهودية العالمية، وقدمت جامعة الدول العربية (التي كانت قد أنشئت منذ شهر مارس سنة ١٩٤٥) مذكرة لهذه اللجنة، فندت فيها دعاوى اليهود فيما يتعلق بالوطن القومي وتصريح بلفور، وأثبتت تعارض هذا التصريح مع كافة المواثيق والعهود والتصريحات التي قطعتها بريطانيا وحليفاتها للعرب خلال الحرب العالمية الأولي سواء قبل التصريح أو بعده. وذكرت الجامعة العربية في مذكرتها أنها تعارض في إنشاء دولة يهودية في فلسطين، واستمرار هجرة اليهود إليها، وانتقال أراضيها من أيدي العرب إلى أيدي اليهود، وأصرت على المطالبة بإلغاء الانتداب وجعل فلسطين دولة عربية

(١) نفسه ص ١٢٦.

مستقلة. غير أن اللجنة المشتركة أوصت، بعد التحقيقات الزائفة التى قامت بها، فى تقريرها بتاريخ ٢٠ ابريل سنة ١٩٤٦، وتسهيل انتقال الأملاك العربية للصهيونيين وضرورة بقاء الدولة المنتدبة (بريطانيا) فى فلسطين حتى يتم وضع خطة محكمة لتنفيذ التقسيم.

وقابلت الوكالة اليهودية توصيات اللجنة الانجليزية الأمريكية المشتركة بالترحيب، بينما رفضها العرب واستنكروها استنكارا شديدا، ولاسيما فى قرارات مؤتمر أنشا بمصر (الذى عقده ملوك العرب ورؤساؤهم فى ٢٨مارس ١٩٤٦) وقرارات مجلس جامعة الدول العربية فى بلودان (بتاريخ ٧يونيه ١٩٤٦). وقد جاء فى هذا القرارات الأخيرة «**أن دول الجامعة تعتبر الأخذ بتوصيات لجنة التحقيق عملا عدائيا موجها ضدها، وأنه ينبغى أن تتخذ كل الوسائل الممكنة للدفاع عن كيان فلسطين الذى هو جزء لايتجزأ من كيان البلاد العربية الأخرى**»[1].

وإزاء إصرار العرب على رفض تقسيم فلسطين العربية، اتفقت الحكومتان البريطانية والأمريكية على خطة موحدة لإنهاء الانتداب البريطانى فى ١٥مايو سنة ١٩٤٨، وتنفيذ التقسيم كرها، وإخراج عرب فلسطين من وطنهم وتسليمه لليهود. فأحالت الحكومة البريطانية قضية فلسطين إلى هيئة الأمم المتحدة كى تحلها على الوجه المتفق عليه. وفي أول ابريل سنة ١٩٤٧ أرسلت الأمم المتحدة إلى فلسطين لجنة تحقيق أخرى، وأوصت هذه اللجنة فى تقريرها بتقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية فى القسم الأهم منها ودولة عربية فى القسم الجبلى الصغير. ولم تلبث الأمم المتحدة أن أقرت فى ٢٩نوفمبر سنة ١٩٤٧ توصيات اللجنة أى تقسيم فلسطين، ضاربة عرض الحائط بحقوق عرب فلسطين الشرعية.

ولما كانت الحكومة البريطانية قد صرحت بعزمها على التخلى عن انتدابها

---

(١) نفسه ص ١٢٧.

على فلسطين وانسحابها منها بقواتها العسكرية وجهازها الإدارى، وحددت لذلك موعدا هو ١٥مايو ١٩٤٨، فقد اتفقت الدول العربية على أن تدخل جيوشها فلسطين، بعد انسحاب القوات البريطانية منها، للمحافظة على حقوق عرب فلسطين من القوات الصهيونية ومنظماتها الإدارية التى تهدد سلامتهم. واستطاعت القوات العربية التي دخلت فلسطين (فى ١٥مايو سنة ١٩٤٨) بعد جلاء الانجليز عنها، أن تنزل باليهود ضربات قوية: وأحدثت الغارات الجوية المصرية السورية على تل أبيب والمستعمرات اليهودية كثيراً من الخراب والدمار، ولم يمض اثنا عشر يوما على بدأ القتال حتى صارت القوات المصرية تحدق بتل أبيب ذاتها، كما أحرزت باقى القوات العربية فى زحفها تقدما مستمرا، بيد أن الجيوش الظافرة لم تستطع أن تجنى ثمار انتصارها، فلم تلبث الدول الكبرى أن رأت إنقاذ اليهود، فتدخلت عن طريق مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، وأرغمت العرب على وقف الحرب أربعة أسابيع (من ١١يونيه إلى ٩يوليو١٩٤٨) حتى يتمكن اليهود أثناءها من إعادة تنظيم صفوفهم وتعزيز تحصيناتهم واستكمال ما يحتاجون إليه من رجال وسلاح. وعندما استؤنفت الأعمال الحربية فى ٩يوليو سنة ١٩٤٨ بدت القوات اليهودية أقوى كثيرا عن ذى قبل، وخاصة فى الطائرات. وبناء على تعليمات جلوب الانجليزى ــ صدرت الأوامر الكتائب الأردنية والعراقية بالانسحاب دون سبب ظاهر من اللد والرملة ورأس العين ومرج ابن عامر والجليل الغربى، وبذلك تعرضت الجيوش المصرية بعد هذا الانسحاب للوقوع في مأزق حرج كاد يودى بها. وانتهز اليهود هذه الفرصة، وتمكنوا من احتلال مناطق جديدة، وأخذت غاراتهم الجوية تشتد على القاهرة ودمشق وعمان[1].

وسرعان ما اتخذ مجلس الأمن فى ١٥يوليو سنة ١٩٤٨ قرارا بوقف القتال، فتم وقفه فى ١٨يوليو، وحصل الاتفاق على الهدنة الثانية (من ١٨

(١) نفسه ص ١٢٨.

يوليو إلى ١٤اكتوبر سنة ١٩٤٨)، ثم أمكن وقف القتال للمرة الثالثة فى ٨يناير سنة ١٩٤٩ بعد أن كانت القوات المصرية قد أنزلت الهزيمة باليهود فى واقعة دير البلح (٢٥ديسمبر ١٩٤٨)، واستطاعت بذلك الاحتفاظ بقطاع غزة الساحلى، وأذعنت مصر مكرهة للدخول فى مفاوضات مع اليهود لعقد هدنة دائمة، وجرت المفاوضات فى جزيرة رودس بإشراف الوسيط الدولى الدكتور «رالف بانش». وفى ٢٤فبراير سنة ١٩٤٩ عقدت الهدنة بين مصر وإسرائيل (اتفاقية رودس)، وأعقب ذلك عقد الهدنة فى رودس مع شرقى الأردن فى أبريل، ومع لبنان فى الناقورة على حدود فلسطين فى ٢٣مارس، ومع سوريا فى ٢٠يوليو (١).

وهكذا نجح اليهود نجاحا مؤقتا في تحقيق أحلامهم فى فلسطين، وأسسوا دولتهم المزعومة (إسرائيل) فى الأراضى التى كانت بأيديهم بالفعل. وخضعت الأراضى الباقية من فلسطين للأمر الواقع ولكن إلى حين، فوضعت (مملكة شرقى الأردن) يدها على الضفة الغربية لنهر الأردن، التى كانت احتلتها جيوشها منذ أول ديسمبر سنة ١٩٤٨، وأعلنت إدماج الأراضى الفلسطينية (الضفة الغربية لنهر الأردن) مع الأراضى التى تتألف منها مملكة شرقى الأردن، وأصدرت فى أول يونيه سنة ١٩٤٩ بلاغا باطلاق اسم «المملكة الأردنية الهاشمية» عليها. أما مصر فقد رضيت بإدارة قطاع غزة، وهو شريط ساحلى يمتد من قرية رفح على الحدود المصرية الفلسطينية جنوبا إلى نقطة تبعد ثمانية أميال إلي الشمال من غزة، ويطل على البحر غربا وتحده مصر (شبه جزيرة سيناء) من الجنوب، وتحيط به أراضى فلسطين المحتلة من الشمال والشرق(٢).

وفى قصيدة العقاد التى نشرتها الصحف المصرية، خطاب الأبطال (الفالوجا) الذين قاوموا الحصار، يقول فيه:

---

(١) نفسه ص ١٢٩.   (٢) نفسه ص ١٢٩.

أجَلْ هي مصر التي نعهدُ إذا نَفِدَ الدهر لا تَنْفَدُ
معوّدة أن تجيب الدعا ء إذا ما دعا المجد والسؤدد
بيوم مجيد لأمس مجيد وإن غداً بعده أمجد
بنو مصر لله ما جاهدوا وفي الحق والخير ما أعْتَدوا
أولو البأس لكنهم عُصْبَةٌ إذا ما اعتدى البأس لم يعتدوا
ومنهم لكل ضَعيفٍ حِمىً وفيهم لِكل أخ مُنْجِد
أغاثوا العروبة في محنة رماها بها الزمن الأنكد
ومن نكد الدهر أن تستذ لَّ لِشرذِمة ذُلُّها سَرْمَد

ونشر محمد عبدالغني حسن في جريدة الأهرام قصيدة يدعو فيها إلى مؤازرة فلسطين بجهود العرب وقواهم، لأنها شقيقة أفزعتنا نكبتها، وجرحت قلوبنا بلواها، وأحزنتنا أحداثها:

أيها الجارة الشقيقة صبرا قد عرفنا الزمان حُلوا ومُراً
فَزِع الناسُ في أساك وقاموا يتنادون في سبيلك جَهْرا
أجمعوا أمرهم لنصرك حتى يقضي الله يا فلسطين أمرا
في قلوب الإخوان منك جروح داميات وعلة ليس تَبْرا

وتمثل قصيدة علي محمود طه التي نشرت في الصحف المصرية، وردّدها الناس مع صوت الموسيقار محمد عبدالوهاب مفهوم الوجدان المشترك والدعوة والجهاد لاستخلاص قطعة عزيزة من ميراث الآباء والأجداد، وتطهير البلد المقدس من الدخلاء، ولم يخص بدعوته قطرا دون قطر، ولا بلدا دون بلد، بل أهاب بإخوته العرب جميعا أن يسارعوا إلى النضال، يستوي في ذلك مسلمهم والمسيحي، يقول:

أخي جاوز الظالمون المدى فَحُقَّ الجهاد وحُق الفدا

أنتركهم يسلبون العروبة مجد الأبوة والسؤددا؟
وليسوا بغير صليل السيوف يجيبون صوتا لنا أو صَدى
فجرِّدْ حُسامك من غمده فليس له بَعْدُ أن يُغْمَدا
أخى أيها العربى الأبيُّ أرى اليوم موعدنا أو غدا
أخى أقبل الشرق فى أمة تردُّ الضلال وتُحْيى الهُدَى
أخى قم إلى قبلة المشرقَيـن لنحمى الكنيسة والمسجدا

تطور الصحافة الفلسطينية:

كانت المطبوعات السورية واللبنانية توزع في فلسطين العثمانية، وفيما عدا بعض صحف البعثات والمطبوعات المدرسية، كانت قد صدرت صحيفة (القدس) عام ١٩٠٤ وصحيفة (الكرمل) التى أنشأها فى (حيفا) سنة ١٩٠٨: نجيب نصار، واستمرت فى الصدور حتى سنة ١٩٤٢، وقد حمل صاحبها لواء الدعوة فى مواجهة أخطار الصهيونية، وتوضيح جوانب القضية اللسطينية.

وفى العام نفسه: ١٩٠٨ صدرت صحيفة (النّفير) في القدس، وصحيفة (النفائس العصرية) فى (يافا)، ثم فى العام التالى ١٩٠٩ صدرت صحيفة (الأخبار) وفى (يافا) أيضا، صدرت صحيفة (الحقوق) عام ١٩١٠، وصحيفة (الترقى) فى العام نفسه، ثم صدرت صحيفة (فلسطين) فى عام ١٩١١ فى (يافا) أيضا لمؤسسها عيسى داود العيسى، وقد اشتدت حملاتها على الصهيونية، «وكان يحررها على منصور بأسلوب ساخر لاذع»[(١)].

وفى عام ١٩١١ صدرت صحيفة (الأخبار الأسبوعية) في (يافا) أيضا، ثم صدرت صحيفة (الصاعقة) فى (حيفا) عام ١٩١٢ و(القدس الشريف) فى القدس عام ١٩١٣ وفى هذا العام: ١٩١٣ صدرت صحف (الدستور) فى (حيفا) و(المنهل) فى (القدس) و(الحكمة).

---

(١) إحسان عسكر: الصحافة العربية ص ٢٩٥.

وفى عام ١٩١٩، صدرت صحف: (بيت المقدس) في القدس وفى ٥مايو ١٩٢١ صدرت (الزهرة) فى (حيفا)، و(لسان العرب) فى القدس، ثم فى عام ١٩٢٣ صدرت صحيفة (الحقوق) في يافا، وشهد عام ١٩٢٤ صدور صحيفتى: (اليرموك) في حيفا، و(الأردن) فى حيفا أيضا.

وقد صاحبها عدد كبير من الصحف الجديدة كانت تعبر عن ردود الفعل العربية السياسية للانتداب البريطانى وسياسة الوطن القومى اليهودى، وكان من هذه الصحف صحيفتا «سوريا الجنوبية» (يحررها عارف العارف ومحمد حسن البديرى) و«مرآة الشرق» (يحررها بولس شحادة)، وكلتاهما صدرتا سنة ١٩١٩ ولم تدوما طويلاً، وقد أنشئت صحيفة «الصباح» سنة ١٩٢١ (وكان يحررها كامل البديرى ويوسف ياسين، وأصبحت لسان حال السلطة التنفيذية العربية)، ثم صدرت صحيفة (الاتحاد العربى) فى طولكرم عام ١٩٢٥، وصحيفة (الجامعة الإسلامية) فى يافا عام ١٩٣٣ لصاحبها سليمان التاجى الفاروقى، وكانت تدعو لفكرة الجامعة الإسلامية ويحررها طائفة من كبار الكتاب العرب.

أما صحيفة (الجامعة العربية): فكانت تنطق بلسان مفتى فلسطين، وكانت شديدة اللهجة فى مخاطبة خصومها السياسيين، وفى يافا صدرت صحيفة (الدفاع) عام ١٩٢٨ واحتلت مكانة مرموقة، وكانت فتحا جديدا فى ميدان الصحافة الفلسطينية(١).

أما صحيفة (صوت الحق) لصاحبها فهمى الحسينى فكانت تقود الشباب وتدعو، إلى الاستقلال ومكافحة الاستعمار. ثم صدرت صحيفة (الفجر): مجلة تبحث فى الأدب، ويحررها المجاهدان فاروق العزونى ومحمود سيف الدين الإيرانى.

---

(١) د. إحسان عسكر: الصحافة العربية ص ٢٩٥

وكانت أول صحيفة يومية تصدر باللغة العربية هي «فلسطين» التي بدأت تصدر يوميا بانتظام سنة ١٩٢٩، واستمرت في الصدور في مدينة القدس القديمة، وكانت الصحف الأخرى هي «الصراط المستقيم» (التي أنشئت سنة ١٩٢٥ وصدرت يومية منذ سنة ١٩٢٩ أيضاً، وكان يحررها الشيخ عبدالله القلقيلي، و«الدفاع» (التي أنشئت سنة ١٩٣٤ وكان يحررها إبراهيم الشنطي)، وكانت الصحيفتان يملكهما ويحررهما المسلمون، وكانت صحيفة «الصراط المستقيم» إسلامية الاتجاه.

أما صحيفة «الدفاع» فكانت تعبر عن الآراء القومية العربية القوية، وكانت أول الأمر متصلة بحزب الاستقلال واتصلت من بعد بالجماعات التي كان يقودها الحسينية. أما صحيفة «الوحدة» الأسبوعية التي أنشئت سنة ١٩٤٥ فقد أصبحت صحيفة يومية في العام التالي.

وتقول دائرة المعارف الإسلامية إنه خلال الثلاثينات والأربعينات من القرن التاسع عشر: «حدث تطور سريع جدا في صحافة المجلات وبخاصة في المجلات السياسية، سواء الأسبوعية منها أو التي تصدر مرة كل أسبوعين، وقد أعيدت صياغتها على نمط الصحف المصرية الأسبوعية، فبعضها كان يقدم لقرائه التعليقات على الأمور الهامة وأخبار الأفلام، وغير ذلك من أسباب التسلية الأخرى، وكانت تنشر الصور أحيانا، علاوة على الأخبار والتعليقات السياسية، وكان ثمة صحيفتان هما **الاتحاد الأسبوعية** (التي أنشئت سنة ١٩٤٤) و«الغد» التي تصدر مرة كل أسبوعين (نشرت أولا بصفة غير منتظمة في العشرينات، وأعيد إصدارها سنة ١٩٤٥)، أما بقية الصحف فكانت تعبر عن ألوان شتى من القومية العربية والحزبيات بين القادة العرب، وكانت الصحافة التي تكتب بلغات غير اللغة العربية يهودية في معظمها[١].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ص٩٢ .

[٦]

الصحافة فى العراق

ظلت بلاد العراق ــ كغيرها من البلاد العربية ــ خاضعة لحكم الأتراك العثمانيين حوالى أربعة قرون. ومن المعروف أن الولايات العثمانية صارت خلال القرن التاسع عشر هدفا لأطماع الدول الأوروبية المختلفة.

وقد انفردت انجلترا من بين هذه الدول بالاهتمام ببلاد العراق، لوقوعها على طريق مواصلاتها البرية الرئيسية إلى الهند **«أثمن جوهرة فى التاج البريطانى»**. . وعندما قامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ــ ١٩١٨) انتهزت انجلترا هذه الفرصة وأخذت تعمل للاستيلاء على العراق. فاحتلت قواتها البصرة نظرا لأهميتها فى تأمين المواصلات البريطانية مع الهند، ثم استولت على بغداد فى ١١ مارس ١٩٠٧ بعد أن أخلاها الأتراك.

وما كادت تعلن الهدنة بين الحلفاء وتركيا (٣٠نوفمبر ١٩٠٨) حتى أخذت انجلترا تعمل لتثبيت أقدامها فى العراق، فاتفقت مع فرنسا على أن تستولى الأخيرة على دمشق وحمص وحماه وحلب، مقابل موافقتها على ضم ولاية الموصل إلى المناطق التى احتلتها فيما بين الرافدين (العراق).

وفى ٣ مايو سنة ١٩٢٠ أعلنت بريطانيا انتدابها على العراق، فقوبل هذا الإجراء بقيام ثورة وطنية لتخليص العراق من الحكم البريطانى، وعمت هذه الثورة جميع البلاد واستمرت أربعة شهور (يونيه ــ سبتمبر سنة ١٩٢٠)، وفى هذه الثورة قاتل رجال العشائر القوات البريطانية قتالا شديدا، وأنزلوا بها خسائر كبيرة، الأمر الذى كلّف بريطانيا كثيرا من الأرواح والأموال. وعلى الرغم من إخماد هذه الثورة وفشلها فى تحقيق أغراضها، فإنها لم تلبث أن

أرغمت انجلترا على التساهل فى منح العراق قسطا أكبر من الاستقلال الذاتى[1].

وفى ٢٣أغسطس سنة ١٩٢١ جرى تتويج فيصل ملكا على العراق.

على أن الشعب العراقى لم يكن يستسيغ بقاء بلاده تحت الانتداب البريطانى فى الوقت الذى حصل فيه على قدر كبير من الاستقلال، لذلك استبدلت انجلترا بالانتداب تنظيم علاقاتها مع العراق على أساس معاهدة تحالف، عقدت بينها ومملكة العراق ١٠أكتوبر سنة ١٩٢٢، ويلاحظ أن مواد هذه المعاهدة تضمنت معظم شروط الانتداب وحققت مطالبه وأغراضه دون ذكر لفظ الانتداب نفسه. وهكذا استطاعت انجلترا بفضل هذه المعاهدة ومعاهدات أخرى لاحقة (١٩٢٦، ١٩٢٧، ١٩٣٠) أن تثبت النفوذ البريطانى فى المملكة العراقية[2].

الصحافة الرسمية في العراق:

وكان الوالى التركى مدحت باشا (١٨٢٢ ـ ١٨٨٤) قد أمر بإصدار صحيفة «زوراء» الرسمية فى بغداد سنة ١٨٦٩، وكانت أسبوعية تحرر بالعربية والتركية كما تقدم.

وفى سنة ١٨٨٥ أصدر العثمانيون جريدة «موصل» الرسمية فى الموصل، وبعد ذلك بعشر سنوات أصدروا فى البصرة جريدة «بصرة» الرسمية.

وفى بغداد صدرت صحيفة «بغداد» بالعربية والتركية سنة إعلان الدستور، وهى جريدة سياسية علمية أدبية أسبوعية كانت لسان حال جمعية الاتحاد والترقى ولكنها توقفت بعد صدورها بسنة، وصدر بعدها عدد من الصحف فى ظل مناخ الحرية الذى هيأه دستور السلطان عبدالحميد[3].

---

(١) د. محمد أنيس، د. السيد رجب حراز: السابق ص ١١١.

(٢) نفسه ص ١١١.

(٢) د. خليل صابات : السابق ص ٢٧٦ .

وطالبت الصحف العراقية عام ١٩١٠ بجعل اللغة العربية هى اللغة الرسمية للحكومة ورفع مستواها والكف عن محاربتها(١).

وفى الموصل صدرت مجلة «لغة العرب» فى يوليو ١٩١١ لصاحبها الأب أنستاس مارى الكرملى (١٨٦٦ ـ ١٩٤٧).

وبعد أن احتل البريطانيون البصرة شجعوا أحد العراقيين على إصدار صحيفة تدعو لهم، فكان أن صدرت «الأوقات البصرية» فى ٢٤نوفمبر ١٩١٤، وبعد احتلال بغداد، فى ١١مارس١٩١٧، أصدروا جريدة «العرب»، فلما توقفت فى سنة ١٩٢٠ حلت محلها صحيفة «العراق»، وصدرت فى أغسطس من العام نفسه جريدة «الشرق»(٢).

وفى سنة ١٩٣٠ صدرت مجلة «الصنائع» لصاحبها محمد صالح القزازى، رئيس جمعية الصنائع.

وكانت جريدة «البلاد» قد صدرت فى ٢٥أكتوبر ١٩٢٩.

وبين الحربين العالميتين صدرت جريدة «الأهالى» فى ٢ يناير ١٩٣٢.

ومن الصحف اليومية التى صدرت أواخر الحرب العالمية الثانية جريدة «الشعب» اليومية سنة ١٩٤٤ .

وبعد وقت قليل من قيام ثورة ٢٣يوليو ١٩٥٢ فى مصر قام الشعب العراقى يطالب بالحريات الديمقراطية، فما كان من الحكومة إلا أن أعلنت الأحكام العرفية فى ٢٣نوفمبر ١٩٥٢ وألغت الأحزاب السياسية وعطلت الصحف(٣)، واستمر الجمود السياسى حتى تألفت وزارة جديدة ألغت الأحكام العرفية فى ٥

---

(١) د. خليل صابات: السابق ص٢٧٦.

(٢) هادى طعمة عبدالعباس: الاحتلال البريطانى والصحافة العراقية، دراسة فى الحملة الدعائية البريطانية ١٩١٤ ـ ١٩٢١، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الصحافة والنشر بكلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٨٠، صفحة ٧٣ وما بعدها..

د. خليل صابات : السابق ص ٢٧٧.

(٣) عبدالرزاق الحسنى، تاريخ الوزارت العراقية، الجزء الثامن، ص٣٦٣ وما بعدها.

أكتوبر ١٩٥٣ وسمحت للأحزاب بمزاولة نشاطها واستأنفت الصحف الوطنية المعطلة الصدور[١].

ومن الصحف التى صدرت بعد قيام الثورة جريدة «**الجمهورية**» ممثلة لفكر حزب البعث العربى الاشتراكى، صدر عددها الأول فى ١٧يوليو١٩٥٨، وفى كركوك صدرت «**البشير**» ١٩٥٨، وفى بغداد صدرت «**صوت الأحرار**» و«**الرقيب**» و«**الاستقلال**» و«**الرأى العام**»[٢].

وبعد قيام ثورة ٨فبراير ١٩٦٣ وتولى عبدالسلام عارف الحكم صدرت صحيفة «**الجماهير**» البعثية وتولى رئاسة تحريرها طارق عزيز، كما صدرت صحيفتا: «**الثورة**» و«**الطليعة**»[٣].

وفى ٢٩ أبريل ١٩٦٧ صدرت صحيفة «**التآخى**» اليومية لتعبر عن الحزب الديمقراطى الكردستانى وفى ٣ديسمبر ١٩٦٧ صدر تشريع بتأميم الصحف فأصبحت تتبع (المؤسسة العامة للصحافة والطباعة)[٤].

وفى ٢٢ مايو صدر العدد الأول من مجلة «**ألف باء**».

وصدرت فى ١٧أغسطس ١٩٦٨ جريدة «**الثورة**» يومية، سياسية عن المؤسسة العامة للصحافة والطباعة لتكون لسان حزب البعث العربى الاشتراكى، وصدرت «**طريق الشعب**» جريدة يومية سياسية عن الحزب الشيوعى العراقى.

وفى ٢٠ فبراير ١٩٧٦ صدر العدد الأول من صحيفة «**العراق**» يومية سياسية لسان الأكراد العراقيين ـ وقد حلت هذه الصحيفة محل «**التآخى**» جريدة الحزب الديمقراطى الكردستانى التى ألغى امتيازها فى فبراير ١٩٧٦[٥].

---

(١) د. خليل صابات : السابق ص ٢٧٩.
(٢) د. خليل صابات : السابق ص ٢٧٠.
(٣) نفس المرجع السابق.
(٤) فائق بطى، المرجع السابق، ص ٣٦٠
(٥) د. خليل صابات: السابق ص ٢٨٢.

وفى ١٦ يوليو ١٩٧٩ أصبح صدام حسين رئيسا للجمهورية العراقية ورئيسا لحزب البعث(١).

ويصدر فى العراق عدد كبير مـن الصحف والمجلات منها: جريدة «**الثورة**» لسان حزب البعث،وسياسية عامة، وجريدة «**الجمهورية**» يومية سياسية عامة، و«**الرياضى**» اليومية، و«**العراق**» اليومية سياسية عامة، و«**القادسية**» اليومية، عامة، و«بغداد أوبزرفـر» بالانجليزية، وتصدر يوميـا، ومن الصحف والمجلات الأسبوعية: «**الاتحاد الوطـنى**» الطلابية و«**ألف باء**»، سياسيـة عامة و«**الاتحاد**» الأسبوعيـة الناطقة بلـسان اتحاد الغرف التـجارية،و«**الراصد**» سياسيـة عامة، و«**صوت الفلاح**» الزراعية و«**فنون**» وكانت تصدر باسم «**الإذاعـة والتليفزيون**» حتى عام ١٩٧٧، وتـهتم بالتراث والـفنون، و«**مجلتى**» للأطـفال، و«**الوقائع العراقية**» الجريدة الرسمية..

وفى العراق عدد كبير من المجلات المتخصصة الشهرية والفصلية مثل: مجلة (**آفاق عربية**) و(**الأقلام**) و(**الثقافة الأجنبية**) و (**المأثورات الشعبية**).

---

(١) نفسه ص ٢٨٢.

[٧]

الصحافة فى المملكة العربية السعودية

إن الرأى القائل بأن هناك من الملامح ما ينفرد به شعب من الشعوب، فتميزه عن شعب آخر، له أصله من قديم الأزل، وهذا الرأى ــ كما يقول «إدوارد شيستر» ــ يسير جنبا إلى جنب مع الاعتقاد السائد بأن لكل أمة رسالة معينة تحققها، ولقد كان لارتباط هذه الآراء مع بعضها البعض أثر فى خلق صورة إيجابية فى الصحافة المصرية للدور الذى تقوم به المملكة العربية السعودية، استراتيجيا وروحيا، وهذا الشعور يبدو جليا واضحا فى كتابات الأدباء والكتاب والصحفيين فى مصر، تقديرا لدور المملكة العربية السعودية فى العالم الحديث[١].

ولما كان الوضع الطبيعى هو المكان الذى يتخذه التاريخ مسرحا لأحداثه، أصبح لزامًا علينا أن نبدأ بدراسة شاملة للملاحظات الأدبية عن المحيط الطبيعى للمملكة العربية السعودية.

يقول الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى عن الوحدة كأصل من أصول المنهج الذى ارتضاه الملك عبدالعزيز، على اتصال وثيق بعقيدة التوحيد، والشريعة: «كان الملك عبدالعزيز يدرك أن كثيراً من الزعماء والقادة قد أصبحوا صرعى النظريات السياسية الجديدة وأسرارها».

وعلى الرغم مما يحدث، وعلى الرغم من علمه بما يحدث، فإنه التزم المنهج وثبت عليه.

---

(١) عبد العزيز شرف: الملك عبدالعزيز فى مرآة الصحافة المصرية القاهرة، مطبوعات مجلة الحضارة؛ ١٩٩٩.

لماذا؟

لأنه يعلم غاية الدولة الإسلامية، وهدف التمكين في الأرض: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[سورة الحج: ٤١]

وأول صحيفة صدرت فى الحجاز هى صحيفة «حجاز» الرسمية عام ١٨٨٢، وعقب صدور دستور سنة ١٩٠٨ العثمانى نشر بعض الحجازيين صحفا في مكة والمدينة المنورة وفى خلال الحرب العالمية الأولى أعلنت الثورة العربية وأصدر الشريف حسين فى سنة ١٩١٦ صحيفة «القبلة» لتكون لسان حال هذه الثورة وقد احتجبت هذه الصحيفة عن الصدور فى ٢٥سبتمبر ١٩٢٤(١).

صدر العدد الأول من جريدة «الحجاز» فى ٧ أكتوبر ١٩١٦ سياسية أدبية اقتصادية فى المدينة المنورة، وقد توقفت هذه الجريدة عن الصدور فى أواخر عام ١٩١٨.

وفى ٨ سبتمبر ١٩٢٠ صدرت فى مكة صحيفة «الفلاح» فى أربع صفحات «جريدة عربية جامعة تخدم العرب والعربية».

وأصدر الحزب الوطنى الحجازى فى ٢٦نوفمبر ١٩٢٤ جريدة (بريد الحجاز) واقتصرت مقالاتها على السياسة، وصدرت مرتين فى الأسبوع فى أربع صفحات من القطع الصغير.

وفى عهد الملك عبدالعزيز (١٨٨٠ ــ ١٩٥٣) صدرت صحيفة «أم القرى» فى ١٢ديسمبر ١٩٢٤ صحيفة رسمية أسبوعية وكان شعارها «خدمة الإسلام والعرب»، وعلى الرغم من رسميتها فقد اهتمت بالأدب وشجعت الأدباء

---

(١) محمد عبدالرحمن الشامخ، الصحافة فى الحجاز ١٩٠٨ ــ ١٩٤١، دار الأمانة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان ١٩٧١ ص٩٤.

الناشئين، ومن الصحف التى صدرت فى الحجاز بين الحربين العالميتين جريدة «**صوت الحجاز**» التى صدر عددها الأول فى ٤إبريل ١٩٣٢ لتكون «لسان حال النهضة الأدبية الحجازية»(١)، كما صدر بعض الصحف والمجلات الأخرى.

وفى أغسطس ١٩٥٣ صدر فى الرياض العدد الأول من مجلة «**اليمامة**» الشهرية، وبعدها بثلاث سنوات أصبحت أسبوعية ثم نصف أسبوعية.

وفى سنة ١٩٦٢ صدر نظام المؤسسات الصحفية، فصدرت «**اليمامة**» عن «مؤسسة اليمامة الصحفية» وتطورت هذه الصحيفة ابتداء من سنة ١٩٦٤ فأصبح لها مكاتب فى بعض المدن السعودية، وهى تعنى بالأدب والفن والرياضة والمرأة والطفل(٢).

ومن الصحف اليومية التى تصدر فى السعودية: جريدة «**البلاد**» السياسية العامة التى تصدر فى جدة، وجريدة «**الجزيرة**» السياسية العامة التى تصدر فى الرياض، وجريدة «**الرياض**» السياسية العامة التى تصدر فى الرياض، وجريدة «**الشرق الأوسط**» السياسية العامة التى تصدر فى كل من جدة ولندن والرياض والظهران والدار البيضاء والقاهرة ومارسيليا وباريس ونيويورك، وجريدة «**عكاظ**» السياسية العامة التى تصدر فى جدة وجريدة «**المدينة المنورة**» السياسية العامة التى تصدر فى جدة، والجريدة «**المسائية**» السياسية العامة التى تصدر فى الرياض، وجريدة «**الندوة**» السياسية العامة التى تصدر فى مكة المكرمة، وجريدة «**اليوم**» السياسية العامة التى تصدر فى الدمام.

والجرائد اليومية التى تصدر بالانجليزية هى «**سعودى ريفيو**» و«**سعودى جازيت**» وجريدة «**أراب نيوز**» وكلها تصدر فى جدة. والأولى سياسية عامة والثانية اقتصادية والثالثة سياسية عامة، هذا إلى جانب مجلة «**أخبار العرب**» اليومية السياسية العامة التى تصدر فى جدة(٣).

---

(١) د. خليل صابات: السابق ص ٢٨٤ .

(٢) نفس المرجع ص ٢٨٧. (٣) نفسه ص ٢٨٧ .

ومن المجلات الأسبوعـية مجلة «أخبار العـالم الإسلامى» ومجلة «الدعوة» وتصدر بالريـاض ومجلة «المسلمون» وتصدر بـجدة ومجلـة «إقرأ» السيـاسية العامة، ومجلة «اللقاء العربى» السياسية العامة التى تصدر فى الدمام، ومجلة «المجلة» السياسية العامة الـتى تصدر فى كل من جدة ولندن، ومجلة «سيدتى» ومجلة «الشرقية» وتعنـيان بشئون المرأة، ومجلة «اليمامة» السياسية العامة التى تصدر فـى الرياض، وللأطفـال مجلتان تصـدران بجدة واحدة باسـم «حسن» والثانية باسم «الطفل» وتصدر فى جدة أيـضا مجلة «النادى الرياضى» للرياضة والشباب ومجلة «سعودى بزنس» الاقتصادية التى تصدر بالانجليزية.

أما «أم القرى» فهى الجريدة الرسمية التى تصدر فى الرياض أسبوعية.

[٨]

الصحافة فى اليمن:

يعود تاريخ الصحافة فى اليمن إلى عام ١٨٧٧، وقد أنشئت أول مطبعة فى صنعاء فى عهد السلطان عبدالحميد الثانى وطبعت فيها جريدة «صنعاء» الرسمية الأسبوعية، وفى سنة ١٩٢٦ صدرت صحيفة «الإيمان» شهرية عن نفس المطبعة، وصدر العدد الأول من مجلة «الحكمة» فى ديسمبر ١٩٣٨ بمساعدة وزارة المعارف اليمنية.

وفى ٣أكتوبر ١٩٤٦ صدر العدد الأول من أول صحيفة حزبية يمنية هى: «صوت اليمن» سياسية أسبوعية لسان حال (الجمعية اليمنية الكبرى)، وكان آخر أعدادها قد صدر منها فى ١١مارس ١٩٤٨(١).

وفى أول يناير ١٩٤٩ صدر العدد الأول من صحيفة «سبأ» فى عدن ولكنها توقفت بعد مضى حوالى سنة ونصف من صدورها ثم عادت إلى الظهور فى تعز سنة ١٩٢٥.

وقد توقفت «سبأ» عندما قامت الثورة عام ١٩٦٢(٢).

وفى ٩ فبراير ١٩٥٠ صدر العدد الأول من صحيفة «النصر» أدبية، سياسية، اجتماعية شهرية، وتوقفت عن الصدور بعد قيام الثورة فى ١٩٦٢.

وصدرت فى ٤ أكتوبر ١٩٥٩ فى تعز صحيفة «الطليعة».

وفى ٢٦سبتمبر صدرت فى تعز صحيفة «الثورة» لتكون لسان حال النظام الجديد. وفى سبتمبر ١٩٦٣ انتقلت إلى صنعاء وظلت بها.

---

(١) المرجع السابق نفسه. (٢) المرجع السابق نفسه ص ٣٠٧.

وكانت صحيفة «الجمهورية» قد صدرت فى ٢٠ أكتوبر ١٩٦٢، سياسية، ثقافية، جامعة أسبوعية فى أول عهدها ثم أصبحت يومية فى ١٩٦٧.

وصدرت «الأخبار» يومية عام ١٩٦٣ ولكنها ما لبثت أن اندمجت فى صحيفة الجمهورية عام ١٩٦٧[١].

وصدرت فى ٨ مايو ١٩٦٣ الصحيفة الرسمية لنشر القوانين والقرارات واللوائح، وفى يوليو من العام نفسه صدرت فى صنعاء مجلة «شريعة الله» نصف الشهرية. وفى أبريل١٩٦٤ صدرت «الثغر» صحيفة سياسية، اجتماعية عن وزارة الإعلام فى الحديدة ولكنها كانت تنسخ بالاستنسل حتى يوليو ١٩٧٠. وفى أغسطس ١٩٧٠ أصبحت تطبع فى مطابع الصباح.

وفى ٥يونيو ١٩٦٥ صدرت «أخبار الشعب» فى صنعاء يومية، جامعة شعارها «الشعب مصدر السلطات»، وبعد عددها الأول أصبح اسمها: «الشعب».

وفى مايو ١٩٦٨ صدرت مجلة «الجيش» شهرية جامعة عن إدارة الشئون العامة والتوجيه المعنوى للقوات المسلحة. وفى يوليو من السنة نفسها صدرت جريدة «الرسالة» سياسية أسبوعية مستقلة، وقد عاشت ثلاث سنوات فقط.

وفى ١٦نوفمبر ١٩٦٨ صدرت فى صنعاء صحيفة «الشعب» مطبوعة فى مطابع الحكومة.

وصدرت فى تعز عام ١٩٦٩ مجلة «الوحدة»، وتأسست فى الحديدة مطابع الصباح وصدرت عنها فى ٣٠ أبريل ١٩٧٠ صحيفة «الصباح» بعد أن ا نتقلت من عدن[٢].

---

(١) د. خليل صابات: السابق ص٢٦٠.

(٢) نفسه ص ٢٩٢

وتصدر فى اليمن حالياً صحف: «**الثورة اليمنية**» يومية، سياسية و«**الميثاق**» أسبوعية، سياسية، و٢٦سبتمبر أسبوعية، سياسية، و«**الثورى**» أسبوعية، سياسية و«**أكتوبر**» أسبوعية، سياسية و«**الحكمة**» شهرية، اجتماعية، سياسية و«**قضايا العصر**» شهرية، أدبية[١].

(١) نفسه ص ٢٩٢.

[٩]

الصحافة فى دولة الكويت:

وفى دولة الكويت أصدر «مجلة الكويت»: عبدالعزيز الرشيد سنة ١٩٢٨، وكانت تطبع خارج الكويت لعدم وجود مطابع فى ذلك الحين، ثم صدرت «البعثة» وكانت مجلة أدبية ظلت تصدر حتى سنة ١٩٥٤، وكانت تطبع خارج الكويت أيضا [١].

أما أول مجلة طبعت فى الكويت فكانت «كاظمة» التى غلب عليها الطابع القومى، وفى ١٩٥٣ أصدر النادى الثقافى القومى مجلة «الإيمان».

ثم صحيفة «الإرشاد» التى أصدرتها جمعية الإرشاد الإسلامية سنة ١٩٥٣ ومجلة «رسالة النفط» أول مجلة مصورة أصدرتها شركة نفط الكويت المحدودة سنة١٩٥٧.

وفى سنة ١٩٥٨ أصدرت وزارة الإرشاد مجلة «العربى» ثم صدرت صحيفة يومية هى «الرأى العام» فى ابريل ١٩٦١، وصدرت باللغة الانجليزية «كويت تايمز» فى سبتمبر ١٩٦١، وبدأت «أخبار الكويت» فى الصدور فى مارس ١٩٦٢، وصدرت «الوطن» فى يونيو١٩٦٢ و«الديلى نيوز» بالانجليزية عن دار «الرأى العام» فى يوليو ١٩٦٢، كما صدرت «السياسة» و«القبس».

---

(١) د. خليل صابات: السابق ص ٢٩٥.

[١٠]

الصحافة فى دولة البحرين:

صدرت أول صحيفة فى دولة البحرين باسم: «البحرين» أسسها عبدالله الزايد سنة ١٩٣٩[1]، وفى سنة ١٩٤٩ صدرت صحيفة «صوت البحرين»، وصدر فى المنامة بعد ذلك عدد من الصحف منها «البحرين اليوم» الشهرية، وتصدر عن مصلحة الاستعلامات منذ سنة ١٩٥٦، و«الجريدة الرسمية»، وهى أسبوعية، تصدر عن مصلحة الاستعلامات منذ سنة ١٩٥٧ و«الأضواء» الأسبوعية، أنشأها سنة ١٩٦٥ محمد المرادى صاحب امتيازها ورئيس تحريرها، و«صدى الأسبوع»، أسبوعية، أنشأها سنة ١٩٦٩ على السيار و«المجتمع الجديد» أسبوعية، أصدرتها سنة ١٩٧٠ الشركة الوطنية للصحافة والإعلان و«هنا البحرين» وتصدرها مصلحة الاستعلامات و«أخبار البحرين» وهى أسبوعية، صدرت سنة ١٩٧٢، كما تصدر «الأسواق العربية» وهى مجلة شهرية تصدر بالعربية والانجليزية.

وتصدر فى المنامة العاصمة جريدة «أخبار الخليج» اليومية، إلى جانب الصحف والمجلات الأسبوعية فهى: جريدة «أخبار البحرين»، و«الجريدة الرسمية» وجريدة «جلف ميرور» بالانجليزية، وجريدة (المجتمع الجديد) ومجلة «الأضواء» ومجلة «البحرين» ومجلة «الرياضة» للشباب والرياضة ومجلة «صدى الأسبوع»، ومجلة «المواقف» ومجلة «تايم أوت ان ذى جلف» بالانجليزية، و«هنا البحرين» وهى مطبوعة شهرية[2].

وفى ٧مارس ١٩٨٩ صدرت «الأيام» جريدة يومية.

---

(١) د. خليل صابات: السابق ص ٢٠٥.

(٢) نفسه ص ٢٠٦.

[١١]

الصحافة فى دولة قطر:

صدرت مجلة «الدوحة» شهرية عن وزارة الإعلام منذ سنة ١٩٦٩ و«العروبة» أسبوعية، عن المؤسسة العربية لطباعة الصحف والنشر، وفى سنة ١٩٧١ أصدرت اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم مجلة «التربية» وهى فصلية. وقد رخصت لصحيفة «العرب» بالصدور يومية(١).

وصدر قانون المطبوعات والنشر فى قطر عام ١٩٧٩ ويقول الشيخ حمد بن سعيم آل ثانى وزير الإعلام والثقافة(٢): إن هذا القانون يعتبر دعامة قوية لحرية الصحافة فى البلاد، وهو يحفظ حرية الرأى فيما ينشر ويبين حق الدولة فى رعاية قيم المجتمع وتقاليده»، وصدرت فى يوليو ١٩٨٦ مجلة «أخبار الخليج».

وتصدر فى قطر ثلاث صحف يومية بالعربية وهى «الراية» و«العرب» و«الشرق» بجانب صحيفة «ديلى جلف تايم» بالانجليزية، وتصدر أسبوعية و«الدورى» الرياضية و«العروبة» السياسية العامة و«العهد» و«الفجر»، وبالانجليزية «ويكلى جلف تايم»، كما تصدر الجريدة الرسمية الشهرية، ويبلغ عدد الصحف والمجلات التى تصدر فى قطر ١٦ مطبوعة تشمل الصحف اليومية والأسبوعية والشهرية وأغلبها يصدر عن القطاع الخاص.

---

(١) نفسه ص ٢٠٦.

(٢) عادل محمد عفيفى ومحمد يوسف حبيب، الإعلام القطرى، جريدة «الأهرام» القاهرة فى ٣١ديسمبر١٩٨٩ ص٤.

[١٢]

الصحافة فى دولة الإمارات العربية المتحدة:

صدرت «أخبار دبى» سنة ١٩٦٦ عن دائرة الإعلام التى كانت تابعة لبلدية دبى، وفى السنة نفسها صدرت «الجريدة الرسمية» لحكومة دبى وتوابعها، وفى ابريل ١٩٦٨ صدرت فى أبو ظبى جريدة رسمية، وفى السنة نفسها صدرت «أخبار رأس الخيمة» وقد تغير اسمها بعد ذلك إلى «مجلة رأس الخيمة».

وفى ٢٠ أكتوبر ١٩٦٩ صدرت «الاتحاد» جريدة أسبوعية حكومية، ثم تحولت إلى يومية فى ٢٢ ابريل ١٩٧٢[١].

وفى ٧ مايو ١٩٧٠ صدرت (أبوظبى نيوز) بالإنجليزية عن دائرة الإعلام بأبو ظبى، وبعد قيام دولة الإمارات تغير اسمها إلى (يونايتد اميريت نيوز) إلى أن أصبح أخيرا (اميريت نيوز)، وصدرت يومية ابتداء من ٢ديسمبر ١٩٧٥، ومن الصحف الرسمية التى تصدر فى الإمارات: «أخبار البترول والصناعة» (١٩٧٠) ومجلة «الشرطة والأمن العام» (١٩٧٠) و«الإعمار» عن وزارة الأشغال (١٩٧١) و«درع الوطن» مجلة عسكرية (١٩٧١).

وبمناسبة قيام الاتحاد فى ديسمبر ١٩٧١ صدر العدد الأول من «الجريدة الرسمية».

وفى عام ١٩٧٤ صدرت مجلة «الجندى» عسكرية شهرية مصورة عن إدارة الشئون المعنوية والثقافية فى وزارة الدفاع، ومجلة «العدالة» قانونية عن وزارة العدل والشئون الإسلامية، وصدر فى أبو ظبى يوم ٥أكتوبر ١٩٧٤ العدد الأول من «جالف تايمز» أول صحيفة مستقلة باللغة الإنجليزية فى أبو ظبى، وتصدر هذه الصحيفة عن دار النشر ذاتها التى تصدر مجلة «الوثبة» الأسبوعية[٢].

---

(١) نفسه ص ٣٠٨.　(٢) نفسه ص ٢٠٩.

[١٣]

الصحافة فى سلطنة عمان:(١)

فى ٢٥ يوليو ١٩٧٠ وبعد يومين من تولى السلطان قابوس الحكم صدرت أول نشرة باسم «أخبار عمان» بالعربية والانجليزية.

وفى مسقط صدرت صحيفة «الوطن» فى ٢٨يناير ١٩٨١ أسبوعية، وفى يناير ١٩٨٤ تحولت إلى صحيفة يومية فيما عدا يوم الجمعة، صاحب امتيازها ورئيس تحريرها محمد سليمان الطائى.

وتصدر عن دار جريدة عمان للصحافة والنشر: «عمان» صحيفة الدولة الرسمية. صدر أول عدد منها فى ١٨نوفمبر ١٩٧٢، وكانت أسبوعية ثم تحولت فى ١٨ نوفمبر ١٩٧٥ إلى نصف أسبوعية، وفى ١٨نوفمبر ١٩٨٠ تحولت إلى صحيفة يومية يتوفر لها امكانية الطباعة والتحرير والتوزيع داخل عمان، يرأس مجلس إدارتها وتحريرها وزير الإعلام عبدالعزيز محمد الرواس.

وفى ١٥نوفمبر ١٩٨١ تأسست صحيفة «الأوبزرفر» التى تصدر عن دار جريدة عمان للصحافة والنشر باللغة الانجليزية(٢).

وتصدر عن مؤسسة العيسى للطباعة والنشر باللغة الانجليزية أيضاً صحيفة «تايمز أوف عمان»، صدر أول عدد منها فى ٢٣فبراير ١٩٧٥.

---

(١) يذكر أستاذنا د. خليل صابات أنه اعتمد على المعلومات التى استقاها من د. عزة على عزت فى كتابها: الصحافة فى دول الخليج العربى، ومن الدوريات الخليجية، والصحف والمجلات الصادرة فى أقطار الخليج العربى، بغداد ١٩٨٢، وبما أرسله الدكتور عاطف العبد الخبير الإعلامى بسلطنة عمان: المرجع السابق ص ١، ٣.

(٢) د. خليل صابات: السابق ص ٣١١.

وصدرت مجلة «العقيدة» فى أول الأمر شهرية حيث كانت تطبع خارج السلطنة، وتحولت بعد ذلك إلى نصف شهرية منذ يناير ١٩٧٣، ولم تصدر أسبوعية إلا فى الثالث والعشرين من يوليو ١٩٧٦ واختارت يوم السبت موعدا لصدورها الأسبوعى.

والمجلة الأسبوعية الثانية هى مجلة «النهضة» التى صدرت فى أول الأمر نصف شهرية ابتداء من نوفمبر ١٩٧٣.

والمجلة الأسبوعية الثالثة التى تصدر فى عمان هى مجلة «الأضواء» عن دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع باللغة العربية، اقتصادية، سياسية، أسبوعية، تصدر شهريا بصفة مؤقتة صدر عددها الأول فى يناير ١٩٧٤ [١]. كما تصدر مجلة (نزوى) الشهرية، متخصصة فى الأدب والفكر.

---

(١) نفسه ص ٢١٢.

[١٤]

الصحافة فى ليبيا:

ظلت ليبيا بأقاليمها الثلاثة: برقة، وطرابلس، فزان، جزءا من الإمبراطورية العثمانية منذ أواسط القرن السادس عشر إلى أوائل القرن العشرين، عندما غزتها إيطاليا سنة ١٩١١، فدخلت من ذلك الحين فى حوزتها.

وكانت إيطاليا قد هجمت على طرابلس سنة ١٩١١، فهب الليبيون يجاهدون للذود عن وطنهم، واستوحش الإيطاليون، فجعلوا يقتلون الأحرار، ويمثلون بالثوار، فهاج إخوتهم فى الوطن العربى، وسارعوا إلى نجدتهم بالسلاح والمال والمشاركة الحربية فى ميادين القتال. وكان من أثر هذا فى الصحافة العربية مثلا أن جريدة «العلم» التى كان يرأس تحريرها عبدالعزيز جاويش كانت تطالع العرب فى كل صباح بمقال له يثير به العواطف، ويحشد القوى لمطاردة الغاصبين[1] كقوله: **«النجدة النجدة أيها المسلمون، قدموا أموالكم، وتطوعوا بأنفسكم**، فإنكم إذا لم تفعلوا اليوم فليأتين يوم فيه تشردون عن أوطانكم، وتصادرون في أموالكم».

وقوله: **«سلام على أولئك المجاهدين الذين دعاهم وطنهم لرد عادية العدو عنه فأجابوه، واستنفرهم لإغاثته فأغاثوه، وأهاب بهم أن صونوا الذمارة فأطاعوه»**.

سلام علي أولئك الطرابلسيين المقاديم الذين بايعوا وطنهم على أن يريقوا حول حماه آخر قطرة من دمائهم فى سبيل الجهاد دونه، وهبوا فى وجه العدو يصدونه وهم يرتضون إحدى الحسنيين».

---

(١) بدأت مقالاته فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩١١.

وقوله: «أيها المصرى المسلم، أخوك أخوك لو شطت داره، ونأى مزاره.

وهكذا توالت مقالاته ومقالات زملائه فى الصحف المصرية والعربية[1].

وكان للشعر فى هذا الجهاد دوى مسموع وصوت مستجاب.

فقد دعا شوقى إلى السخاء بالمال على (الهلال الأحمر)[2] سنة ١٩١٢ نجدة لجرحى طرابلس ومجاهديها، وأشاد ببطولتهم، وفدائهم وطنهم، وصور آلام المصريين مما حل بإخوتهم، واستبشر بنصرهم القريب:

ومجاهدين هناك عند معسكرٍ ... ومن المهابة بين ألف معسكرِ
موفين للأوطان بين حياضها ... لا يسمحون بها وبين الكوثر
عربٌ على دين الأبوة فى الوغَى ... لا يطعنون القِرْنَ ما لم يُنْذَر
أَلِفُوا مصاحبة السيوف وعُوِّدُوا ... أَخْذَ المعاقل بالقنا المتشَجِّر[3]
يمشون من تحت القذائف نحوها ... لا يسألون عن السعير الممطر
فى أعين البارى وفوق يمينه ... جرحى نجلُّهمُ كجرحى خيبر[4]
من كل ميمون الضِّماد كأنما ... دمُ أهل بدرٍ فيه أو دم حَيْدر[5]
جذلان هينةٌ عليه جراحه ... وجراحه فى قلب كل غَضَنْفَر
ضُمِدتْ بأهداب الجفون وطالما ... ضُمِدَتْ بأعراف الجياد الضُّمَّر[6]
عُوَّاده يتمسَّحون بُردْنه ... كالوفد مسَّح بالحطيم الأطهر[7]

---

(١) عبالعزيز جاويش ٨٨.

(٢) د. أحمد الحوفى: السابق ص ١٦٧ .

(٣) المتشجر: المشتبك.

(٤) البارى: ناحت السهام.

(٥) الحيدر: الأسد والمراد الإمام على، الضماد: عصابة الجرح.

(٦) الجياد: الضمر: الخيل القليلة اللحم، الأعراف: جمع عرف وهو شعر عنق الفرس.

(٧) الردن: أصل الكم. الحطيم: جدار الكعبة أو ما بين الركن وزمزم والمقام.

واستثار شاعر النيل حافظ إبراهيم على إيطاليا[1]، وشنع فى الصحف بوحشية الطليان، وتخير للإثارة عدة حوافز، منها التقتيل والتقييد، والاعتداء على النساء والأيتام، وذبح الشيوخ والعجزة، وإحراق الدور، وارتكاب ما يتنافى مع الحقوق الإنسانية التى أقرها العالم كله:

كبَّلوهم، قتَلوهم، مَثَّلوا   بذوات الخِدْرِ طاحوا باليتامى
ذبحُوا الأشياخ والزَّمْنى ولم   يرحموا طفلا ولم يُبْقوا غلاما
أحرقوا الدور استحلُّوا كل ما   حَرَّمَتْ (لاهاى)فى العدل احتراما[2]

إلى أن يقول:

قد ملأنا البر من أشلائهم   فدعوهم يملأوا الدنيا كلاما
أعلنوا الحرب وأضمرنا لهم   أينما حلوا هلاكا واختراما
فاطمئنى أمم الشرق ولا   تقنَطى اليوم فإن الجَدَّ قاما
إن فى أضلاعنا أفئدة   تَعْشَق المجد وتأبى أن تضاما

وصور أحمد محرم[3] ما أصاب طرابلس من غارة إيطاليا عليها، وعبر عن حزنه بأنه لا يقر لعربى قرار وإخوته يقتلون هناك، ثم أهاب بالمصريين أن يسارعوا إلى نجدة إخوتهم، لأن الله أوجبها عليهم، وحذرهم التوانى، لأن فيه هلاكا لهم جميعاً، فقال:

كيف القرار ونار الحرب تستعرُ   والهول مضطرم البركان مُسْتَعِرُ؟
إيه بنى مصرَ إن الله يَنْدُبُكم   فسارعوا قبل أن تودى بنا الغِيَرُ

وتنشر الصحف المصرية قصيدة لمحمد عبدالمطلب[4] يستنفر فيها قومه أن

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم ٢/ ٦٦.

(٢) يشير إلى مؤتمر لاهاى الذى عقد سنة ١٨٩٩ بدعوة من قيصر الروسيا للقضاء على أسباب الحرب، بتخفيض السلاح، وتحكيم هيئة دولية لحل المشكلات العالمية.

(٣) د. أحمد الحوفى/ السابق ص ٩٨.

(٤) د. أحمد الحوفى/ السابق: ص٦٩

ينهضوا لإغاثة إخوانهم، فقال[1]:

خليلىَّ ما لى إذ تذكرت بَرْقَةً ... بجنبىَّ نيرانُ الأسَى تتلَهَّبُ؟
نعم راعنى من نحو بَرْقَة صارخ ... يُهيب بأنصار الهلال: ألا اركبوا

كما نشرت مجلة الهلال لمصطفى صادق الرافعى قصيدة طويلة[2] فى حرب طرابلس، سخر فى بعض أبياتها سخرية لاذعة منوعة من إيطاليا، وهو موفق فى هذه السخرية، ليدفع عن النفوس العربية ما قد يتسرب إليها من خور أو تهيب، وتوعد الجيش الإيطالى سوء المنقلب، واستثار حماسة العرب ليثأروا لإخوتهم القتلى والجرحى والثكالى واليتامى، منها قوله:

رميتمونا بجند لا ثباتَ لهم ... إلا كما ثبتَتْ للأرجل الأُكَرُ
يا رامى الشُّهْب بالأحجار تحسبها ... كالشهب هيهات ينسى طبعَهُ الحجرُ
خاطوا لأجسامهم من نَقْعنا كفناً ... فإن أسيافهم فى حربها إبرُ
أسطوهم أم كلاب البحر تنبحنا ... أم الضفادع قد ضجت بها الغُدُرُ
لابدَّ من غضبة إن ثار ثائرها ... على الشياطين من جنِّ الفلا ذُعِروا
ثأرُ اليتامى وثأر الشاكلات وثأ ... ر الخِدْر يُنْضَى وثأر العِرْض يُشْتَهَر

غير أن خروج الحلفاء منتصرين فى الحرب العالمية الأولى، قوى مركز الطليان فى ليبيا، فأخذ هؤلاء ولا سيما بعد أن تولى موسولينى الحكم سنة ١٩٢٢ ينفذون خطة منظمة للاستيلاء علي ليبيا، تعرض الأهالى خلالها لحملات من الإبادة، وبالرغم من ذلك، فقد ظل الليبيون يقاومون الطليان مقاومة عنيفة، بقيادة الزعيم المجاهد «عمر المختار» الذى وقع أخيرا فى أسر الطليان، فسجنوه ثم أعدموه شنقا فى ١٦سبتمبر سنة ١٩٣١[3].

---

(١) ديوان عبدالمطلب ٢٥.

(٢) مجلة الهلال فبراير سنة ١٩١٢.

(٣) د. محمد أنيس، د.السيد رجب حراز السابق ص ١٥٢.

ولقد ظل الطليان يحكمون ليبيا إلى وقت قيام الحرب العالمية الثانية، وهى الحرب التى دخلوها إلى جانب ألمانيا فى يونيه سنة ١٩٤٠، فأصبحت ليبيا ميدانا هاما من ميادين هذه الحرب، حتى إذا ما لحقت الهزيمة نهائيا بالطليان والألمان سنة ١٩٤٢، ارتدت قواتهم من ليبيا كلها، وانتهى بذلك احتلال الطليان لتلك المنطقة الهامة من شمال إفريقيا.

وبانتصار الحلفاء وهزيمة دولتى المحور (ألمانيا وإيطاليا) خضعت المنطقة الشمالية من ليبيا (برقة وطرابلس) للانجليز، فى حين خضعت المنطقة الجنوبية (فزان) للفرنسيين، فأسس الانجليز فى كل من برقة وطرابلس إدارة عسكرية «مؤقتة»، منفصلة إحداهما عن الأخرى انفصالا تاما وأنشأ الفرنسيون فى فزان إدارة عسكرية كذلك، فتجزأت ليبيا بسبب إنشاء هذه الإدارات الثلاث إلى ثلاثة أقطار منفصلة بعضها عن بعض.

ونشرت الصحف المصرية قصيدة شوقى فى رثاء الشهيد عمر المختار[1] بطل طرابلس الذى لقى الإيطاليين فى نحو مئتى موقعة وستين، حتى قبضوا عليه وأعدموه شنقاً فى سنة ١٩٣١.

فى هذه القصيدة يصدر شوقى عن مفهوم «الوحدة» الذى يصدر عن وجدان عربى مشترك يستنهض العرب فى كل وقت أن يثأروا لشهيدهم، وأن يقتلوا بجهاده، وأيقن أنهم سيورثون أبناءهم بغضهم للإيطاليين، والدأب على نضالهم حتى يطردوهم من ديارهم. وختم القصيدة بنصائح وجهها إلى الشعب الليبى. من قصيدته قوله:

ركزوا رُفَاتَكَ فى الرمال لواءً   يستنهض الوادى صباح مساءَ
يا ويْحَهم نَصَبُوا مناراً من دم   يُوحى إلى جيل الغد البغضاء
جرح يصيح على المدى وضحيةٌ   تتلمس الحرية الحمراء

(١) الشوقيات ٣/ ١٧ د. أحمد الحوفى/ السابق ص ٢٥٥.

إفـريـقـيـا مَـهْـدُ الأسـود ولحدُهـا ضـجَّـت عـلـيـك أراجـلا ونـسـاء
والمسلمون على اختلاف ديارهم لا يملكون مع المصاب عزاء
والجاهلية من وراء قبورهم يبكون زيد الخيل والفَلْحاء[1]
لبّى قضاء الأرض أمس بمهجة لم يخش إلا للسماء قضاء
وافاه مرفوع الجبين كأنه سقراط جر إلى القُضاة رداء

***

وقد كان الفرنسيون قد أصدروا فى طرابلس سنة ١٨٢٧ صحيفة توزع على القنصليات الأجنبية واختاروا لها اسما عربيا هو «المنقب»، وصدرت صحيفة «طرابلس غرب» مطبوعة على الحجر أول الأمر، إلى أن أدخلت الطباعة بالحروف سنة ١٨٧٠، وظهرت الأعداد الأولى من هذه الصحيفة محررة بالتركية - ثم بالعربية والتركية -[2].

ولم يتح لليبيين إصدار صحف أخرى إلا سنة ١٨٩٧، حين ظهرت مجلة أسبوعية باللغة العربية اسمها «الترقى» سياسية، علمية، ولكن حريتها الزائدة كانت سببا فى إغلاقها، وفى سنة ١٨٩٨ صدرت مجلة (الفنون)[2].

وصدرت صحيفة «الترقى» أسبوعية من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١١ و«العصر الجديد» و«الكشاف» سنة ١٩٠٨ بثلاث لغات: العربية والتركية والفرنسية و«أبو قشة» فى السنة نفسها وكذلك «تعميم حرية» باللغة التركية. أما صحيفة «المرصاد» الأسبوعية فقد صدرت سنة ١٩١٠ سياسية أدبية، وقد نبهت إلى الخطر الإيطالى، وكذلك «الرقيب» التى صدر عددها الأول بالتركية والعربية ثم صدرت بالعربية.

ومنذ ١٩١٢ قام الحكم الإيطالى بإصدار صحيفتين فى طرابلس شبه رسميتين باللغتين الإيطالية والعربية، اسم الصحيفة الأولى «بريد طرابلس»

(١) زيد الخيل: علم على الفارس الذى سماه النبى زيد الخير. القلحاء: لقب لعنترة العبسى.
(٢) د. خليل صابات: السابق ص ٣١٥.

للنخبة الطرابلسية، واسم الصحيفة الثانية «نيوفا ايتاليا» أى إيطاليا الجديدة للإيطاليين المقيمين فى ليبيا، وفي السنة نفسها ظهرت صحيفة إيطالية ا سمها «ليكودى تريبولى» أى صدى طرابلس.

واستطاعت صحيفة «الرقيب» أن تعود إلى الصدور حتى بداية الحرب العالمية الأولى ثم توقفت وعادت إلى الصدور مرة أخرى سنة ١٩١٩ باسم «الرقيب العتيد» ابتداء من أول يونيو ١٩١٩، ولكن صحيفة «اللواء الطرابلسى» لسان حال حزب الإصلاح والتى صدرت فى السنة نفسها، اضطرت إلى التوقف بعد تعطيلها وتغريم صاحبها وسجنه ثم نفيه، ولم تكن صحيفة «الوطن» بأكثر حظا من سابقتها فقد صودرت واعتقل مديرها لأنها أيدت حركة استقلال برقة. وأمام هذا الكبت للحريات لم ير المناضلون بدا من إصدار صحيفة مخطوطة أسموها «البلاغ» هاجموا على صفحاتها مناورات الاستعمار[١].

ومن الصحف التى صدرت ليبيا حتى سقوط النظام الفاشستى صحيفة «الذكرى» الطرابلسية باللغتين العربية والإيطالية. وقد أصدر الإيطاليون ثلاث صحف بالإيطالية، عاشت هى ورصيفاتها العربيات حتى دخول جيوش الحلفاء طرابلس سنة ١٩٤٣[٢].

وأعاد البريطانيون صحيفة «طرابلس الغرب» إلى الحياة وجعلوها يومية، وصدرت فى بنغازى سنة ١٩٤٣ «جريدة بنغازى» التى تحولت إلى «برقة الجديدة» وصدرت صحيفتان يوميتان بالانجليزية.

وأصدر الوطنيون صحفا طالبوا على صفحاتها بالاستقلال التام والحرية، منها «الوطن» فى سنة ١٩٤٦ التى أصدرتها جمعية عمر المختار.

---

(١) د. خليل صابات: السابق ص ٣١٧.
(٢) نفسه ص ٣١٨.

وأعلن استقلال ليبيا فى ٢٤ديسمبر ١٩٥١، وصدر فى تلك الفترة عدد من الصحف العربية عبر بعضها عن رأى حزب المؤتمر القومى.

وغيرت الصحف الحكومية الثلاثة أسماءها فصحيفة «طرابلس الغرب» أصبحت «العلم» وصحيفة «برقة الجديدة» أصبحت «الأمة» والصحيفة الأسبوعية «فزان» أصبحت تسمى «البلاد».

وبعد ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ دخلت الصحافة الليبية عهدا جديدا.

وفى ٧ سبتمبر ١٩٧٢ صدرت «الفجر الجديد» جريدة يومية سياسية عن المؤسسة العامة للصحافة التابعة لوزارة الإعلام، وإلى جانب هذه الصحيفة تصدر الجهاد والرائد. أما الصحف الأسبوعية فهى: «الرأى» و«الأسبوع الثقافى» و«الفاتح»، وتصدر نصف شهرية: «كل الفنون»، و«البيت» و«الأمل» للأطفال، وتوجد مجلتان شهريتان هما: «الثقافة العربية» و«الشورى».

وفى ١٦ ابريل سنة ١٩٧٣ حدد الأخ العقيد معمر القذافى فى زوارة الأهداف الرئيسية للثورة الثقافية التى تهدف إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ومضاعفة الكفاح الأيديولوچى ومحاربة البيروقراطية وتسلح الشعب. . وقد شكلت لجان شعبية فى جميع القطاعات الإدارية والاقتصادية وكذلك فى المراكز المحلية فى أنحاء البلاد.

ويقدم د. أحمد شور راكس بيانا بأسماء الصحف والمجلات التى كانت تصدر فى ليبيا منذ عام ١٩٤٤ إلى ١٩٦٧، على النحو التالى(١):

---

(١) د. أحمد شور راكس: مقدمة فى الصحافة ص٧٥.

الصحيفة	السياسة التحريرية	تاريخ الصدور	مكان الصدور
طرابلس الغرب	جريدة حكومية يومية	١٩٤٤ م	طرابلس
برقة الجديدة	جريدة حكومية يومية	١٩٤٤ م	بنغازى
الزمان	جريدة مستقلة أسبوعية	١٩٥٣ م	بنغازى
الرائد	جريدة مستقلة يومية	١٩٥٦ م	طرابلس
فزان	جريدة حكومية	١٩٥٧ م	سبها
الطليعة	أسبوعية	١٩٥٧ م	طرابلس
العمل	جريدة مستقلة أسبوعية	١٩٥٨ م	بنغازى

صدرت صحيفة طرابلس الغرب (أسبوعية) أيام العهد العثمانى الثانى بين سنة ١٨٦٦ ـ ١٩١١.

الصحيفة	السياسة التحريرية	تاريخ الصدور	مكان الصدور
الرقيب	جريدة مستقلة أسبوعية	١٩٦١ م	بنغازى
الحرية	جريدة مستقلة أسبوعية	١٩٦٤ م	طرابلس
الحقيقة	جريدة مستقلة يومية	١٩٦٤ م	بنغازى
الميدان	جريدة مستقلة تصدر مرتين فى الأسبوع	١٩٦٤ م	طرابلس
الأولمبياد	جريدة مستقلة أسبوعية	١٩٦٦ م	طرابلس
الشعلة	جريدة مستقلة أسبوعية	١٩٦٧ م	بنغازى
الهدف	جريدة مستقلة أسبوعية	١٩٦٧ م	طرابلس

المجلات	السياسة التحريرية	تاريخ الصدور	مكان الصدور
الفلاح	مجلة حكومية شهرية	١٩٤٩ م	طرابلس
الجيش	مجلة حكومية موسمية	١٩٥٧ م	بنغازى
ليبيا الاقتصادية	مجلة حكومية شهرية	١٩٦٠ م	طرابلس
الإذاعة	مجلة حكومية نصف شهرية	١٩٦١ م	طرابلس
الهدى الإسلامى	مجلة حكومية شهرية	١٩٦٢ م	البيضاء
ليبيا الحديثة	مجلة حكومية نصف شهرية	١٩٦٣ م	طرابلس
النفط العربى	مجلة مستقلة شهرية	١٩٦٣ م	طرابلس
المرأة	مجلة حكومية شهرية	١٩٦٤ م	طرابلس
الرواد	مجلة حكومية شهرية	١٩٦٤ م	طرابلس
جيل ورسالة	مجلة كشفية حكومية شهرية	١٩٦٤م	طرابلس
الاقتصاد	مجلة مستقلة نصف شهرية	١٩٦٧م	طرابلس
الإفريقى	مجلة حكومية موسمية	١٩٦٧م	طرابلس
ليبيا الرياضية	مجلة مستقلة شهرية	١٩٦٧م	بنغازى

الصحف التى تحرر باللغتين الانجليزية والإيطالية:

الصحيفة	السياسة التحريرية	تاريخ الصدور	مكان الصدور
الجورنالى دى تريبولى	جريدة مستقلة يومية بالإيطالية	١٩٥٨ م	طرابلس
سيرينايكا ويكلى نيوز	جريدة مستقلة أسبوعية بالانجليزية	١٩٥٩ م	بنغازى
ساندى قبلى	جريدة مستقلة أسبوعية بالانجليزية	١٩٦٠ م	طرابلس
تريبولى ميرور	جريدة مستقلة أسبوعية بالانجليزية	١٩٦٠ م	طرابلس

الصحيفة	السياسة التحريرية	تاريخ الصدور	مكان الصدور
وينزدى ريفيو	جريدة مستقلة اسبوعية بالانجليزية	١٩٦٦ م	طرابلس
ذى ليبيان تايمز	جريدة مستقلة يومية بالانجليزية	١٩٦٧ م	بنغازى
ذى ليبيان مايل	جريدة مستقلة اسبوعية بالانجليزية	١٩٦٧ م	طرابلس
بانوراما ليبيكا	جريدة مستقلة أسبوعية بالإيطالية	١٩٦٧ م	طرابلس

المجلات	السياسة التحريرية	تاريخ الصدور	مكان الصدور
النفط العربى	مجلة مستقلة شهرية بالانجليزية	١٩٦٣ م	طرابلس
ليبيان ريفيو	مجلة حكومية شهرية بالانجليزية	١٩٦٦ م	طرابلس
الاقتصاد الإفريقى	مجلة مستقلة نصف شهرية بالانجليزية	١٩٦٧ م	طرابلس

[١٥]

الصحافة فى تونس:

احتل الفرنسيون تونس عام ١٨٨١، وأرغموا الباى (**محمد الصادق**) على عقد معاهدة «باردو» Bardo فى ١٢ مايو سنة ١٨٨١، وهى المعاهدة التى اعتدت بها فرنسا على استقلال تونس داخليا وخارجيا وجعلتها محمية فرنسية. وفى ٨ يونيه سنة١٨٨٢ عقدت فرنسا مع باى تونس الجديد (**على باى**) معاهدة أخرى عرفت بـ«اتفاقية المرسى»، أتمت بها فرنسا سيطرتها على تونس، فحكمت هذه البلاد حكما مباشراً، وصار المقيم العام الفرنسى فى تونس هو الحاكم المستبد والرئيس الأعلى للإدارة[١].

على أن الشعب التونسى لم يستسلم لهذا الاحتلال الجائر، فأخذ يقاوم الحماية الفرنسية بقوة السلاح، وظهرت مقاومته للفرنسيين منذ أن احتل هؤلاء البلاد وفرضوا حمايتهم عليها، ولما تغلبت القوة الغاشمة على الشعب التونسى، أبى هذا الشعب الاستسلام لرغبة فرنسا، فصار يقاوم الحماية الفرنسية بالوسائل تارة، وبالثورات العنيفة تارة أخرى منتهزاً كل فرصة تمر به لمحاولة التخلص من نير الاستعمار الفرنسى.

وقد نظم المقاومة ضد الفرنسيين بعد الحرب العالمية الأولى، **الحزب الحر الدستورى التونسى** الذى أسسه فى تونس الزعيم **«عبدالعزيز الثعالبى»** سنة١٩١٩ وانتشرت حركة الحزب الدستورى فى جميع أرجاء تونس انتشارا سريعا، حتى غدت قوة شعبيه تحسب لها السلطات حساباً.

وفى أواخر سنة ١٩٣٢ عمدت الحكومة الفرنسية إلى القيام بمحاولة «فَرْنسة»

---

(١) د. محمد أنيس،د. السيد رجب حراز: السابق ص ١٤٩.

عرب المغرب ، ففتحت أبـواب التجنس بالجنسية الفرنسيـة أمامهم واستصدرت من رجال الدين فتوى بأن المتجنّس بالجنسية الفرنسية من المسلمين لا يخرج عن دينـه، ويجوز دفـنه في قبـور المسـلمين، فقامـت الصحف الوطـنية التونـسية تعارض هذه الحركة،وقاطع الشعب المتجنّسين ورفـض مصاهرتهم ومنعهم من دخول المساجد، كما مانع في دفنهم في مقـابر المسلمين، وكان لهذا العمل أثره في فشل محاولة «فرنسة» عرب المغرب.

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية، وأعـلنت الهدنة بين فرنسا والمحور انتهز الزعماء التونسـيون الفرصة وطالبوا باستقلال تـونس، علي أساس أن «وضع» فرنســا الجديد النـاتج عن احتلال جيـوش المحور لها لا يمكـنها من الـدفاع عن تونس، ولكن السلـطات الفرنـسية ركبـت رأسها وألقـت القبض عـلى هؤلاء الزعماء وزجت بهم في السجون[١].

وفي ٩نوفمبر سنة ١٩٤٢ دخلت القوات الألمـانية تونس. وكان يجلس على العرش حينئذ الباي محمد المنصف وكان معروفا تأييده للحـركة الوطنية فتدخل «الباي» لدى السلطات الألمانية مطالبا بإطـلاق سراح المسجونين السياسيين الذين كان الفرنسـيون قد زجوا بهم في السـجون، فأطلق سراحهم فـي أول ديسمبر سنة ١٩٤٢ ولكـن الحلفاء لم يلبثـوا أن انتصروا على قوات المحـور، واحتلت جيوشهم تونس في ٨مايو ١٩٤٣، وعاد الفرنسيون مرة أخرى إلى حكم البلاد واستعمارها.

* * *

وكانت الحكومة التونـسية قد سمحت لأحد التجار الانجليز بـأن يفتح مطبعة في مدينـة تونس وبأن يصدر جـريدة بالعربية والإيـطالية تزود قراءهـا بالأخبار التجارية وبالمعلومات الإحصائية وبخلاصات لما تنشره مطبوعات أخرى فيما عدا الأمور المتعلقة بالسياسة. وقد صدرت هذه الصحيفة عام ١٨٥٩[٢].

(١) نفسه ص ١٥٠.

(٢) د. خليل صابات: السابق ص ٣٢٣.

صدر فى تـونس فى أول يولـيو ١٨٦٠ صحيـفة «الرائد التونسى»، وهى صحيفة رسمية.

وفى سنة ١٨٨٣ قرر الـفرنسيون إصدار جريدة رسـمية باللغة الفـرنسية إلى جانب «الرائد التونسى»[١].

وفى سنة ١٩٣٤ أنشأ الحبيب بورقيبة حزب الدستور الجديد.

وخلال الحرب الـعالمية الثانـية صدرت «اليوم» و«إفريقيـا الفتاة» و«الشباب» وعقب وصول الحلفاء ظهرت صحيفة يومية جديدة اسمها «الأخبار».

ومع عودة السلطة الفرنسية عادت صحف الفرنسيين إلى الصدور، عدا تلك التى انضـم أصحابها إلى حـكومة فيشى. أمـا صحف الحزب الدسـتور الجديد العربية مثل «الكفاح» و«الهلال» فكانت تـوزع سرا، وأصدر محمد مزالى[٢] مجلة «الفكر» عام ١٩٥٥، وهكـذا دخلت الصحـافة الوطنـية مرحلة انـتقال انتهت بإعلان الاستقلال فى ٢٠ مارس ١٩٥٦[٣].

وكان الحزب الدستورى الجـديد قد استأنف منذ سنة ١٩٥٥ إصـدار صحيفته العربية «العمل» وصحيفته الفرنسية «لاكسيون» أى العمل أيضـاً، وقد اشترك فى تحريرها الحبيب بورقيبة والمصمودى. وبعد أن تحول الحزب الحر الدستورى فى ١٩٦٤ إلى الحـزب الاشتراكى الدسـتورى ركزت الصحـف التونسيـة على مشكلات التنمية[٤].

ويلغ عدد الصحف اليومية فى تونس عام ١٩٦٩ أربع صحف.

(١) يوسف باخوس، راجع يوسف أسـعد داغر، قاموس الصحافة اللبنانية ١٨٥٨ ـ ١٩٧، المكتبة الشرقية ١٩٧٨ ص٢٦٢.

(٢) د. خليل صابات: السابق ص ٣٢٨.

(٣) نفسه ص ٣٢٩.

(٤) نفسه ص٣٢٢.

وفـى ٢٠ مارس ١٩٨١ صـدرت جريـدة «المنار» وقام علـى إدارتها السـيد الباهى.

وفى مارس (١٩٨٤) عـادت إلى الصدور مجلـة «الشباب» بعـد توقف دام أربعة أعوام، وفى ١٤ابريل عادت إلـى الصدور صحيفة «الطريق الجديد» بعد إيقافها منذ أكتوبر سنة ١٩٨٣.

وفى عـام ١٩٨٥ أسس الحبيب شـيخ روحة صحيـفة «الصباح الأسبوعى» وتصدر يـوم الاثنين من كل أسبـوع عن الشركة الـتونسية لـلصحافة والطـباعة والنـشر والتـوزيع والإعلان، وهى صـحيفـة إخباريـة جامعة رئـيس تحريـرها عبدالسلام الحاج قاسم[1].

---

(١) نفس المرجع ص ٣١٣.

[١٦]

الصحافة في الجزائر

غزت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠، إلا أنها لم تتمكن من إخضاعها والسيطرة عليها إلا فى سنة ١٨٤٧، وبالرغم من ذلك لم يستسلم الجزائريون للاستعمار الفرنسى، بل قاوموه مقاومة عنيفة. وقد شهد القرن التاسع عشر والعشرين انتفاضات عديدة للشعب الجزائرى ضد فرنسا، التى أقامت في الجزائر حكما جائرا مستبدا، كان من نتيجته أن ظل القلق والثورة بخيمان على الجزائر بالرغم من أساليب القمع والعسف التى اتبعتها فرنسا في حكمها لها.

ولقد حاولت فرنسا منذ نزولها فى الجزائر أن تثبت حكمها فى هذه البلاد وتدعمه بمجموعة من التشريعات القانونية التى تبيح فى نظرها إلحاق الجزائر بفرنسا: فأصدرت فى يوليو أمرا باعتبار الجزائر إحدى «الممتلكات» الفرنسية، وتعيين حاكم عسكرى لها تحت سلطة وزير الحربية الفرنسى مباشرة. وبعد حوالى أربعة عشر عاما، رأت الحكومة الفرنسية أن تتبع فى الجزائر سياسة عرفت «بالادماج» **Assimilation** (أى إدماج الجزائر فى فرنسا)، فأصدرت فى ٤ مارس سنة ١٨٤٨ قانونا باعتبار الجزائر مكملا لفرنسا. وبذلك صارت الجزائر ـ بمقتضى هذا القانون ـ أرضا فرنسية تسرى عليها قوانين الدولة التى يضعها البرلمان الفرنسى(١).

وعمدت الحكومة الفرنسية إلى تشجيع أهالى الجزائر على اختلاف طبقاتهم وديانتهم على التجنس بالجنسية الفرنسية فأصدر مجلس الشيوخ الفرنسى فى١٤يوليو ١٨٦٥ قراراً ينصّ على اعتبار المسلمين الجزائريين فرنسيين، بشرط

---

(١) د. محمد أنيس، د. السيد رجب حراز: المرجع السابق ص١٤٤.

أن يخضعوا لأحكام القانون الفرنسي. غير أن معظم المسلمين رفضوا هذا القرار وتمسكوا بالتعامل بأحكام الشريعة الإسلامية، ولم يقبله منهم سوى عدد قليل. وكذلك أعرض الجزائريون عن طلب التمتع بحقوق «المواطنة» الفرنسية عندما عرضته عليهم حكومة باريس سنة١٩١٩[١] .

وقد أدت معارضة الجزائريين لهذه العروض الفرنسية إلى فشل سياسة «الادماج» التي حاولت فرنسا اتباعها في الجزائر، فاضطرت الحكومة الفرنسية إلى اتباع سياسة أخرى أطلق عليها «المشاركة» Assimilation وهي السياسة التي قصد بها المحافظة على «الوضع الإسلامي» للجزائريين المسلمين، مع تمتع هؤلاء بحقوق الجنسية الفرنسية. فأصدر البرلمان الفرنسي في ٧مارس سنة ١٩٤٤قانونا يبيح للمسلمين الجزائريين التمتع بحقوق المواطنين الفرنسيين مع احتفاظهم «المسلمين» بوضعهم الإسلامي، أي السماح لهم بالتعامل وفق الشريعة الإسلامية، ولكن الجزائريين المسلمين رفضوا هذا القانون أو بالأحرى سياسة «المشاركة» كما رفضوا من قبل سياسة «الإدماج».

ولم تلبث الحكومة الفرنسية أن أصدرت في ٢٠سبتمبر١٩٤٧ قاونا اعتبرت الجزائر بموجبه مجموعة «عمالات (ولايات) فرنسية تتمتع بشخصيتها المدنية وباستقلال مالي وإدارة خاصة». ونص هذا القانون كذلك على أن «يمارس الحاكم العام السلطة التنفيذية، بينما يمارس السلطة التشريعية مجلس حكومي يتألف من ستة أعضاء يعين الحاكم العام ثلاثة منهم ويضاف إليهم رئيس ونائب رئيس ورئيس للمالية». ونص القانون أيضا على أن «يقام مجلس نواب جزائري يتألف من مائة وعشرين عضوا نصفهم من المواطنين الجزائريين والنصف الآخر من الفرنسيين المستوطنين في الجزائر. وهم ينتخبون انتخابا عاما وفي دورتين بالاقتراع السري.

ولكن الشعب الجزائري لم يترك فرنسا تفعل ببلاده ما تريد، فأعلن في

(١) د. محمد أنيس، ود. السيد رجب حراز: السابق ص١٤٤.

نوفمبر سنة ١٩٥٤ ثورته على الاستعمار الفرنسي، مناديا بتحرير بلاده واستقلالها، وقامت جبهة التحرير الوطني الجزائرية، وتمكنت من السيطرة على البلاد وإقامة إدارة محلية تشرف على الأعمال الحربية والمدنية في ربوع الجزائر. وفي ٦فبراير سنة ١٩٥٦أعلن الوفد الجزائري لجبهة التحرير الوطني الشروط التي توافق الجبهة بموجبها على تسوية المشكلة الجزائرية، وهي(١):

أولا: اعتراف الحكومة الفرنسية بمبدأ استقلال الجزائر.

ثانيا: إقامة حكومة جزائرية لوضع أسس العلاقات بين الجزائر وفرنسا.

ثالثا: إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين ووقف الإجراءات القضائية ضد الوطنيين وعودة المبعدين.

ولكن الحكومة الفرنسية رفضت الموافقة على هذه الشروط، وراحت تحارب الشعب الجزائري محاربة لا هوادة فيهالم تكتف في هذه الحرب بقوات جيوشها المحلية، بل سحبت فرقا من قواتها في حلف شمال الأطلنطي وأرسلتها إلى الجزائر لمحاربة الوطنيين، ومحاولة سحق ثورتهم الباسلة. واتسمت العمليات الحربية الفرنسية في الجزائر بطابع التخريب الشامل والإبادة الجماعية، وبقصف القرى بالمدافع في المناطق التي شملتها الثورة.

وتصور صحف الوطن العربي موقف الدول العربية في مواجهة فظائع فرنسا في الجزائر، فتقدمت حكومة المملكة العربية السعودية في ١٤يونيو سنة ١٩٥٤ إلى جامعةالدول العربية مبدية استعدادها لعرض قضية الجزائر على الأمم المتحدة، وفي ١٣نوفمبر سنة ١٩٥٤ نشرت الصحف بيان جامعة الدول العربية عن موقفها من ثورة الجزائر جاء فيه أن «**الأمة العربية في أقطارها القريبة والمتباعدة كلٌ لا يتجزأ، وأن حبس الحرية عن الشعوب يتنافى مع مبادىء**

---

(١) نفس المرجع ص ١٤٦.

عبدالعزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري ؛ بيروت: دار الجيل ص١٩٠.

الحق والعدل. وقد أعلن الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية، كما سبق الرئيس ويلسون أن أعلن ذلك أثناء الحرب العالمية الأولى».

تضمن البيان الذى أذاعه رؤساء حكومات مصر والهند ويوغسلافيا فى ٢١يوليو سنة ١٩٥٦ عقب انتهاء محادثات بريونى، نداء إلى فرنسا لإيجاد حل عادل سلمى لمشكلة الجزائر، وقد جاء فى هذا البيان أنه «نظرا لإيمان رؤساء الحكومات الثلاث بأن السيطرة الاستعمارية غير مرغوب فيها إطلاقا، فضلا عما يترتب عليها من أضرار للحاكمين والمحكومين معا، فإنهم يرون من واجبهم التعبير عن عطفهم التام على رغبة شعب الجزائر فى الحرية، وهم يدركون أن فى الجزائر عددا كبيرا من الأشخاص الذين هم من أصل أوروبى، والذين تجب حماية مصالحهم، على أنه يجب ألا يقف هذا فى طريق الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الجزائرى، وهم يؤيدون كل الجهود والمفاوضات التى تهدف إلى إيجاد حل عادل سلمى لوقف أعمال العنف، ويجب أن يؤدى وقف إطلاق النار والمفاوضات بين الأطراف التى يعنيها الأمر إلى تسوية سلمية للمشكلة». غير أن فرنسا لم تستجب لهذا النداء ومضت تعزز قوتها فى الجزائر بغية القضاء على ثورتها الوطنية، الأمر الذى جعل ضروريا عرض قضية الجزائرعلى جمعية الأمم المتحدة، وقد وافقت هذه فى ١٥فبراير سنة ١٩٥٧ على مشروع قرار ينص على إيجاد «حل سلمى ديمقراطى عادل عن طريق الوسائل الملائمة التى تتفق ومبادىء ميثاق الأمم المتحدة». وفى ١٩سبتمبر سنة ١٩٥٨ أعلن فى القاهرة باسم الشعب الجزائرى تأليف حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية تكون مسئولة أمام المجلس الوطنى للثورة الجزائرية(١).

* * *

كانت أول صحيفة تصدر فى الجزائر هى stafette D'Algerie استافيت دالجيرى ومعناها بالعربية «الساعى الجزائرى». صدر العدد الأول فى أول يوليو ١٨٣٠.

---

(١) نفسه ص١٤٨.

ثم صدرت صحيفة Le Moniteur Algerien أى «الرائد الجزائرى» التى ظهر عددها الأول فى ٢٧ يناير ١٨٣٢، وهى صحيفة رسمية تنشر قرارات الجيش المحتل وأوامره وتصدر أسبوعية فى أربع صفحات.

وفى ١٨٣٩ صدرت صحيفة أسبوعية باللغة الفرنسية اتخذت بعد ذلك اسما عربيا هو «الأخبار»، وقد حظرت السلطات الفرنسية فى تلك الفترة الكلام عن الحرب أو عن السياسة أو عن الإدارة الحكومية(١).

ويظهرنا تاريخ الصحافة في الجزائر على حكومة الاحتلال وقد أصدرت فى سنة ١٨٤٧ صحيفة شبه رسمية بلغتين تشمل طبعة مختصرة باللغة العربية، تحت مسمى: «المبشر» بالعربية و«لوميركور» بالفرنسية، وظلت «المبشر» الصحيفة العربية شبه الوحيدة فى الجزائر حتى نهاية القرن التاسع عشر.

وما لبثت صحيفة «كوكب إفريقيا» أن أصدرها جزائرى سنة ١٩٠٧ إلى أن توقفت سنة ١٩١٤.

وقد أصدر حزب الشعب الجزائرى (١٩٣٧) صحيفة «الشعب» بالعربية و«البرلمان الجزائرى» بالفرنسية.

ونادت صحيفة «ذو الفقار» قبل الحرب العالمية الأولى وصحيفة «الإقدام» بعد هذه الحرب بالعمل على إنهاض الشعب الجزائرى والدفاع عن مصالح الوطنيين والمسلمين الفرنسيين فى الجزائر وكانت الصحيفة الثانية تصدر بالفرنسية مع صفحتين باللغة العربية مختلفتى المحتوى، وقد توقفت «الإقدام» سنة ١٩٢٣ وحلت محلها «التقدم» التى كانت تحرر باللغة الفرنسية إلى أن توقفت عن الصدور سنة١٩٣١.

ومن أهم الصحف العربية التى صدرت في العشرينات صحيفة «وادى ميزاب» (١٩٢٦)(٢) و(المنتقد) أول صحيفة يصدرها عبدالحميد بن باديس

(١) الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، الجزائر الوطنية للنشر والتوزيع ١٩٧١.

(٢) الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة فى الجزائر، الجزء السادس، الصحافة العربية فى الجزائر بين الحربين ١٩٢٠ ــ ١٩٤٠، القاهرة ١٩٧٧، ص٩ وما بعدها.

العلامة الجزائرى وأبو الصحافة الجزائرية الحديثة، وقد ظهر منها ثمانية عشر عددا، وحل محلها «الشهاب» (١٩٢٥).

وابتداء من سنة ١٩٣١ أصبح علماء المسلمين في الجزائر هم قادة الرأى العام الجزائرى بفضل صحف أصدروها لهذا الغرض منها «الثبات» و«الشريعة»، وقد أوقفتها الحكومة إداريا سنة ١٩٣٣ وسنة ١٩٣٤ على التوالى، وكان الوطنيون الجزائريون يصدرون أغلب صحفهم باللغة الفرنسية ليتفادوا قسوة القانون، ذلك أن الصحف المحررة بالفرنسية كانت تخضع للقانون العام لا للتشريع الخاص بالوطنيين[١].

كما كانت هناك صحف محايدة كصحيفة «النجاح» التى صدرت فى قسنطينة سنة ١٩٢٠.

وبمقتضى قانون ٢٨أغسطس ١٩٣٩ عطلت السلطات الفرنسية جريدة «البصائر» التى كان يحررها الشيخ محمد بشير الإبراهيمى، وكان هذا القانون يمنح «الحق للسلطات الفرنسية في مراقبة جميع المطبوعات، وحق وقف أو منع المطبوعات، وكان شعار هذه الصحيفة: «العروبة والإسلام»[٢].

يقول د. عبدالملك مرتاض[٣]: ولم يكن هناك بدّ لكل هيئة دينية أو إصلاحية أو سياسية أو صوفية، من إصدار جريدتها الخاصة بها، وأحيانا جرائد متعددة في وقت واحد، للتعبير عن آرائها في القضايا التى تعنيها، فكان ينشأ عن ظهور هذه الجرائد، كتاب للمقالة بأنواعها المختلفة.

ونحسب أن هذه الفترة أزهى فترة إطلاقا، عرفتها الجزائرطوال عهد

(١) نفسه ص ٢٤٢. د. خليل صابات: السابق ص٣٤٢.
(٢) خالد محمد نعيم، الشيخ محمد بشير الإبراهيمى، مجلة اليقظة العربية، السنة الخامسة، العدد الأول، يناير ١٩٨٩، ص ٦٠ وما بعدها.
(٣) د. عبدالله مرتاض: النثر الأدبى في الجزائر، ص٨٦.

الاحتلال الفرنسى، وقد أطلقنا هذا الحكم هنا، لما استأثرت به هذه الفترة من كتاب ممتازين، أثروا الحركة الأدبية،وفن المقالة بوجه خاص، بما كانوا يملكون من مواهب وعبقريات، فلقد أتيح لهذه الفترة أن تعرف طبقة ممتازة من كتاب المقالة الأدبية، لم تستطع العقود الثلاثة الأولى من هذا القرن فى الجزائر أن تظفر بمثلها، فقد كانت هذه الطبقة تصطنع لغة نقية فصيحة، وأحيانا جزلة قوية، كما كانت تستخدم أسلوبا ناضرا أنيقا رشيقا. وكانت صحف الاتجاه الإصلاحى خاصة، لا تنشر من المقالات إلا ما استوت فيها عربية قائمة على احترام القواعد النحوية، مستكملة لأسباب الفصاحة(١).

إنها الفترة التى عرفت فيها المقالة الأدبية، ابن باديس، ومحمدا البشير الإبراهيمى، ومحمدا السعيد الزاهرى، وأحمد المدنى، ومحمدا العابد الجلالى، وباعزيز بن عمر، وأبا يعلى الزواوى، وفرحات الدراجى، والطيب العقبى، وأبا اليقظان، وأحمد بن ذياب، وأحمد رضا حوحو، وسواهم ممن انتعشت المقالة الأدبية بفعل أقلامهم، ونتق قرائحهم، وبعد همهم فى إحياء العربية وبعث الأدب فى هذه الربوع.

ثم إنها الفترة التى عرفت أرقى الصحف العربية(٢) وأشهرها وأبعدها تأثيرا، وأكثرها وأشدها سلطانا على نفوس الناس فى «الشهاب» و«البصائر» مثلا كانتا تحييان فيها، وهذه أحد الدلائل فيما يرى د. مرتاض فما كان من الصحف والمجلات، فى الجزائر، قبل ظهور هاتين الدوريتين، لم يكن يملأ عين الأدب جمالا، ولا يقرى أذنه فنا وكمالا.

وفى بداية هذه الفترة أخذ قراء الصحف العربية يتكاثرون رويدا رويدا فوثب عددهم من ثمانية آلاف قارىء فى الشهر خلال سنة أربع عشرة وتسعمائة

---

(١) نفسه ص ٨٦.

(٢) يريد د. مرتاضى «الصحف العربية»: الجرائد الوطنية التى كانت ناطقة بالعربية السابق ص٨٧.

وألف، إلى أربعة وثمانين ألفا ومائة في الشهر، خلال سنة ثلاثة وتسعمائة وألف[١] ولا سواء عهد فيه أربعة عشر ألف قارىء، وعهد آخر فيه قرابة مائتي ألف من القراء. والبون الشاسع بين الرقمين، يدل على أن عدد القراء كان في تكاثر وارتفاع، وكان هذا التكاثر أثرا من آثار هذه الصحافة وما كانت تنشره من مقالات أدبية وإصلاحية ذات تأثير بعيد».

إلى أن يقول د. مرتاض: «ولما كانت الصحف العربية إنما أنشأتها الأحزاب الوطنية، والهيئات الإصلاحية، والصوفية، والدينية فى الجزائر، من أجل أن تعبر عن آرائها، وترد على هجومات خصومها، فإن وجود هذه الصحف نفسها، تنشأ عنه مالم يكن من نشوئه بدّ، وهو وجود حركة أدبية معينة. ونريد بالحركة الأدبية المعينة هنا، إلى «المقالة الأدبية» بالذات،لأن طبيعة الصحف لا تحتمل أن تنشر فيها المجلدات الضخام، أو الأبحاث المعمقة، والموضوعات الأدبية الدسمة، وإنما تحتمل مقالات أدبية من جنس معين، وفى إطار معين، يكون الجانب الثقافى المبسط، فيها، أبرز من الجانب الأكاديمى المعمق.

وقد قدر لهذه الفترة، أن تعرف رجالات مفكرين، وكتابا ملهمين، يعدّ بعضهم فى طليعة كتاب العربية في العصر الحديث، وفى الرعيل الأول من شيوخها المبرزين، كالشيخ محمد البشير الإبراهيمى الذى ملأ الجزائر بمقالاته الأدبية ذات الأسلوب الأنيق[٢].

«فكان منتظرا، والحال هذه، أن تنتعش المقالة الأدبية في الجزائر، وتتعلق بألوان من التطور، وأسباب من الرقى الذى دارجها حتى أفضى بها إلى منزلة الازدهار، فقد كان الكتاب فى هذه الفترة، ينفعلون بالبراكين المشحونة بالحمم. فما هو إلا أن يجيش فى أنفسهم شيء من الأشياء ذات البال، أو يعتلج فى

(١) نفسه ص ٨٩.

(٢) نفسه ص ٨٨.

صدورهم أمر من الأمور الجسام، وإذا أقلامهم تتحرك سيالة ماضية لا تلوى على شيء حتى تستكمل المقالة المدبجة أسبابها.

«لقد كان الكتاب الإصلاحيون والتقدميون خلال هذه الفترة، ملتزمين بالقضايا الوطنية أشد الالتزام، بحيث كنت تراهم يتحمسون لكل ما من شأنه أن يكون له صلة بالحياة العامة علي اختلافها، فتجدهم يكتبون عنه ويتحاورون حوله. ربما كان حوارهم حوله يطول أشهرا معدودات، كما حدث للمقالة الأدبية التى نشرها **عبدالوهاب بن منصور** حول الركود الأدبى: بعنوان **«ما لهم لا ينطقون»** فقد احتدم النقاش حول هذه المقالة واستمر شهورا طويلة، وأسال أقلاما كثيرة كانت من قبل جامدة وحرّك نفوسا كثيرة كانت خامدة، وبلور مفاهيم كانت غامضة[1]».

وصدرت عدة صحف جزائرية فى المنفى، وبين صفوف جبهة التحرير الوطنية. وفى مقدمة هذه الصحف: **«المقاومة الجزائرية»** التى حل محلها صحيفة **«المجاهد»**[2] التى بدأت تطبع فى حى القصبة بمدينة الجزائر فى مايو ١٩٥٦ ثم اضطرت إلي الهجرة إلى تونس، وقد نشرت بلاغات جبهة التحرير ومقالات سياسية، وكانت تصدر بالفرنسية، أما الطبعة العربية فقد صدرت سنة ١٩٥٧، وابتداء من شهر مايو ١٩٦٢ وزعت **«المجاهد»** فى قسنطينة وفي شهر يونيو أصبحت تباع فى كل مكان فى الجزائر، وإلى جانب **«المجاهد»** ظهرت صحيفة **«لوفربيه الجيريان»** (١٩٥٦) أى العامل الجزائرى، بالفرنسية وكانت تطبع فى تونس.

---

(١) نفسه ص ٨٩.

(٢) د. عواطف عبدالرحمن، الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية ١٩٥٤ - ١٩٦٢، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٨ ص٥٥ وما بعدها.

ولما تم تحرير الجزائر فى أول يوليو ١٩٦٢ استمرت «المجاهد» الفرنسية تصدر حتى اليوم.

وصدرت «الشعب» يومية باللغة الفرنسية فى ١٩سبتمبر ١٩٦٢ و«الشعب» باللغة العربية فى ١١ ديسمبر١٩٦٢، وقد طبعت كل هذه الصحف في الجزائر العاصمة.

وتعتبر سنة ١٩٦٣ السنة التى أقيمت فيها مؤسسات جديدة والسنة التى تحولت الصحف فيها إلى صحف جزائرية، فقد اختفت صحف المستوطنين الفرنسيين أو أممت فى سبتمبر من تلك السنة وحلت محلها صحف جزائرية جديدة[1].

وفى ٣يناير ١٩٧٢ صدرت صحيفة جديدة باللغة العربية تحمل اسم «نصر» في مدينة قسنطينة، وكانت هذه الصحيفة تصدر في السابق باللغة الفرنسية وتضم فى الوقت نفسه صفحتين باللغة العربية.

(١) د. خليل صابات: السابق ص٢٤٥.

[١٧]

الصحافة فى المغرب

ظلت مراكش دولة مستقلة حتى أواخر سنة ١٩١٩، حينما قامت الجيوش الفرنسية والأسبانية بغزوها، فنزلت الجيوش الأسبانية على الساحل الشمالى، في حين زحفت الجيوش الفرنسية على مدينة فاس عاصمة البلاد واحتلتها، وأرغمت السلطان فى ٣٠مارس ١٩٢٠، على توقيع معاهدة الحماية، وقسمت مراكش إلى منطقتين فرنسية وأسبانية، والاعتراف بحياد منيطقة طنجة ودوليتها[١].

على أن فرنسا لم تستطع إخضاع مراكش لسيادتها نهائيا إلا سنة ١٩٣٥ وفى هذه المدة الطويلة، قامت فى البلاد ضد الاستعمار الأجنبى (الفرنسى والأسبانى) ثورات عديدة، كان من أبرزها ثورة الريف أو الحرب الريفية (فى شمال مراكش)، وهى التي قادها بين سنتى ١٩٢٤، ١٩٢٧ الأمير عبدالكريم الخطابى زعيم قبيلة بنى ورياغل أكبر قبائل شمال مراكش، ضد أسبانيا أولا ثم ضد فرنسا ثانيا، وفى هذه الحروب أوقع الريفيون بالأسبان، والفرنسيين؛ هزائم كثيرة، إلا أنها انتهت بتسليم مجاهدى الريف، ونفت الحكومة الفرنسية الأمير عبدالكريم ورجاله، فظل منفيا حتى سنة١٩٤٧.

وقد سيطرت فرنسا منذ أعلنت حمايتها علي مراكش على مقاليد الأمور فيها، فمع أنها أبقت الحكومة الوطنية (أو حكومة المخزن) التى يرأسها السلطان (الملك)، إلا أنها جردتها من سلطاتها الفعلية، وأقامت إلى جانبها إمارة (إقامة) فرنسية يتولى رآستها مقيم فرنسى عام، صارت فى الواقع تمثل حكومة مراكش

---

(١) د. محمد أنيس ود. السيد رجب حراز: السابق ص١٤٠.

الفعلية. غير أنه على عكس ما فعلت فرنسا في منطقة حمايتها (مراكش الفرنسية) من حيث إبقائها على حكومة المخزن وتجريدها من سلطانها، فإن أسبانيا لجأت فى منطقة حمايتها (مراكش الأسبانية) إلى إنشاء حكومة مركزية جديدة وضعت على رأسها ممثلا للملك مراكش هو خليفته في مدينة تطوان، وجعلت من هذه المدينة عاصمة جديدة.

حاول الفرنسيون منذ أن فرضوا حمايتهم على مراكش اتباع سياسة تستهدف التفرقة بين عنصرى الأمة المراكشية ــ العرب والبربر ــ بقصد خلق الانقسام بينهم حتى يسهل على السلطات المستعمرة حكم البلاد، يراود الحكومة الفرنسية الأمل فى إمكان «فرنسة» مراكش بالاعتماد علي البربر فبذلت جهودا كبيرة لإحياء اللغة البربرية وتدوينها ووضع قواعد نحوية لها.

وعمد الفرنسيون فى نفس الوقت إلي تشجيع قبائل البربر على تعلم اللغة الفرنسية بدلا من اللغة العربية وأنشأ لهم محاكم خاصة عرفت بمحاكم الجماعة، وهى محاكم تستمد أحكامها من العرف والتقاليد البربرية القديمة بدلا من الشريعة الإسلامية[1].

ولقد قامت في مراكش منذ سنة ١٩٣٠ حركة وطنية سليمة تهدف إلى مقاومة سياسة فرنسا الاستعمارية ولاسيما «سياسة البربر» وتألف حزبان سياسيان هما «الحزب الوطنى» برئاسة علال الفاسى و«حزب الحركة القومية» برئاسة محمد حسن أوزانى. وقام في مراكش الأسبانية حزب سياسى آخر برئاسة عبدالخالق الطريس هو «حزب الإصلاح»، وقبل انتهاء الحرب العالمية الثانية تألف سنة ١٩٤٤ فى مراكش الفرنسية «حزب الاستقلال» برئاسة أحمد بلا فريج، الذى نادى بالاستقلال وقيام الحياة النيابية في مراكش.

ولقد كان لتأييد القصر فى مراكش للحركة الوطنية فى البلاد، أثر كبير في

(١) نفسه ص ١٤٢.

تقوية هـذه الحركة، وبث الشعـور القومى فى نفـوس المراكشيين، ومنـذ نهاية الحرب العالمية الثانية صار السلطان محمد الخامس سلطان مراكش محور الحركة الوطنية فى البلاد. ولاشك فى أن تأييد السلطـان للحركة الوطنية ومناصرته لها سبب غضـب فرنسا ونقمـتها عليه. وفـى يناير سنة ١٩٥١ تـأزمت الأمور بين السـلطان والمقـيم الفـرنسى العـام (الجنرال جـوان) عندمـا طلب الأخيـر من السلطان أن يعزل وزارته وأن يتبرأ مـن حزب الاستقلال، وأن يطرد بعض كبار الموظفين المـتصلين بالحركـة الوطنية، وإلا فعلـيه التنازل عن الـعرش، واضطر السلطان من أجل تخفيف حدة التوتر إلى قـبول بعض الطلبات الفرنسية، فعزل الوزارة و«شذب» حـزب الاستقلال. بيـد أن المقيم الـفرنسى الجديـد (الجنرال جيوم) لم يلبث أن أمـر جحافل الجيش الفرنسى فى ديسـمبر سنة ١٩٥٢، بأن تكـتسح البـلاد وأن تعيث فـيها قتـلا وتذبيـحا واتهم حـزب الاستقلال بـإثارة المشـاغب، وألقى الـقبض علـى زعمائه، وصـدرت الأوامر بحل هـذا الحزب وبتعطيل صحفه ومجلاته ونواديه(١).

وهكذا خلا الميـدان الداخلى من حزب الاستقلال، وبقـى السـلطان محمد الخامس يواجه الاستعمار الفرنسى بمفرده، ولجأ الفرنسيون إلى تحريض عدد من الباشوات الإقطاعيين وعلى رأسهـم «تهاهى الجلاوى» ضد السلطان، وأوعزوا إليهـم أن يطالبوا الحـكومة الفرنـسية بعزلـه، ونفذت السلـطات الفرنسـية هذه المؤامرة، وقامت فى ٢٠أغسطس ١٩٥٤ بنفى السلطان وأفراد أسرته فى جزيرة كورسيكا أولا ثم فى جيرة مدغشقر.

* * *

وكان الأسبـان أول من أصدر صحيفـة في المغرب، ففـى أول مايو ١٨٢٠ صدرت صحيفة «ال ليبرال أفريكانو» أى الإفريقى الحر باللغة الأسبانية، وكانت الصحـيفة لسـان حال اللاجئـين السياسـيين الأسبان، وصـدر بعد ذلك بـعض

(١) نفسه ص ١٤٢.

الصحف الأسبانية الأخرى ثم تبعتها صحيفة باللغة الانجليزية وأخرى بالفرنسية، وكان أغلب هذه الصحف يصدر فى طنجة عاصمة المغرب السياسية فى ذلك الوقت(١).

وكانت هناك محاولة لإصدار صحيفة باللغة العربية في القرن التاسع عشر تتمثل فى صحيفة «المغرب» التى أصدرها فى ربيع ١٨٨٩ محرر صحيفة «تايمز أوف مرووكو» ولكن المحاولة فشلت لمقاطعة المفوضيات لهذه الصحيفة.

وفى بداية القرن التاسع عشر، شجعت السياسة الجديدة التى عرفت بالتغلغل السلمى، مختلف الصحف الأوروبية على تخصيص صحفة باللغة العربية للقراء المغاربة، وبدأ بعد ذلك إصدار صحف مكتوبة باللغة العربية. فقد أصدر الفرنسيون صحيفة «السعادة» سنة ١٩٠٥ كما ظهرت «الحق» سنة ١٩١١ لتهاجم الفرنسيين.

غير أن أهل المغرب اليوم لا يعترفون إلا «بلسان المغرب»(٢) كأول صحيفة مغربية وطنية، سنة ١٩٠٧.

وعندما أعلنت فرنسا الحماية على المغرب فى ٣٠مارس ١٩١٢ بدأت الصحف الفرنسية تتفوق على منافساتها الأوروبيات في المنطقة الجنوبية وتفوقت الصحف الأسبانية فى المنطقة الشمالية، بعد إعلان أسبانيا حمايتها عليها فى ٢٧نوفمبر ١٩١٢(٣).

وأنشأت دار المندوب السامى كذلك: (الجريدة الرسمية المغربية) بالفرنسية ثم بالعربية، فى أول أبريل ١٩١٣.

ويذهب د. خليل صابات إلى أن الصحافة الفرنسية الإخبارية الكبرى

(١) د.. خليل صابات: السابق ص٣٥٥

(٢) صدرت هذه الصحيفة فى طنجة بالمغرب فى ٨فبراير١٩٠٧ صاحباها فرج الله وأرثور نمور (راجع قاموس الصحافة العربية ليوسف أسعد داغر، بيروت ١٩٨٧، ص ٢٣٤).

(٣) د. خليل صابات: السابق ص ٣٥٦.

انطلقت ابتداء من سنة ١٩٢٠، وقد اجتذبت المغرب، بفضل التحول الاقتصادى الذى حدث فيها، رؤوس الأموال، وكانت البورجوازية الغنية لا يهمها من الصحف إلا قراءة الترقيات والإعلانات وأخبار المشروعات الاقتصادية التي كانت تخدم مصالحها(١).

وكان الوطنيون يكتبون فى الصحف الإصلاحية التونسية أو المشرقية، ثم حاولوا أن يصدروا فى فاس صحيفة سرية اسمها **«أم البنين»** وكونوا بعد ذلك لجنة عمل وطنية أرسلت بعض أعضائها إلى باريس حيث أنشأوا سنة ١٩٣٢ مجلة **«المغرب»** بالفرنسية(٢).

وفى سنة ١٩٣٣ صدرت صحيفة أسبوعية فى مدينة فاس باسم **«لاكسيون دى بوبل»** أى **عمل الشعب**، وكانت هذه الصحيفة لسان لجنة العمل الوطنية فى الداخل.

وصدرت صحيفة **«الحياة»** ومجلة **«السلام»** سنة ١٩٣٣ و**«لاخوجا فيردى»** أى **الصحيفة الخضراء** بالأسبانية.

وأهم صحف ما قبل الحرب العالمية الثانية صحيفة **«الأطلسى»** الأسبوعية لسان الحزب الوطنى الذى كافح من أجل إقامة نظام حكم وطنى إسلامى.

ولم يصمد خلال الحرب العالمية الثانية من الصحف المغربية سوى **«الوداد»** و**«التقدم»** و**«لافوا ناسيونال»** أى **الصوت الوطنى**.

وأصدر حزب الاستقلال صحيفة **«العلم»** اليومية العربية فى الرباط سنة ١٩٤٦، غير أن هذه الصحيفة تعرضت للتعطيل عدة مرات، بين سنة ١٩٥١ وسنة ١٩٥٦.

وفى سنة ١٩٥٣ أنشئت باللغة العربية صحيفة يومية ثانية فى الدار البيضاء

(١) نفس المرجع ص ٣٥٧.
(٢) نفسه ص ٣٥٨.

أطلق عليها اسم «الرأى العام» لتكون لسان حال الحزب الديمقراطى للاستقلال.

وعاد السلطان محمد بن يوسف من منفاه في نوفمبر ١٩٥٥ وأعلن استقلال البلاد فى ٢مارس ١٩٥٦، وهكذا انتهى النظام الاستعمارى فى المغرب[1].

واستأنف حزب الاستقلال منذ نوفمبر ١٩٥٥ إصدار «العلم» وأشرف علي عدد كبير من المجلات الأسبوعية الفرنسية والعربية.

واستأنف الحزب الديمقراطى الدستورى إصدار صحيفة «الرأى العام» (١٩٥٥) وأسس الصحيفة الأسبوعية «ديموكرات» أى الديمقراطية باللغة الفرنسية، كما استأنف الحزب الشيوعى إصدار «حياة الشعب»[2].

وبعد وفاة الملك محمد الخامس سنة ١٩٦١، حاول ابنه الملك الحسن الثانى تطبيق نظام دستورى فى البلاد.

---

(١) نفس المرجع ص٣٦٠.

(٢) نفسه ص ٣٦٠

[١٨]

الصحافة فى موريتانيا:

صدرت فى موريتانيا عقب استقلالها صحيفة «موريتانيا الحديثة»، عام ١٩٦٠، شهرية أول الأمر، وكانت تطبع بالعربية والفرنسية فى ميناء سان لويس السنغالي، وقد توقفت عن الصدور سنة ١٩٦٤، وحلت محلها صحيفة «الشعب» بالعربية وصحيفة «Le Peuple» بالفرنسية أى الشعب.

وفى سنة ١٩٧٢ قررت الحكومة إنشاء صحيفة يومية، عربية فرنسية، أطلقت عليها اسم «الشعب»، غير أنها ما لبثت أن غيرت اسمها إلى «أخبار نواكشوط» بالعربية و«نواكشوط أنفورماسيون» بالفرنسية.

وعندما تم تأسيس الشركة الوطنية للصحافة والنشر، صدر عنها فى أول يوليو ١٩٧٥ صحيفة «الشعب» بالعربية والفرنسية وهما صحيفتان يوميتان تعبران عن رأى حزب الشعب الموريتانى.

وفى سنة ١٩٧٥ تأسست الوكالة الموريتانية للصحافة بموجب المرسوم الصادر فى ٣٠يناير ١٩٧٥، وهى وكالة رسمية شأنها فى ذلك شأن كل الوكالات العربية للأنباء(١).

---

(١) د.. خليل صابات: السابق ص ٣٦١.



I.S.B.N
977-232-397- 4